بيت الفقراء

نشر الثقافة الروحية

الجزء الثاني

ألواح ما بين قبر ومنبر

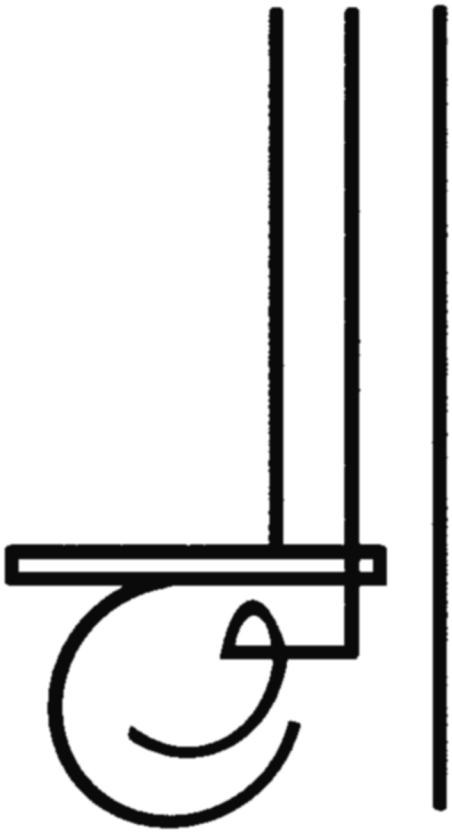

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلمية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الثاني

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	الله رحمته ونعمته وعظمته في قربه وبعده	حديث ألقي بنادي إدارة قضايا الحكومة	٢٤ مارس ١٩٥٥ م	١
٢	طلب العبودية للحق على ما تحقق به عبده هو هدي كتاب الإحاطة معه	حديث الجمعة	٢٤ مايو ١٩٥٧ م	١٣
٣	المؤمن قبلة المؤمن في الدين وفي الصلاة وفي اليقين	حديث الجمعة	١ يناير ١٩٦٠ م	٢٣
٤	موالد الكلمات وتتابع الآيات	حديث الجمعة	٨ يناير ١٩٦٠ م	٣٣
٥	العقل الخالق والعقل المخلوق	حديث الجمعة	٢٢ يناير ١٩٦٠ م	٤١
٦	السعادة مفتاحها وطريقها وسرابها	حديث الجمعة	٢٩ يناير ١٩٦٠ م	٤٩
٧	لمحة اليقين	حديث الجمعة	١٩ فبراير ١٩٦٠ م	٥٧
٨	محمد عبد الله ورسوله إلى الناس وبين الناس	حديث الجمعة	٢٦ فبراير ١٩٦٠ م	٦٥
٩	الإنسان وموائده محمد وموالده	حديث الجمعة	٢ سبتمبر ١٩٦٠ م	٧٥
١٠	حقية الناس وأسوة العبودية للحق	حديث الجمعة	٩ سبتمبر ١٩٦٠ م	٨١
١١	الإنسان وابن الإنسان آدم وابن آدم عبد الله وابن عبد الله	حديث الجمعة	١٣ سبتمبر ١٩٦٠ م	٨٩
١٢	سفن النجاة لقلوب المقابر من هياكل الحياة	حديث الجمعة	١٦ سبتمبر ١٩٦٠ م	٩٩
١٣	التناسخ والتواجد	حديث الجمعة	٧ أكتوبر ١٩٦٠ م	١٠٧

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١٤	كلمة الله تعرفها فترضاها وتحبها فتحياها	حديث الجمعة	١٤ أكتوبر ١٩٦٠ م	١١٧
١٥	قطرات من بحر عبد الله (محمد)	حديث الجمعة	١١ نوفمبر ١٩٦٠ م	١٢٥
١٦	عبد الله حيا يوما فكان الحياة قبل مبناه وقبل معناه	حديث الجمعة	١٨ نوفمبر ١٩٦٠ م	١٣٩
١٧	بيت القبلة ومقيمو الصلة والصلاة	حديث الجمعة	٢ ديسمبر ١٩٦٠ م	١٤٧
١٨	الأحد الصمد عبده وإنسانه	حديث الجمعة	١٦ ديسمبر ١٩٦٠ م	١٥٣
١٩	لا أنا ولا أنت ولا هو ولكنها الحياة وذكر الله	حديث الجمعة	٢٣ ديسمبر ١٩٦٠ م	١٦٩
٢٠	مراد ومريدون ورواد ومرودون	حديث الجمعة	٦ يناير ١٩٦١ م	١٧٩
٢١	الدورة الخالدة في إنسانية الأحد الصمد	حديث الجمعة	٢٧ يناير ١٩٦١ م	١٨٩
٢٢	ضمير يتكلم مع نفس تتألم	حديث الجمعة	١٧ فبراير ١٩٦١ م	١٩٧
٢٣	دورة العبودية في أولية العابدين في الإنسان بآحاد الله	حديث الجمعة	٢٤ فبراير ١٩٦١ م	٢٠٣
٢٤	صلاة جمعة القيام ويتيمة الصيام	حديث الجمعة	١٧ مارس ١٩٦١ م	٢٠٩
٢٥	عيد	حديث العيد	١٨ مارس ١٩٦١ م	٢١٥

(١)

الله رحمته ونعمته وعظمته في قربه وبعده

حديث ألقي بنادي إدارة قضايا الحكومة
٣٠ رجب ١٣٧٤ هـ - ٢٤ مارس ١٩٥٥ م

اللهم إنك أنت أنت. كما تعلم. اللهم أحي برحمتك قلوبنا، وأنر بحكمتك عقولنا، وزكي بهديك نفوسنا، اللهم تولنا فيما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم من أمرنا. اللهم أقم بك فيك جوارحنا ثناء لك فيك، ولجوءا إليك، واستعانة بك، وتوكلا عليك، إنك أنت مولانا ومحيانا، وأنت على كل شيء قدير.

سيدي الرئيس.. أساتذتي.. إخواني..

إني لأحمد الله إليكم أن هيأتم لي هذا المجلس الكريم منكم، لأتحدث إلى نفسي، في حديثي إليكم، مستمدا من نور قلوبكم، ومن صادق رغبتكم في الاجتماع على الله في أنفسكم.

وإني إذ أقول إني أتحدث إلى نفسي بلسانكم أعني ما أقوله، فما اجتمع جمع في الله ذاكرين له مثنين عليه متواصين فيه، طالبين المعرفة عنه، والمعرفة به، إلا كان هو معهم وجمعهم، وكان فيهم المتحدث والسامع، وكان لهم الممد والمعين والراحم.

وإني إذ أتحدث عن الله، فإنما أتحدث عن رحمته وآلائه، وعظمته في قربه ونعمائه.. فإنه تعالى كما يعلم، لا نحصي ثناء عليه ولا نحيط علما به. وقد أعلمنا على لسان رسله وعن طريق كتبه أنه معنا حيثما كنا. وأنه قائم على كل نفس منا. وأنه هو الآخذ بنواصينا، وأنه هو المتولي لأمورنا والراحم لنا، والقريب منا. وينبهنا إلى ذلك في قوله {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[1] منبها إلى حيث نراه ونجده.

فإننا إذ نتحدث عنه تعالى تتجول عقولنا بالفكر فيه وهو منها قريب. وتستشرف نفوسنا لطلب معرفته وهو معروف لنا بقيامه علينا في قيامنا. معروف لنا عن طريق الإدراك في هذا القيام والإحساس به.

فالإنسان يا إخواني أشرف مخلوقات الله، الغيبية والظاهرة. والإنسان يا إخواني هو الكائن المتميز في مملكة الله وفي ملكوته. وهو الكائن الذي أوجده بعظمته وبقدرته ليتعارف إليه وليعرف عنده. وليعرف به إلى ما سواه...

فهو الكينونة الحادثة على مثال من قديم من أمرها. فهو ذكر الله المحدث على مثال من ذكر الله القديم به. وهو كلمة الله المرسلة في وجوده تعريفا عنه، وتعارفًا إليه، ومعرفة به في قيامها بذاتها من سر قيامها عبدا له.

فإذا قلنا الله وذكرنا هذا اللفظ فإنه يتكيف في أفئدتنا على معان مختلفة بقدر إدراكنا فيه، وإدراكنا عنه، وتنزيهنا له.

هذا اللفظ الكريم الذي يطيب ترديده ويحلو الحديث عنه، وتقصر العقول عن الفهم فيه والإدراك له لفظ كريم جليل في ذاته عظيم في أسراره. هذا اللفظ الذي نقوم بقيامه، ونحيا من معانيه، وننعم بمغانيه، ويهيئنا به لمعرفته قياما به قائما علينا، وقائما بنا، وقائما فينا...

هذا اللفظ يا سادة - نردده كثيرا ويجب أن نتأمله في ترديده، ونجعل هذا الترديد صادرا من أعماقنا محبة له واتحادا به وتوحيدا له فنفكر به فيه. تفكيرنا فيه وتأملنا في آلائه وفي عظمته، وفي قربه منا، هذا هو الدين في جوهره. وهذا هو الذكر في مخبره.

فليس ترديد اللفظ بلا وعي لمعناه أو تفكير في آلاء الله معنا ذكرا لله. ولكن تأملنا فيما هو بنا، وفيما هو حولنا، وفيما نقوم فيه من حياة، وردّ هذه الحياة إلى أصولها، والتفكير في حكمة الله فيها، وفي عظمة الله معها مقترنة بما يبرز في كل لمحة وفي كل وقت من آياته ظاهرة لنا في حياتنا، وفي أنفسنا وفيما هو حولنا.

هذا هو الدين إن طلبناه. وهذا ما يرشدنا إليه رسول الله عليه الصلوات، وهو يقول (تفكر ساعة خير من عبادة عام أو خير من عبادة سبعين عام)[٢]. فليس للمناسك مرتبة متقدمة في أسس الدين. ولا تأخذ وضعها بين أسسه إلا بجوهرها لا بأشكالها. فالعبادة بالفكر هي التي تهيىء النفس للزكاة والعقل للنور وتهيئ القلب للحياة.

وإننا إذ نذكر الله ونفكر فيه ونتأمل في حقيقة الأمر فإنما نتأمل في حياتنا وفي وجودنا وفي علة وجودنا وحكمة هذا الوجود وفي سره. فإن نحن فعلنا ذلك وفعلنا بما جاء به هدي الله مع رسله وهم في الله جميعا لا يفترقون وباجتماعهم يتكامل هديهم وتبرز حكمة ربهم، وتأملنا في كتب الله وكلها يهدف

إلى هدف واحد لا يختلف، حققنا علة خلقنا وحكمة إيجاد الموجد لنا بمحاولة الفهم في أسرار حياتنا، وفي تطور نفوسنا.

وإن الإنسان لو تأمل في نفسه يا سادة، لعجز عن إدراك نفسه في حقيقة الأمر، وسيبقى عاجزا عن إدراكه لها في حدود ما يوجد بها. وإن الله سبحانه وتعالى في مَنِّه علينا بالإيجاد لأنفسنا بعارية نفسه معنا مَنَّ علينا أيضا بالهدي منها في قوله {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[٣] فإذا تأملنا في قوله، {أعطي كل شيء خلقه} تبين أن الله سبحانه وتعالى أوجدنا كائنات مختارة ممكنة، أوجد فيها كفايتها من أسرار قدرته ومن سلطان حكمته. وهيأ لنا فينا أسباب التطور فيه بجهاز وجودنا من ذات عوالمه، بمحاولة تطهير أنفسنا من أدرانها، وتجديدها بالحق تخلصا من موصوف الخلق عن طريق فعلها بذكره.

فلنتأمل في قوله {أيحسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى}[٤] ...

فالإنسان لو تأمل في نفسه وفي حياته هذه التي يحياها، وهو يعلم بدأها كما يعلم منتهاها، وقد تواجدت له في هذه الحياة صورة مجسمة متكاثرة في مظهر حيوات متعددة في حياة، تأمل كيف أنه تطور من علقة إلى مضغة إلى طفل إلى شاب يافع إلى رجل قادر إلى شيخ حليم ورع واع، وتأمل ما يمر عليه في حيواته هذه على قصرها كجزء في مدى حياته الحقيقية أوفي مدى حيواته القديمة والحاضرة والمستقبلة. وأقول حيواته لأننا كلنا والحمد لله مؤمنون بالتبليغ، والتبليغ يرشدنا أن لنا حياة روحية، قبل حياتنا الذاتية، وأن لنا حياة روحية بعد حياتنا المادية، وأن لنا حياة مادية بعثا من حياتنا الروحية، وأن حيواتنا القديمة والحاضرة والمستقبلة، حلقات متصلة في الحياة الكلية لوجودنا.. لوجودنا الحي من حياة الله الأبدية الأزلية، القائمة السرمدية. وقد أمدنا بالحياة من حياته، وأمدنا بالحكمة من حكمته، وأمدنا بالقيام من قيامه، وأمدنا بالوجود من وجوده، وهيأ لنا أسباب الصلة به بإدراكنا للحياة في إدراك حياتنا في أنفسنا، فسبحاننا من سبحانه بكرمه وجوده، وهو القائل في حديثه القدسي على لسان نبيه (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[٥] وهو إذ يشير إلى هذا التكريم يبرز القدسي في الإنسان مضافا إلى نفسه في سر نفوسنا منه، موصولة به، مهيأة لمعرفته بحكمته، قادرة على الرجوع إليه بنعمائه وهديه. ويلفتنا إلى هذا الأمر الجليل الخطير في أنفسنا في قوله {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[٦]، {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}[٧]...

وهو إذ يخاطب عبده ونبيه ورسوله بهذا الخطاب إنما يخاطبنا جميعا به في قوله {لكم في رسول الله أسوة حسنة}[٨]، وفي قوله له وهو ينبهنا في هذا القول هو { الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٩].

فنحن إذ نتحدث عن الله متأملين متفكرين يجب أن نتجاوب في هذا التفكير وفي هذا الحديث، متحررين بعض الوقت وبعض الشيء من قيود ما توارثنا في العقيدة حتى يمكن لنا أن نصل إلى فهم كريم في الله...

الله سبحانه وتعالى.. لا إنكار على وجوده، ولا جحود لنا في أمر جوده. ولا خلاف بيننا على وحدانيته أيا ما كنا وعلى أي مذهب أو مشرب أو دين ذكرنا. فإلهنا في الحقيقة واحد وربنا في الحقيقة واحد. نحن على اتفاق لفظي فيه ولكنا على صدق أو خدعة في طلبه أو توهمه.

والذي يخدعنا فيه ويبعدنا عنه ظلمة نفوسنا بأعمالنا في حقيقة الأمر، وتوارثنا لمعان تفصل بيننا وبينه معنا، وتباعد بيننا وبين الصلة به والإدراك له فينا، وهو في حقيقة الأمر منا قريب ولنا مجيب.

فلنتأمل في قوله {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}[١٠]...

فنحن إذ نطلبه يحول بيننا وبين تحقيق هذا الطلب حوائل من سوء الفهم وسوء الإدراك، فبأي أسلوب نطلبه؟ إننا نريد أن نتأمله أمرا بعيدا عنا غير قائم فينا، غير قريب منا، غير قائم بنا. فنحن إذ نطلبه على هذه الصورة نباعد بيننا وبينه فى حقيقه الأمر. ولكن إذا طلبناه فى قلوبنا - وهي محل إفاضته ومحل التعارف إليه - وتأملنا في المثل المضروبة منه تعالى لنا - ولسنا إلا مثالا لهذه المثل المضروبة - في صور عباده من كلماته وأنبيائه تلاقينا معه على الصراط المستقيم.

فلنتأمل في قوله لمحمد عليه الصلاة والسلام ومعنى القول {قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها}[١١]، ولنتأمل في تأمل إبراهيم عليه السلام وهو يفكر فيتحسسه في مظاهره الكونية من الشمس والقمر والنجوم، فلا يجد في هذا غنية مشبعة لما في غريزته من غريزة الطلب له وفطرة الاجتماع عليه. وكلنا في هذا المعنى إبراهيم، وكلنا في هذا المعنى محمد. فلم تشبع الشمس ولا البيت الحرام من مسجد مكة شوق أحدهما إليه، أو يجد بأيهما غنية فيما يطلب.

فنحن إذ نقول لا إله إلا الله نردد هذا اللفظ بلا تأمل عميق فيه، ونتوارث معنى في الوحدانية لا يهيئ لنا أسباب لا إله إلا الله. ولو تأملنا في حديث رسول الله وهو يقول على لسان الله (لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي)[١٢]، وهذا الحديث القدسي يؤيده قوله تعالى في كتابه {واذكر ربك في نفسك}.. كيف تذكره بعيدا عنك؟ {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين}[١٣]. ولنتأمل في قوله {في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه}[١٤]، وهو يشير في هذا إلى قلوب العباد عامرة به مدركة لمعاني الحياة فيها من

حياته تعالى. ولنتأمل وهو يشير إلى صلة عبدين فيه.. محمد عليه السلام في شدة ضعفه وهو على الأرض بين أهلها مع رفيق أعلى شديد القوى في السماء، وهو يقول {علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دني فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى}[١٥]؟ إن شديد القوى لم يوصف بمقام العبودية له. ووصف به صاحب الذلة له والضعف معه. والعبودية ألصق وصف بالحقائق الأقرب إلى الله.

إن الله سبحانه وتعالى قريب منا مجيب لنا. فإذا قلنا أين الله؟ ومتى الله؟ وما الله؟ وكيف الله؟ ولِمَ الله؟ فلنتأمل في هذا التساؤل ونتجاوب عنه في أنفسنا لأنفسنا. فإن الله قد أوجد في غرائزنا حكمة طلبه، وغريزة طلبه، وغريزة الشوق إليه، وغريزة الصلة به لأننا في الحق وفي الأمر الواقع موصولون به قائمون به فعلا. وإن الذي نخشى أن نفقده بغفلتنا في تطورنا بحقيقة هذه الصلة إنما هو هذه الصلة نفسها فنهلك ولا نربح. وقد كان بنا قائم. به صنعنا أنفسنا بعملنا بعيدة عنه غريبة علينا، فتركنا لفعلنا وما هو إلا فعله بنا.

إن الله يُعرف بعظمته في هذه الحياة المحجوبة، فيأمر الحياة العارفة التي أسفر لها بوجهه أن تقدسه في الحياة المحجوبة لأنه أعد هذه الحياة المحجوبة لأمر، ومطورها ومهيؤها به لمعرفة أسمى وأرقى من معارف هذه الحياة الظاهرة لها، العالمة ببعض الأمور عنه إبرازا منه لها لمجال من لانهائيته في طريقه للظهور...

لأننا في هذه الحياة المسربلة بالحجاب وهو يقول لنا إنه قائم على كل نفس، ولم يجعل لنفس منا على هذه النفوس سلطانا، بل جعل سلطانه قائما على كل نفس بما كسبت مشيرا إلى أن هذه النفوس المحدثة هي ذكر له محدث، ضرب لها مثلا من ذكر محدث من أنفسهم أكرمه بينها في كلماته، وكتبه، أو أنبيائه. فلنتأمله وهو يقول {ضرب ابن مريم مثلا}[١٦]، {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}[١٧]. ضرب ابن مريم مثلا لنا جميعا. فإذا كان هو عليه السلام كلمة من الله مطهرة، وعلما على معرفته وعلى نعمائه على عباده ظاهرين بنعمة الله، أكرمه الله معرفا عنه روحا من روحه وكلمة من كلماته، فإنه في هذا مثل لنا جميعا نحيا على مثاله إن شئنا، ويعدنا الله بعظمة قدرته وبنعمته وبعظمة عطائه وبقربه أن يهيىء لنا أسباب التواجد به إن طلبنا، حتى تستقيم لنا طريق التعارف إليه بقيامنا فيما هو قائم فيه من روح الله، ومن العلمية عليه كلمات له دالة عليه، متعرفة إليه، متشوقة لطلبه بغريزة الحياة، وروح الله فيها. وهو اذ قدم لنا مثالا آخر من جماع الكلمات المتكاثر بالكتب والأمهات فى محمد علية الصلوات، فلم يحرمنا بعظمة جوده نعمة أن نكون على مثال من عطاء الله له، على ما أبرز فينا من

حسن الخلق المضروب فيه. وهذا ما يهدينا اليه رسول الله بلسان الحق وهو يقول: تخلقوا بأخلاق الله.. إن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بإحداها دخل الجنة.

إذا تخلقنا بأخلاق الله! وكيف نتخلق بأخلاق الله؟ وما معنى التخلق بأخلاق الله؟ وهل تَخَلَّق محمد بأخلاق الله؟ ...

إن من خُلُق الله سبحانه وتعالي كما نعلم أنه حليم وأنه عليم وأنه خبير. ومن خلقه سبحانه وتعالي أنه قادر وأنه خالق. فإذا تخلقنا بأخلاق الله الخالق بعظمة قدرته فيما وهبنا من قدرة من قدرته في حدود إمكانياتنا، مستمدة من إحاطة إمكانياته فَوَجَّهنا القدرة المودعة فينا والمؤتمنين عليها وهي أمانته فينا، وجهناها لذواتنا ونفوسنا، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه فزكينا أنفسنا فيه كما هدانا، وتوجهنا إلى الوجهة التي وجهنا إليها برحمة هديه لتطورنا فيه تطورا يخرجنا من ظلمات أنفسنا إلى نور معرفته قائمة بنا.

وإذا قلت إلى نور معرفته وهو الذي يعرِّف عن نفسه جل وعلا لمن يعرف بكشف الغطاء عنه لنفسه قائما به، مقربا تعريفه بقوله {الله نور السموات والأرض}[١٨]، وهو يضرب لنا مثلا لهذا النور بمشكاة فيها مصباح يوقد من شجرة مباركة هي في الحقيقة شجرة الجنس البشري القديم بقدم الله، وقد جعل الله من مفرداته مثلا لنوره في وحدة من نور الكون للسموات والأرض.. فإذا قلت النور فإنما أعني هذا اللفظ بمعناه من الطبيعة، ومن الحقيقة بما استطعنا أن ندرك في عصرنا الراهن من أسرار عن الطبيعة كانت قبل هذا العصر خفية على الناس من أسرار الكون.

فإن الله سبحانه وتعالى وهو يقول { النور الذي أنزل معه }[١٩]، وهو يقول {ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء}[٢٠]، وهو الذي يقول {نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس}[٢١]...

فأوانينا يا إخواني هي مشكاة الله المنيرة بنور الحياة، والقابلة في حقيقة أمرها لإفاضات النور الإلهي والاستزادة منه. فهي الأواني القابلة لاستقبال نور الله المفاض دائما من حضرة قدسه وحضرة إحاطته، ومن وجوده المطلق الذي لا يحيط به محيط ولا يدركه مدرك، إلا بقدر ما يتفضل سبحانه وتعالى على هذه القلوب من أنوار تهيئ لها أسباب التعارف إليه قائما عليها، فاعلا بها، كاشفا حجب الغفلة من أنفسنا بإفاضة النور مشرقا في ظلمات هذه النفوس حتى نشرق بنور وجوده، ونور معرفته ومعارفه...

فقيامنا -إن بدا لنا قيام- ظُلماني في مظهره إلا أنه قيام نوراني في جوهره. فإن نحن طلبنا الله نور السموات والأرض في نورانية حقائقنا، وإنارة طبائعنا بإفاضة نوره على نور حياتنا متعرضين إلى نعمائه، ورسول الله يقول لنا (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها)[٢٢]، فإن نحن تعرضنا لنفحات الله وهي منا دوما قريبة، وإنها قديمة بقدمه، قائمة بقانون وجوده فى كل وقت، وفي كل عصر، وفي كل مكان، وفي كل زمان، وفي كل حياة نحياها.. إن نحن هكذا فعلنا لوجدنا الله قريبا كما وصف نفسه بالإجابة، ولوجدناه غفورا كما وصف نفسه بالمغفرة، ولوجدناه واحدا أحدا صمدانيا ماحيا لوجودنا في عظمة وجوده، ظاهرا لنا فينا معلما ولنا هاديا، آخذا بنواصينا، مقيما لنا كلمة منه قائمة مشرقة بنوره وبمعرفته، وبالحديث عنه، وبطلب المزيد من نوره ومن رحمته ومن نعمته.

فلنتأمله وهو يقول {من الله ذي المعارج. تعرج الملائكة والروح إليه}[٢٣] فصاحب المعارج والعارج بالملائكة والروح تعالى سبحانه عن المكان، وعن الزمان، وعن الكيفية. فهو إذ يعرج بنا إنما يعرج بنا في تطوير أنفسنا فيه من معراج إلى معراج حيث نحن لا مكان، وحيث نحيا لا حيوان، وحيث نوجد لا زمان.

فهو سبحانه وتعالى إن أخرجنا باصطفائه، وبإحياء قلوبنا بنوره وهي حية بحكمة إيجادها، لأخرجنا من دائرة العدم في عالم العدم في صورة الحياة من عالمنا-الذي يأخذ صورة التوقيت أو العدم- إلى حياة دانية قطوفها، مذللة سبلها، مخرجا لنا بينه وبيننا في أعماق مداركنا، وفي أعماق حياتنا، مطمئناً لنا بأن حياتنا فيه قائمة متصلة، مُدرِكا لنا بأننا بذكره لا نخيب ولا نفنى، بل تجري علينا نواميس الحياة الخالدة بما خلق لنا من نظام الغيبة بالموت والظهور بالحياة)المولد(...

كلنا ينشد الحياة، وكلنا يخشى الموت. وهو يقول لنا خلق لنا الموت والحياة ليبلونا، فهو إذ يشير لنا أن الموت مخلوق لنا لاختبارنا فهو أمر عارض على حياة موجودة فعلا، فإذا نحن حققنا له حكمة خلقه فينا وهو الذي خلقنا لعبوديته، وما عبوديته في حقيقة الأمر إلا تمهيد هذه الأواني العابدة له، أي المعبِّدة لأوانيها لحلول أنواره ولإفاضة معارفه وحكمته وأسراره ...

إن عبَّدنا أنفسَنا وهو مُعبِّدها بحكمة خلقها للتعارف إليه، وهو إذ يسمينا الإنسان وهذا اللفظ في ذاته يحمل معنى حكمة خلقنا من معنى (أُنسان).. أُنس وأُنس. أُنسنا به ربا عظيما كريما خالقا مدانيا، وأنه بنا معروفا لنا إذ يفاخر بنا على سائر مخلوقاته بما أودع فينا من سر طلبه على حجابنا، ومن سر معرفته عندنا معروفا مع هذا الحجاب معرفة أرقى وأسمى في ذاتها من معارف عوالم هو مسفر لها بقربه، وبنعمائه، وبجلائه، وبنوره. وما بين الأُنس متصلا والأُنس محجوبا تقوم وحدانية (الإنسان) عارفا معروفا.

فأُنسان هو أُنس العبد بربه، وأُنس الرب بعبده، و(إنسان) إنس في قيوميته، وإنس في قيامه هو إنسان في وجوده. وإذ تحدثنا عن لفظ (إنسان) أو (أُنسان) في معناهما نشير إلى لفظ الله في معناه من حيث اللغة. لو تأملنا هذا اللفظ في الواقع وجدناه يدل على مراد الله فيه لنا بترديده. هذا اللفظ يتكون من ثلاث مقاطع (ال) وهي أداة التعريف، و (لا) وهي حرف نفي و (هو) وهو أول الأسماء الحسنى {هو الله الحي}، وإذا تأملنا إلى ما يعرفنا به الفقه تعريفا لهذا اللفظ نجدهم يقولون هو اسم علم دل على الذات الأقدس.

ال ـ لا ـ هو. هذا العلم الذي تسمى بهذا الاسم خرجت معرفته بالله عنده وعند عارفه من كنزية احتجابه وغيبته إلى عظمته معروفا في صاحب هذه العلمية عليه. فهذا العلم في جوهره أقداسا ما زال في كنزيته وغيبته، وفي حقيقة أمره هو إنسان الله. هو نور الله القدسي من نور إحاطته. هو قبضة نوره القدسية المتعارفة في ذاتها إلى عين معناها فيها منها من الإنسان، أو محدث ذكره من نور الله الموجود المطلق. إنه عبد الله والتي منها خلق وجودا عظيما تحجب بهذا النور عن موجوداته، كما يشير عليه الصلاة والسلام إن لله في عظمته حجب من نور وظلمة، لو أنه تكشف لهذه الأكوان بغير هذه الحجب من نور وظلمة لاحترق الكون في علوياته وسفلياته من سبحات وجهه الكريم.

فالله المعبود والأقدس من الشهود لا يشير إليه لفظ، لأننا لو تأملنا في اللفظ لوجدنا أن هذا اللفظ كاسم علم لا بد أن يتواجد بترديده كاسم محدود لمسمى في الخاطر، ونحن نقول إن الاسم يدل على المسمى، ويحدد الاسم طبعا مسماه. فكيف يكون صالحا للتعريف عن الموجود اللانهائي؟

فهذا الاسم إنما يشير إلى ما نُعبِّد أنفسنا له، كما نُدرك بتأملنا في معبودنا الذي نصفه بجميع المحامد.

فإننا إذ نردد لفظ الله فإنما يجول في خاطرنا هذا الخالق العظيم، والرب الكريم، والإله المقدس والموجود غير المشارك في عظمته، وفي قدرته، وفي نعمائه، والذي عرفناه من إدراك وجودنا، ومن غريزة طلبنا للاتصال والتعارف بموجودنا القديم الذي نصلح بتعبيد أنفسنا له للعلمية عليه معلوما لنا.

فإذا قلنا ال لا هو فإنما نعني القيام المدرك في ذاته بوجود الحق فيه مدركا عنده قائما به، يدرِّك به عند غيره على ما يدرك به عنده.

ونحن إذ نقول لا إله إلا الله وجب علينا أيضا التأمل والتحليل للفظ إله، فهذا اللفظ أيضا بما يحمل من معناه في اللغة يتكون من مقطعين: إلى.. هو.. وبذلك كان لفظ الجلالة لا إلى هو إلا ال لا هو. فإذا تأملنا في أنفسنا طالبين، وذكرنا الله معنا موجودا مؤمنين، ونسينا في الله أنفسنا منفصلة عن وحدانيته، وهو الذي يقول لنا {واذكر ربك إذا نسيت}[٢٤]، كيف أذكر ربي إذا نسيت؟ كيف أذكر

وأنا ناسي؟ ولكنه سبحانه يوجهنا أنه إذا نسينا أنفسنا قادرة بما أودع فيها من قدرته، ورددنا ما فيها من قدرة إلى عظمة قدرته، وذكرنا أنفسنا موجودة بوجوده ولم نذكرها منفصلة عن وجوده، ولا عن نعمة جوده.. إذا نسينا انفصال هذه الصفات وهذه الكينونة عن القيام له سبحانه وتعالى.. إن فعلنا ذلك كنا له ذاكرين. فإن نحن ذكرناه على غير هذه الصورة كنا له غير ذاكرين، بل بأنفسنا مسبحين وله مباعدين، وهذا معنى واذكر ربك إذا نسيت أي إذا نفسك أنسيت. ولنتأمل في قوله تعالى {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون. لاهية قلوبهم}[٢٥]، وقوله {وأقم الصلاة لذكري}[٢٦].

فالإنسان في حقيقة أمره محل نعم الله، ونعمة الله عليه جليلة وعظيمة يعجز عن إدراكها، وعن فهمها. فإذا هو تأمل فهو ذكر لله سبحانه وتعالى، فإذا ذكر الله كثيرا فاستيقظ قلبه في الله بذكره، وحيا بذكره، كان هو في ذاته ذكرا محدثا في الله، وهذا معنى كلمة الله وروح منه - الذي ضرب مثلا لأمة محمد.

فإن نحن ذكرنا الله ونحن نسأله أن يجعلنا جميعا من المردودين إلى أحضانه ربا كريما، قريبا، مجيبا، منعما.. إن نحن هكذا فعلنا دخلنا في حصن لا إله إلا الله. وإن نحن دخلنا في هذا الحصن الكريم القريب الداني بنعمته أمنا من غضبته، وأمنا من عذابه، ورحمنا برحمته، ودنت منا قطوف الحياة، وقطوف النعمة، وهو يقول {قطوفها دانية}[٢٧]، {وجنى الجنتين دان}[٢٨].

فنعمته في الحقيقة مدانية فلنتأمله وهو يقول {ولمن خاف مقام ربه جنتان}[٢٩]، فنحن إن استيقظنا في الله سبحانه وتعالى حوَّل لنا هذه الحياة وهذه الدار إلى جنة قطوفها دانية من نعمة معرفته، وانتقل بنا في حيواتنا من جنة إلى جنة. وإن نحن غفلنا عنه تعالى كان في هذا عذابنا، وما عذابنا إلا بعدنا عن الحياة بذكره ومن التعرض لنعمة الحياة به في حيواتنا قائمة. وبذلك نسلك سبيل الهلكة. وبذلك كانت هذه الدار- كما يقول الرسول- أول أبواب جهنم لأهل الغفلة عن هذا المعنى. وبذلك ينتقل الناس فيها من غفلة إلى غفلة يبعث فيها المرء على ما مات عليه. كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها. وإن هكذا واصلوا انتقلوا من دار إلى أسوأ منها حتى يصل الغافل النار الكبرى، ثم لا يموت فيها ولا يحيا لأنه سلك سبيل الهلكة ولم يسلك سبيل الحياة.

فالحياة في الله سبحانه وتعالى قائمة مدانية ما استحيينا الله في حياتنا، وما اتقينا الله في أعمالنا، وما ذكرنا الله في أنفسنا، وما قمنا بالله في حياتنا وقيامنا.

{وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله}[٣٠] من هدي الإحاطة

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الذاريات - ٢١

٢ حديث شريف: "تفكُّر ساعة خيرٌ من عبادةِ ستين سنة." تخريج الإحياء للعراقي، كما أخرجه أبو الشيخ في ((العظمة)) وابن الجوزي في ((الموضوعات)) باختلاف يسير.

٣ سورة طه - ٥٠

٤ سورة القيامة - ٣٦-٣٩

٥ مقولة صوفية تبرز معنى أن الإنسان خليفة الله.

٦ سورة الملك -٤

٧ سورة ق - ٢٢

٨ سورة الأحزاب - ٢١

٩ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

١٠ سورة البقرة - ١٨٦.

١١ سورة البقرة - ١٤٤

١٢ حديث قدسي رواه الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، المحدث العراقي، بإسناد ضعيف، االمصدر: تخريج الإحياء للعراقي. كما جاء بلفظ: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن (من) عذابي." بحار الأنوار، المكتبة الشيعية.

١٣ الأعراف - ٢٠٥.

١٤ سورة النور - ٣٦

١٥ سورة النجم - ١٢:٥

١٦ سورة الزخرف - ٥٧

١٧ سورة آل عمران - ٥٩

١٨ سورة النور - ٣٥

١٩ سورة الأعراف - ١٥٧

٢٠ سورة الشورى - ٥٢

٢١ سورة النور - ٣٥

٢٢ حديث شريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.

٢٣ سورة المعارج – ٣،٤

٢٤ سورة الكهف - ٢٤

٢٥ سورة الأنبياء - ٢-٣

٢٦ سورة طه - ١٤.

٢٧ سورة الحاقة - ٢٣
٢٨ سورة الرحمن - ٥٤
٢٩ سورة الرحمن -٤٦
٣٠ سورة الزخرف - ٨٤

(٢)

طلب العبودية للحق
على ما تحقق به عبده
هو هدي كتاب الإحاطة معه

حديث الجمعة

٢٤ شوال ١٣٧٦ هـ - ٢٤ مايو ١٩٥٧ م

أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أنه لا موجود بحق إلا الله.. أشهد أن كل الوجود دال على الموجود وهو الله.. أشهد أن الحياة في هذا الوجود من حياة الحي القيوم وهو الله.. أشهد أنه الموجود.. أشهد أنه الحياة.. أشهد أنه حاضر الحياة، وماضي الحياة، ومستقبل الحياة، وسرمدي الحياة..

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أماته عن نفسه وعن قطيعته، وبعثه بوصلته وبانقضاء يتمه.. أشهد أن محمدا رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين على سنن من قبله من الرسل، وعلى سنن من بعده من الأئمة والعباد..

أشهد أنه قد بلغ ما حمل إليه، وأنه قد استقام على ما أمر به، وأنه تأدب بيننا على ما أدبه ربه، وأنه أعلمنا عن الحق الكثير الوفير مما علم، وأعلمنا أن الحق لا تطاق له وطأة في أرض أو سماء، وأن الحق لا يحيط به عقل في أرض أو سماء، وأن الحق لا يلحق به فكر عند مفكر ما دام من أهل الفكر وأهل العقل وأهل التقييد والتقيد، أعلمنا عن الحق ما يليق بمثله أن يعلمنا مما عَرَفَ كما عَرَّف.

وأشهد أننا تابعناه على قلة، وعلى تفاوت في إدراك، وعلى تفاوت في استقامة، وعلى تفاوت في خلق، وأننا نسبنا أنفسنا إليه على ضلالة، وعلى وهم، وعلى زعم، وعلى كثرة. نقول بألسنتنا ما ليس في قلوبنا ونزعم أننا معه على دين، وأننا معه على كتاب، وأننا إليه على حب. وأشهد أنه منا بريء، ودينه منا بريء، وكتابه منا بريء، وسنته منا بريئة، فما أحسنا فيه قصدا، وما تأدبنا معه ومع ربه على ما يوحي به العقل - على ضعفه- وما استقمنا معهما على أمر على يسر من أمر النفس. وقد جاءنا بيسر

من الكتاب، وبيسر من التشريع، وبيسر من التكاليف، فأديناها على شكل وجانبناها على جوهر، ووهمنا وزعمنا وما حققنا وما آمنا وما سلمنا. نعيش في أوهام من ظلمة أنفسنا كأنها النور، وعلى جهل من طبيعة جهلنا على أنه العلم. ونزعم الاستقامة وتنتظرنا بوصف أهلها الندامة يوم تأتي سكرة الموت بالحق فنُجبه بما كنا منه نحيد، وما كنا عنه نحيد، وما كنا له نزعم، وما كنا له ندعي بلسان ومقال، والقلب لكل ذلك مباعد بشقوته ومنه خال. عاد الإسلام من بعد محمد غريبا كما بدأ.

إنا نريد أن نعبد الأوثان كما عُبدت على فطرة من أصولنا. ونريد أن يعبد بعضنا البعض وليتها على معنىً يُطلب، وليتها على خيال يقدر، وليتها حتى على محاولة لكشف قناع، وليتها على شك من أمر أنفسنا. إننا نريد أن نعبد بعضنا البعض بدين من وضع أوهامنا، وبعقل بعيد عما يعقل، وبزعم فهم بعيد عما يليق أن يُفهم. ويجرؤ بعضنا على البعض جرأة الخلق على الحق في نفاق وادعاء. بعضنا ممن صدق من الأغلب الأعم طليق، ليس معه على اعتقاد أو على طريق.

وإن من الناس منا من يجرؤ على الصادقين بيننا في لحظة وسوء أدب، وقلة إدراك، وانحطاط مكانة، وسفالة ذات. لا يدرك أنه إن سكت عنه في حماقته أو في جرمه، فسكوت الحليم أو سكوت المتسع أو سكوت الراجي من الله، فيزعم أنه على غفلة نفسه له مقر وعلى ظلمه لنفسه وظلمه لإخوانه، ساكت عنه عن رضا أو عن عجز. يجرؤ على كتاب الله، ويجرؤ على مناسك الله، ويجرؤ على دين الله، ويجرؤ على ما أمر به الله. يجرؤ على ما هدى به رسول الله في لحظة، يجرؤ على أصحاب رسول الله في ظلم لنفسه وفي غفلة عن الحق، ويزعم أنه أخ في الدين وأنه ابن للطريق. إن الطريق من أمثال هؤلاء براء، وإني منهم براء، والرحمن منهم بريء، ورسول الله منهم بريء، ودين الله عنهم بعيد ومنهم بريء.

يتحدثون ولا إذن لهم بحديث، ويزعمون لأنفسهم الصلة والقدسية والتقديس، ونور الله منهم بعيد، وعباد الله منهم براء، وأنا منهم بريء.

يُعرِّضون الطريق بسفاهتهم لسفاهة السفهاء ولسفاهتهم، ولمخاصمة العقلاء وجفوتهم، فهم سوء على أنفسهم، سوء على إخوانهم، سوء على دينهم.

اتسع الصدر المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة لمن كان من نصيبنا منهم، وأنا لا أريد أن أتعرض لإنسان من الله بقطيعة أو أن أحكم عليه بأنه منه مقطوع، أو أن أيأس معه من نور الله له أو أن أيأس له من رحمة الله معه، فيطمعون لمزيد مما هم فيه في ساحة حسن الخلق، ويزدادون في سفالتهم سفالة، ويزدادون في انحطاطهم انحطاطا على انحطاط من طبائعهم...

لا يريدون أن يفارقونا في صمت أو في ستر. وإن الله ستير ويحب من عباده الستيرين ونحن نريد أن نكون من عباده الستيرين. ولكنهم يقهروننا على أن نتحدث وأن نجعل منهم موضوع حديث، وهم أحقر من أن نتحدث عنهم، أو نجعل منهم موضوع حديث. ولكن حكمة الله، ولكن إرادة الله، ولكن قدرة الله هي التي تشغلنا، وهي التي تضطرنا، وهي التي تلزمنا أن نجعل من أمثالهم موضوع حديث لأن لهم في الناس كثير من مثال، وأنهم في الناس كثرة، وأنهم وإن كانوا بين الإخوان قلة، ولكنهم على مثالهم في عموم الناس على كثرة ...

يعيشون في أوهام، ويزعمون لأنفسهم ما يزعمون في أحلام، ولا يعرفون من الدين شيئا، ولا عن أنفسهم شيئا، ولا عن الاستقامة شيئا، ولا يعنونون عن الناس فضيلة، ولا يعنونون لأنفسهم أمام أنفسهم إلا كل رذيلة. تتوالى بين أعينهم القوارع، ويعلمون من الأمر ما يرون بأنفسهم في غيرهم، مما سبق أن قدسوا أو يقدسون، ولا يريدون أن يتعظوا، أو أن يستيقظوا، أو أن يتنبهوا، أو أن يصدقوا ما يلقى إليهم من حديث.

أنا لست ممثلا فأقول بما لا أومن به، أو كاذبا ودعيا على ما ينسب لي من فهم، أو قول، أو مسلك، غير ما أنطق به، أو أصرح به بين الإخوان، وأن الذي أقول، أو أصرح به، لا يخرج في كثير أو قليل عن كتاب الله وسنة رسول الله. وكل من يزعم من زاعمي الأخوة أنه يتكلم بعيدا عن هذا بلسان من حقيقة، فإنه يتكلم بلسان من شيطان. لا دين له، ولا إيمان له، ولا صلة له بي. فلست نبيا جئت بتشريع جديد، ولست رسولا جئت بدين جديد، ولكني مجرد مسلم متابع لدين، وأعمل بكتاب، وأؤمن بالله على ما آمن به من قبلنا ممن صدق من المسلمين. لا نأمر إلا بما أمروا - والآمر هو الله - ولا نعرف إلا ما عرفوا -والمعرِّف هو الله- ولا نعلم إلا كما علَّموا -والمعلِّم هو الله -.

إن رسول الله الذي برأ نفسه من أمته محدثة وخلف الله عليها مفوضا، بريء من كل من ينسب إلى دينه، أو ينسب إلى ذاته، أو ينسب إلى مسلم متابع له، كلاما بعيدا عن كتاب الله، أو بعيدا عن تكاليف الدين، أو بعيدا عن فقهه.

فما هذا الهراء وما هذا السخف؟ إذا كنت أصرح -وأنا صادق- أني لست شيخا ولست إماما، ولست شيئا مما تزعمون، لست إلا مسلما آمن بكتاب الله وسنة رسول الله، واستنار قلبه، واستنار عقله، واستقامت نفسه على ما أراد الله، أو على ما تحقق في نفسه، أو عقله، أو قلبه، راجيا الله، لا يدري ما يفعل الله به غدا، فكيف يزعم دعي بوصف متابع لا يرتقي لنعال الحذاء أنه يعرف عني، أو يتكلم باسمي، أو يتكلم في دين الله بفهمي، كأنه بي محيط وهو لا يدري من الدين شيئا. هذا إجرام، وهذا إثم. فلست إلا رجلا من الناس، ولست إلا مسلما من المسلمين، ولست إلا

متابعا من متابعين، يتابعهم متابعون على سنن من سبق على كتاب من هدي وعلى عقيدة من دين. فلا يليق بإنسان يوحد الله ويعلم أن لا إله إلا الله كما علَّمه رسول الله، وكما عُلِّمنا عن رسول الله، وكما نعلم من يريد أن يتعلم معنا على ما عُلِّمنا، وعلى ما عَلِمنـــا من أنه لا إله إلا الله، يزعم لنفسه أنه الحق، أو أنه الله، أو أنه وجه الله، أو أنه يد الله. {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}[1].

إن وحدانية الله بوعي العقل غير وحدانية الله بالسلوك وبالقيام وبالفعل. إن وحدانية الله بالسلوك لا تبدأ في سالك ما لم يدرك أمرا من وحدانية الله بوعي العقل وهو أساس التشريع الحي العامل السليم. إن الله في الجماد كما أنه في الإنسان كما أنه في السماء والأرض.. فأنت إن قلت إن الله فيك، فلست في مستوى أرقي من الحائط. فأنت ما زلت من نبات الأرض. فإذا كنت تريد أن تكون كحشائش الأرض تأكلها البهائم فافعل. وما أكلت إلا من الله وما أكلها إلا الله وما كانت إلا الله وتنزه الله عما يصفون من هذا أو من غيره. إن هذا أدب في الفهم، وأدب في الإدراك والوعي، ولكن ليس أدبا في الوصف أو أدبا في القيام. إن الله في الشيطان كما أن الله في الرحمن، لأن مراد الله في خلقه على ما هم عليه. فإذا كان هذا علما، وإذا كان هذا تعريفا، وإذا كان هذا بدءا، فهل تريد أن تكون كما هو في الشيطان؟ هل تريد أن تكون الله كما هو في الجماد؟ هل تريد أن تكون الله كما هو في النبات؟ هل تريد أن تكون الله كما هو في الحيوان؟ إنه يقول لك (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)[2].. لقد شرفك الله بهذه السحنة من معنى الإنسان، ومن صورة الإنسان، وأنت تريد أن تنحط بها إلى صورة الحيوان، وصورة الجماد، وصورة النبات، بلا ترق بها إلى معنى الإنسان. لقد شرف الإنسان بالعبودية له في إطلاقه كما شرفه بالخلافة عنه في تقييده، وإن أردت في الله إيمانا، وإن أردت في الله مسلكا، وإن أردت في الله طلبا. فما جعل الله لترقيك النوعي في ذاتك حائلا بينك وبينه فيك ترقيا في المتعالي الأعظم، وفي الكبير المتعال، وفي الحق المنزه في بعده كما هو متنزه في قربه، إذا أردت ذلك فلا باب لك، ولا عمل لك، ولا وسيلة لك، ولا طريق لك، إلا متابعة أنبياء الله على غير تفريق بينهم، والاستماع لكتب الله على غير تفريق بينها، عبد الله ينشد العبودية له.

وها هو الأمل في رسالة الله على غير تفريق في شرائعه، ولا في مناسكه، لأمم من الناس على وشك الظهور جديدا لقديم من دين الفطرة. إننا إذا كنا نشير إلى أننا غير متعصبين لملة من الملل، أو لدين من الأديان، أو لكتاب من الكتب، أو لنبي من الأنبياء، غير مفرقين بين كتبه ورسله، فليس معنى هذا أننا فارقنا كتاب محمد، أو أن معنى هذا أننا لا نؤمن ولا نتابع رسالة محمد. ولكن هذا الذي نؤمن

به، وهذا الذي نقول به، وهذا الذي نعلمه، هو حقيقة ما في كتاب محمد، وهو حقيقة ما في رسالة محمد، وهو حقيقة معنى متابعة محمد على ما أتى به.

إن محمدا لم يفرق بينه وبين رسل الله، وإن محمدا لم يفرق بين كتابه وبين ما جاء مع الأنبياء من كتب الله، وإن محمدا لم يفرق بين معارفه وبين ما جاء من المعارف عن أنبياء الله ورسل الله، وإن محمدا لم يفرق بين ما قام عنده كنبي، وما قام عند الأنبياء كأنبياء، وبين ما يقوم عند الخلق إذا اصطفاهم الحق كعباد له. إن ما أعطى محمد من معرفة، إن ما أعطي محمد من علم، إن ما أعطي محمد من حكمة، ليس بعيدا عن متابع له، أو مقتف لأثره على دينه، وعلى ما فعل، وعلى ما آمن، وعلى ما علَّم، وعلى ما بلَّغ، وعلى ما هدى...

وإن أناسا في عالمنا لا بد أن يكونوا على وجود، وهم منه على سنن، وبه على اتصال. إن هؤلاء قد تعرفهم وقد لا تعرفهم، وقد يتعددون على كثرة، وقد يتواجدون على قلة، وقد يتعدد أحدهم بهذا المعنى، أو يستقيم فيه، أو يعلو فيه شأوًا، لا يلحق به فيه. كل هذا يكون، ولكنا نعتقده دون أن ندعيه، أو نزعمه أو نتوهمه، أو نقصره على رجل عرفنا فيه شيئا من ذلك.

هذه هي تعاليم كتاب محمد، ودين محمد، وسنة محمد. الخير فيه، والخير في بيته، والخير فيمن آله، والخير في عترته، والخير في أصحابه، والخير في متابعيه، والخير في المشرقين بنور الله في قلوبهم، من نور كتابه، وهم معاني الخير في أمته إلى يوم قيامه.. لا جديد في منسك، ولا جديد في أمر من أمر الله من مناهج أو شرائع. فهذا هو تبليغ لم يعقبه تبليغ بعد حتى يبعث بمحمود المقام، ولكن الإدراك فيه، ولكن الاستنارة به، ولكن الحكمة التي وهبها الله للإنسانية بهذا الرسول، وبنور هذا الكتاب، لا ينقطع أثرها، ولا ينتهي خبرها، ولا يحاط بمرماها، ولا يجحد يسرها. فهو كتاب جامع لكتب، وصاحبه رسول جامع لرسل، علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل، هو حق أمته وأنبياؤه في أمته علماؤها، لا ينقطع في أمته نبأ الغيب، ولا التعريف عنه، ولا الجمع عليه، ولا الاهتداء به، ولا الاتصال والقيام بنور الله في نور حقيقة رسول الله في الناس -رحمة العالمين - هذا هو دين محمد.. هذا هو ديننا.

إن الحقيقة المحمدية التي نشير إليها بألسنتنا وننحرف بها إلى معاني الوثنية في ذاته من تراب الأرض مجحودة الدوام بالتكاثر هي عماد دينه وقوام فطرته. إذا قلنا الحقيقة المحمدية فليس محمد بذاته هو الحقيقة المحمدية ولكن الحقيقة المحمدية هي ما عَرَفَ محمد عن الحقيقة فعرف عنها كما عرف، فعرفت الحقيقة على ما عرف بمحمد. فمحمد علم على ما عرف من الحقيقة، ويد لما عرف من الحقيقة، ولسان لما عرف من الحقيقة، وقدم لما عرف من الحقيقة، وطريق لما عرف من الحقيقة، ووجه لما عرف من الحقيقة، وذات لما عرف من الحقيقة. ولكنه ليس الحقيقة بذاته ومبناه، ولكنه العلم عليها

بروحه ومعناه. إن الحقيقة هي الحقيقة، لا يعرفها إلا نفسها، ولا تعرف إلا نفسها، ولا يحيط أحد بالعلم عنها إلا بما أرادت أن يحيط من إحاطته، بمعرفة نفسه، على ما أفاضت على نفسه من العلم. وهذا المعنى هو ما أراد أن يشير إليه عيسى بقوله (إنجيلي في صدري)[٣].

لقد أحطت في صدري بعلم أعلمكم منه، وإنه علم مفاض علي من الحقيقة التي أصبحت على ما أدركها علما عليها، من رآني فقد رآها، ولست إلا إياها، ولكني لست أنا بذاتي، فأنا قد أمحيت عن أنانيتي إلى ما أرادت هذه الحقيقة أن تفعل بهذه الأنانية بينكم، فتجعل مني كلمة لله تسمعوها، وكتابا منه تقرأوه. وهذا بعينه ما قاله محمد.. والذي نفس محمد بيده لست على هيأتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني، إنني عبده وحقه، من رآني فقد رآني حقا منه، أنا عنوانه، بي يعرف، وبه أشرف، يعرفكم عني، ويؤلف بينكم وبيني، كما أعرفكم عنه، وأفتح لكم باب الطريق إليه، وإن كنت أقربكم إليه فأنا أخوفكم منه، وأحرصكم على مرضاته. ولا أدري ما يفعل بي غدا. فإذا كان هذا هو مقال الرسول، فهل من الأدب أن يقول قائل على دينه أنا الحقيقة؟ فإذا فرض وتملكه حال وصاحب الحال ليس حجة لسالك، وترديد حاله فيه تجرؤ على مقامات سامية، دعيُّها عنها بعيد وإن كان في ساحتها، ومن غلبه لسان الحال فقد في الله لسان المقال. فلا يزعم زاعم أنه من رسول الله شيئا ما، فليس هذا من حقه، بل ومن واجب مَن يخرجه الله بمعناه، أو يخرجه رسول الله بصحبته منه على إدراك فيه يقوم ويقين به يظهر أثره، ويعرف من العلاقة به خبره، من واجبه أن يحفظ أمره، ويكتم سره.

إن الصلة برسول الله صلة تقوم كما أتصل بكم وكما تتصلون بي الآن، لا وهم، ولا حلم، ولا ظن، ولا تخمين، ولا استنتاج، ولا ادعاء، ولا مغايرة، ولا إيمان بنفس. إن هذه الصلة تقوم في الناس عند من تقوم عندهم من الناس على يقين من أمرهم فيها. فلا تزعموا مثل هذا لأنفسكم، ولا تزعموه لمثلي ولم أقله، ولم أزعمه، ولم أدعيه، ولم يحصل لي، ولو أنه كان قائما وأردت أن أخفيه تواضعا لظهر ذلك مني في تعبير. ولكني أتحدث على ما أعلم، على ما أدرك، على ما يقذف في قلبي، وفي عقلي، وفي نفسي، وفي إدراكي، وفي روعي، على ما أستنتج كما تستنتجون، وعلى ما ألاحظ وأتعلم كما تلاحظون وتتعلمون. أنا كأحدكم تماما، ولكني لا يصدر عني إلا ما يقوم في نفسي بطريق الكسب العادي كما تكسبون وكما تدركون. وهذه صفة المسلم، إن كنتم من المسلمين. قد يكون لي من المعرفة أو الإدراك ما هو دقيق، وما هو مرهف، لا بأس في ذلك، وليس هذا بمحرم علي، وليس هذا بمحرم عليكم، وليس هذا بمحرم على أي إنسان. إنه ثمرة فطرية لمن يقوم في دين الفطرة، وإن إنسانا منا لا يليق أن يتحدث بإدراك غيره. لا تنقلوا حديثا عني إطلاقا، أدركتم أم لم تدركوا، لا تتحدثوا بأني قلت، فإن حديثي يفهم عند كل منكم بفهم وبإدراك على مستوى من المستويات. ولكن قولوا بما تدركون أنتم والطريق

فياضة عليكم ما صدقتم، وإذا كنت أقول إنكم لستم مدركي، فلست أقول ذلك متعاليا أو متكبرا، ولكن هذا هو طبيعة الأشياء. إن كل كتاب يؤلفه صاحبه مرة، ويؤلفه قارئه على إدراكه في كل قراءة مرة. فإن الكتاب المؤلف بإدراك مؤلف مرة، يتألف بعدد قارئيه، ويتألف بعدد قراءتهم له. فكيف يمكنكم أن تنقلوا عني حديثا تقولون هو قال، وما نقلتم إلا فهمكم وقت سماعه، وقد تفهمون هذا الذي استمعتم إليه المرة بعد المرة، بفهم جديد وجديد وجديد؟

فلا يليق إذا أدركتم هذه التعاليم، أن تنسبوا أي حديث لأحدكم، أو لي بالذات. ولكن تحدثوا أنتم بوحي ضمائركم، وبوحي أنفسكم، حديثا منسوبا لنبع ذواتكم، لنبع عقولكم، واستعرضوا هذا الذي تتحدثون به، وتتحدثون فيه، على كتاب الله وعلى سنة رسول الله، وأن حديثا للطريق يصدر عنكم وتدركون أن له في نفوسكم وضع ومكانة، وتنسبونه لأنفسكم كأهل علم، فاعلموا أنه قد لعب الشيطان بكم، وأنكم في هذا الحديث لستم إلا أولياءه، وأنه هو المتحدث في حديث أنفسكم، بعيدا بكم عن هدي كتاب الله، وعن قيام أمر رسول الله، وعن إلهام أمر الله في دين الله.

إذا كنت معلمكم شيئا فإني معلمكم أدب العلم، وأدب الفهم، وأدب المسلك، وأدب العلاقة في الأخوة معي، والأخوة مع بعضكم البعض. ليس من الأدب في شيء أن يزعم أحدكم أنه على شيء بالنسبة لأخيه. فإذا كنت أقول لكم أنا وإياكم على باب الله نتعرض لنفحات الله، ونرجو أن يكون لنا من الله حظ من نور أو بصيرة أو بصر، فكيف يزعم أحدكم أنه على شيء من ذلك مع زعمه أنه متابعي! وإذا كان هذا الذي يتابع يقول كذلك، فكيف يقول لنفسه ما لا يقول به لنفسه المتابَع؟

إنكم إن تابعتموني فتابعوني على أدبي معكم، تابعوني على أدبي مع الله، تابعوني على أدبي مع أصحاب رسول الله. ولا تزعموا أنكم فهمتم مما أتحدث به عن صحابة رسول الله، فإني إذا جعلتهم موضع معرفة أو موضع حديث أو موضع مقارنة أو موضع فقد عن كمال منشود أو موجود من علم أو من معراج أو من حقيقة، فإنهم مصابيح كتاب الله في معارجهم، ومصابيح صفات رسول الله في سيرهم، وهم كلمات كتابه، وحروف كلماته، وخلايا ذاته، لا نحقرهم ولا نهينهم، ولكنا نكبرهم ونعظمهم، وندرك مكانتهم. ولكننا نجعل منهم موضوعا لحديث حتى يمكنكم أن تفهموا نعمة الله عليكم التي تجحدون، وحتى تدركوا أنكم في زمان تسمعون فيه حديثا مما كانوا يسمعون. إذ أن السماء تدانيكم في رسالتها من عالم الروح مداناة عصره، وأن هذه إفاضات من حقائق السماء تشرق على الأرض حتى نتعلم وندرك ونفهم ما هي هذه الإنسانية وما ماهيتها؟ وكيف يتعرض أهلها للانزلاق؟ وكيف يتعرض الإنسان من أعلى عليين للمسير إلى أسفل سافلين؟ وكيف أن الإنسان في أسفل سافلين لا

ييأس من رحمة الله تتدانى إليه، وتتساقط عليه وتأخذ بيده منه فترفعه إلى أعلى عليين.. نتعلم أن الملأ الأعلى لا سماء ولا أرض له، وأن الإنسان في حال كماله لا يمتنع على الأرض كما هو في السماء.

إنا جعلنا من أصحاب رسول الله مواضيع للمعرفة، ومواضيع للعلم، لا مواضيع للإهانة أو الهوان. وإذا كنا نتحدث عن كتاب الله بالإكبار، وإذا كنا نتحدث عن عقول الناس في فهمها لكتاب الله بالتحقير فإنا لا نحقر عباد الله ولكنا نحقر مفهوم الناس لا عقولهم التي عطلوها لأن الناس الذين يفهمون كتاب الله على أنه ورقات، وأنه رسوم من حروف، أو أنه أصوات ونبرات، فهؤلاء كتاب الله من فهمهم بريء. ودين الله من عملهم بريء. إنا نكبر كلام الله عن فهوم أمثال هذا الفريق من الناس الذين يتحدثون بكتاب الله ولم يمس قلوبهم نوره، ويجرؤون على كتاب الله ولم يحيوه. أين هم من كتاب الله وأين هي معيته لهم؟ يجب أن تتابعوني في أدب مع الله وانكسار له، وإذا كنت قد تحدثت إليكم حديثا ناقدا قويا كما أتحدث إليكم الآن، فلا يزعم بعضكم أنهم مني على مكانة تخولهم أن يمثلوا هذا فيقفون موقفي أو يتحدثون حديثي محاكين، لا منفعلين ولا من قلوبهم موجهين. كيف تصل بهم أوهامهم وهم لم يرتقوا من تراب الأرض بعد أن يجلسوا أنفسهم باسمي، فضلا عن اسم الله، أو اسم النبي مجلس الحكمة من الناس؟ لأنهم وقد رأوني في حمية من دين أو حمية من معرفة تفوهت ببعض قوارع من كلمات، فيجلسون أنفسهم بها مجلس البيغاوات! إنهم يهلكون أنفسهم بذلك مع الله، ويباعدون بينهم وبيني، وبينهم وبين رحمة الله، وبينهم وبين رسول الله، وبينهم وبين كتاب الله، وبينهم وبين الله، واهمين أنهم بذلك يقومون في دين أو يتقربون به إلى حق، وإنهم به يبتعدون عن الحق ويهدمون الدين.

الذل والانكسار.. الذل والانكسار.. إن هذا الدين قام على الذل والانكسار. إن محمدا الذي اختار أن يموت، وأن يحيا، وأن يبعث، على المسكنة ومقامها، مبتعدا عن الخلافة وهيلها وهيلمانها، كيف نزعم أننا له متابعين ونحن لا نأخذ بجوهر أمره في الدين! وإن طريق القوم التي قامت على الذل والانكسار كذلك، كيف نزعم لنا إليها انتسابا دون أن نقف منكسرين بالأبواب! ومنا من لم يعرف بعد الباب، ومنا من يجانب أو يقارف ما عرفنا من أبواب. فكيف نزعم أننا ولجنا الباب، وأننا كشفنا الحجاب، وأننا عنونا طريق الإياب؟ أين نحن من هذا كله؟

وها أنا أقول لكم صادقا أني أشفق على نفسي أن أعنون الطريق في أهل هذا العالم. أشفق على نفسي وأشفق على الطريق، وأكبر الطريق وأحقر نفسي عن أن تعنون الطريق. أين لها من الطاقة لتخرج إلى النور هؤلاء الهاوين من أصحاب العقول الغافلة المظلمة الملوثة الجاهلة البلهاء؟ إنه ليكفيني وأني لأريد وأطمع أن أعنون البلهاء على بلاهتهم، وأن أقرعهم بأحوالهم حتى يفيقوا، وأن أُبله بينهم

أبلها من أمثالهم يستعملني الله لخيرهم على ما يستعملني من رحمة أو قضاء، وعلى ما يريد هو لا على ما أريد أنا، وعلى ما يعرف هو لا على ما أعرف أنا. إن الله لم يحقق لي ذلك - إن كان محققه - بعد، ولكن هذا فهمي وهذا رجائي.

وإني لا أطمع أن أعنون طريقا بعد أن عنونته روح السماء حكيمة، مدانية، مقاربة، متحدثة، معلمة، مرشدة، قوية، فاعلة. ولكني أطمع أن أكون بين طارقي هذا الطريق المقارب المداني جنديا من جنودها مسلما يتواصى بالحق فيه وبالصبر معه، وإني لأرى رحمة الله تتساقط على الناس بما هو له أهل، ولكن الناس كما هم له أهل، في غفلة يباعدون بينهم وبين يد الله تمتد إليهم، يعطون يد الله أقفيتهم، ويعطون وجه الله ظهورهم، ولا يتقدمون بأواني ذواتهم لتدفق ماء السماء. يبتعدون بأوانيهم ومواعينهم عن ميازيب الله تتدفق بينهم وتقاربهم وتدانيهم بحقائق الله تكشف أو تقيم الحق فيهم، راغبين في أوهام أنفسهم عن أوثان من أوثان عقائدهم. يطلبون الله في موتى الناس، ولا يطلبون الله في حياة أنفسهم، قائما معلما. ولا يطلبون الله لأنفسهم وهو على أنفسهم، وفي أنفسهم مدانيا بروحه، متدفقا بنوره، مقاربا برحمته. ويزعمون مع ذلك أنهم فقهاء دين، أو أنهم على دين، أو أنهم في دين. وما هم في فقه من فقه دين. وما هم في دين وما فيهم من دين. هذا هو الحق الأبلج وعين اليقين.

نسأل الله أن يعرفنا بأنفسنا على حقيقتها، وأن يعاملنا بما هو له أهل على حقيقته، ونسأله أن لا يجعل لنا من أنفسنا بقدرته خدعة، وأن لا يحرمنا بفضله ومَنِّه وكرمه وجوده مما هو فيه من حكمة، وأن يرفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما هو به أعلم، وأن يعافينا مما نحن له أهل إلى ما هو له أهل، وأن يدفع عنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقه، بكرمه وجوده وعزته، وأن يرزقنا الأمن والسلام في ديننا، وأن يأخذ بيدنا، وأن ينير بصيرتنا وبصائرنا، وأن يدفع عنا، وأن يرزقنا السلم والسلام في أنفسنا، وفي ديننا، وفي بلادنا وفي أرضنا، وفي قومنا وفي إنسانيتنا، وأن يأخذ بيد جمعنا وجماعتنا إلى ما يحب ويرضي على ما يحب ويرضي ممن أحب ورضي، وأن لا يجعل لأنفسنا في أمرنا عنده دخل، وأن لا يجعل منها علينا دخل، إنه قريب سميع مجيب الدعاء.

أضواء على الطريق

(عندما بدأنا عملنا احتقرَنا الناس. ولكنا ما لبثنا أن جئنا بأكثر فأكثر منهم إلى محيط تأثيرنا الروحي. وانتقلنا من استعمال المناضد إلى استعمال الأجهزة البشرية، وهبطت قدرة الروح على هذه الآلات أكثر فأكثر، فاتسعت الدوائر الروحية وانتشرت. وجئنا على التدريج أيضا برجال العلوم والطب والفلسفة والدين من كل ناحية نشاط في عالم المادة حتى يتمكن الجميع من المساهمة في الحقائق التي

هزمت المادة الزائفة التي أصبحت منتشرة، وللسير مع الحقائق التي هدت إلى الطريق الجديد السامي لفهم الحياة، ولتشارك في الحقائق التي جعلت عصا الموت تلقف ما صنعته المادية. وفي وقت قصير جدا أصبح (مديرو المناضد) الحركة الوحيدة في العالم التي يمكنها إنقاذ الدين من التعفن.

انظروا إلى ذلك الدرس، وتأملوا فيما أنجزنا في أقل من قرن، وتصوروا ما يمكن إنجازه في الأيام المقبلة علينا. إن المهمة الخطيرة اليوم هي أننا نريد أجهزة أكثر. نريد أجهزه عندهم الثقة الكاملة في قوة الروح لترشدهم وتلهمهم. نحن نريد كل الذين لديهم هذه المعرفة أن يستخدموها حتى يمكن أن يستفيد منها الآخرون، وحتى يشع الحق ضياءه في الحياة المظلمة.

نريد تطبيق هذا الحق في الحياة اليومية حتى يتمكن كل الناس من معرفة دعاته بفضل الحياة التي يحيونها، وإدراك أنهم رسل إلهيون فعلا لما في خلقهم من استقامة واعتدال، وعندئذ نحن نطلب منهم أن يسيروا جميعا في الحياة، ويطبقوا تلك المعرفة في كل ناحية من الحياة البشرية. نريد منهم أن يقوموا أنفسهم أولا، ثم يكيفوا أنفسهم بعد ذلك لمهمة تقديم الخدمة للآخرين، لقد تم إنجاز أكثر مما يمكنكم رؤيته.. ولكن هذا لا يساوي شيئا إذا ما قورن بما سيتم عمله في الأيام التي أمامنا) ... أو أاااا

السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الكهف - ٥

٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

(٣)

المؤمن قبلة المؤمن في الدين وفي الصلاة وفي اليقين

حديث الجمعة

٢ رجب ١٣٧٩ هـ - ١ يناير ١٩٦٠ م

أشهد أن لا إله إلا الله.. أينما نولي فوجهه.. وكيفما نقوم فحكمته.. ما علمنا منته.. وما رحمنا فضله.

أشهد أن محمدا عبده ورسوله. أرسله منه رحمة للناس في عوالمهم، ورحمة بالكون في ذاته. أسأله التوبة والمغفرة لي ولمن سمعني وللناس، فضلا منه ومِنَّة.

عباد الله: ارجعوا إلى الله بإرجاع ذواتكم لوجوده، وإرجاع حياتكم لروحه، وإرجاع مداركم لرحمته، وإرجاع قيامكم لكرمه. وآمنوا كما أبلغكم أنه على كل نفس قائم بما كسبت. واحذروا أنفسكم أنها بما كسبت رهينة.

{ن والقلم وما يسطرون}[١] إن كينونتكم في نون معناكم وسفينة نجاتكم. وأنكم خالقوا أنفسكم بعملكم، بعمل قلوبكم، بكسب قلوبكم، نشأة أخرى، بما أودعكم من سره، وائتمنكم على أمره في ذواتكم، وأنه آخذ من ظهوركم ذريتكم، ومشهدكم على أنفسكم، أصولا وفروعا. فشاهدوا الله محيطا، من وراء ذرياتكم، ومشهودين به لذراريكم وجها لله محيطا من ورائكم.

فإن خيرا فعلتم فأبناءكم أورثتم وبأبنائكم قمتم {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[٢].

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[٣] . كلكم رب وكلكم مسئول عن مربوبه. إن الله معكم أينما كنتم، وإن الله معكم في حياتكم هذه، وإن الله معكم في حياتكم ما قبل هذه، وإن الله معكم في حياتكم ما بعد هذه. إذا لم يذكر الله الإنسان لا يوجد. وإذا لم يذكر الإنسان الله لا يعرف.

{فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا}[٤] اذكروه بقلوبكم ولا تقتصروا على ذكره بألسنتكم، (فإن ذرة من عمل القلوب خير من أمثال الجبال من عمل الجوارح)[٥].

ها أنتم اليوم تبدأون عاما جديدا من أعوام حياتكم، وتفارقون عاما سابقا من أعوام حياتكم. ما تحدَّد ما بين العامين من انتهاء لأولهما وابتداء لثانيهما، إلا بذكرى تذكرونها لوليدٍ. هذه الذكرى لهذا الميلاد حددت الأعوام، وهيأت عدَّ القرون والأيام، وحصرت في السنة الشهور والفصول. وإن كلا منكم ليولد فيبدأ بمولده زمان، ولكن الفارق أن ذكر زمان هذا الوليد لم ينتهِ ولكن ذكر زماننا بموتنا ينتهي لأن القلب الحي لا ينتهي، ولأن الوعي الحي لا ينقضي، ولأن الذات الحي يرفع لا يُقبر. من رفع ذكره كان جنة عند الناس قبره. فهلا جددتم سفينة أنفسكم؟ وأحييتم عالم ذاتكم؟ ونشرتم رسول عقولكم؟ وحررتم روح حياتكم؟

بهذا جاءتكم الرسل حاملة البينات والآيات. فما أفلحت البينات ولا تركت أثرا الآيات. فبعث الله من بينكم رسولا من حقيقة أنفسكم، عقلا مستكملا وإدراكا محيطا وكلمة بالغة بأمر الله في أمره لا يُدين، ولا يغلق دون الناس من أبواب نفسه عن نفسه بابا، ولا يقطع ما بينه وبين الناس صلة وأسبابا. أمته مذنبة وهو الرب الغفور ربا للناس، ملكا للناس، إلها للناس، غيبا على الناس وجها لربه ومظهرا لأمره وحقا من حقائق قدسه، دب على الأرض جيئة للحق ومعركة مشنونة على الباطل. به زهق الباطل عند مستقبل الحق فيه. كلمة تمت لله أمسكتها يد قدرته، وأدبتها روح حكمته، رحمة للعالمين، وأسوة للناس كافة. أسوة تُرتضى لا تَشُق في تكليف، ولا تُعجم في تعريف. لا ينقطع بين الناس عملها، متجدد فيهم أثرها دارا رحبة وبيتا مفتح الأبواب لطارقيه، والنوافذ لساكنيه، يتسع للأرض وأهلها، لا بل يتسع للعالمين. أذن له أن يعلن جيئة الحق في جيئته، وأذن له أن يعلن أمر الله في أمره. فبشر ما نفر، ويسر ما عسر، ووصل ما قطع، وعن الوصل ما انقطع.

فماذا أفاد الناس؟ - إلا من رحم - وقليل ما هم وقليل الشكور. والكل برسالته في ساحة الغفور. في ساحة الحليم. في ساحة الكريم. في ساحة الودود.

ما عرض عليه أمران إلا اختار أيسرهما حتى يكون للناس حظ اقتدائه في ذاته وفي آثاره، وحتى يكون للناس حق اقتفاء أثره إذا تعذر عليهم خبره، أو تعثر العقل في إدراك جديده، أو توانت النفس في السعي عن باب من أبواب داره، بيتا موضوعا للناس لا يتهدم ولا يهدم.

أهله فيه لله عاكفون، وأهلهم حوله يطوفون. يذكرون الله، وغيره بالفضل لا يذكرون. ويعرفون رسول الله في رسالة الله لا بداية لها ولا نهاية لها. قديمة بقدم خالقه، متجددة بتجدد خلقه.

شرفت - بتواجده بينها - البشرية. واكتسبت به دائم معناها، وبه جددت منقضَّي مبناها، إلى قوي وشامخ مبناه، في شجرة من الجنس لا يُدرك غور جذورها، ولا يبلغ إلى منتهي مرتقاها.

جعل الله منه لنا مثالا لابن آدم، الجدير بأن يكون حقا ابنا لآدم تنزه به علينا آدم، ومثالا لابن الإنسان الجدير بالوصف، والإضافة إلى الإنسان اسما لله وعلما عليه. تنزه به علينا الإنسان.

فتح لأبناء آدم معراج الرقي ليكونوا في الله أوادم، وحمل إليهم البشرى أنهم بذلك يجددون آدم في أوبته وفي رجعته وفي كلمات الله إليه.

فماذا بعد هذا يطلب الناس؟ وقد كشف لهم رسول الله، رسول ربهم، وجه ربهم، عين ربهم، يد ربهم، قيام ربهم، أن الساعة هي انتهاء المنتهي عما حرَّم الله، وقيام القائم فيما أمر الله، وفي تلبية الملبي لنداء الله، فما الساعة إلا إلى ربه منتهاها. وربه يطلب الناس جميعا رضي عنهم وأحبهم. وما بقي إلا أن يرضوا عنه ويحبوه، ويسألوا رسول الله بينهم، من عباد الرحمن، من الخبيرين برحمته، فيعلموهم أن الله منهم قريب، ويعلموهم هذا القرب ويفتحون لهم كنوز أنفسهم فيه. يفتحون لهم مغاليق أنفسهم. يفتحون لهم بيت الله في قلوبهم. ويرفعون الستر عن وجوههم ليشهدوا في مرآة أنفسهم وفي مرآة المؤمنين وجه الله متجليا في وجوههم وبوجوههم.

إن الله الذي هو من ورائهم محيط، الذي هو أقرب إليهم من حبل الوريد، والذي هو قائم على كل نفس. تسمى لهم مؤمنا وسمى رسوله مؤمنا. وأسماهم بالمؤمنين فشاركهم وصفه وشاركهم وصفهم ورسوله. وجعل شهادة وحدانيته، وجعل إدراك وحدانيته، وجعل قيام وحدانيته، أن يكون المؤمن مرآة للمؤمن من رسول الله ومرآة للمؤمن من الله ومن الناس. {إن الله لا يغفر أن يشرك به}[٦] أما ما دون ذلك فهو له غافر إن شاء، وله مُقوم بعذاب إن شاء. إن العصا لمن عصى والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة.

{الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه}[٧] أما الذين{يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت}[٨] فإن شدة الموت آتية بما ينكرون. فما جاء محمد والنبيون من قبله بأفضل من شـــــهادة أن لا إله إلا الله، وما قام قائم ببيان في أفضل من شهادة أن لا إله إلا الله، وما شهادة أن لا إله إلا الله إلا إدراك وحدانية الله، بالإيمان به قائما في قيامك قيوما على قيامك، مقيما من قيامك، ما به يعظك وما به يرشدك.

وإن الله بادئ الخلق مع كل مخلوق. وما بَعْثكم وما خلقكم، وما إنشاؤُكم، إلا كنفس واحدة، وما خَلقَكم الله، أناسِيّ أو غير أناسِيّ إلا لتكونوا عبادا له.. أي تعبِّدوا أنفسكم لقربه، ولكشف الغطاء عنكم، فتحيطون بمعرفته تعلمون عنه، وتأنسون به، ويُعَلِّمُ بكم ويُؤنس به في الأنس إليكم. وقد كرمكم

أبناء لآدم الذي خلقه على صورته. من سابق تجلٍ له. بإنسان من إنسانية حضرته. تعالى الأكبر في عظمته.

ضَرب لكم بابن مريم مثلا وجَعل من علاقته بأبيه، ومن علاقته بربه من علاقته بأصل أمه ونشأته بآدمه.. جعل به مثالا لآدم في غيبه عن إدراككم وقد تمت كلمة الله بمعناها - علما على الأقدس- على المثل المضروب منكم بينكم لمبناها، بالبيت الموضوع، تمت كلمة الله بمحمد. فكان اسما لله وكلمة له، وحقا من حقائقه، أودعه اسمه الرحمن الرحيم بلا رفع عن الأرض والبشرية، وقد أنزله من قبل مع كل نبي ليعمل به، وأنزله على محمد ليقوم به، وليدوم في دوام تجدد الجنس باسمه.

يصطفي من الناس متكاثرا، في تقلبه بالسجود، تخلقا بأخلاق ربه في اصطفائه لآدم من قبل.. معلما الناس كلَّ ما علم - على مكث بينهم - كلا منهم وما تأهل له، إبرازا لقديم أو إنشاءً من محدث.

جاء وجاء معه قُدامى بعثا كما بعث. وهيأ الله له من ناشئة الليل من يصطفيه نافلة له حتى يضرب المثالين من بعث لخليقة وبدء لخليقة. بُعث معه مبعوثون في صحبته وتخلق معه مخلوقون مع خلقته، فكان مجمع البحرين ببعثه ونشأته. جعل منه الله جنى الجنتين دان من فعل الله بعطائه ومن كسب الإنسان له ببلائه. وأعطى الناس به جنة عمل وجنة جزاء، وضاعف بجنانِ مِنَّة وجنانِ معنى. وتجاوز به - وقد جعل النار جنة - لمن صاحبه فقلبها، وقام عليها بأمر الله لا بأمرها. فكان للناس به جنتان ما اتقوا الله وما آمنوا به. وتجاوز العطاء كما تجاوز البلاء إلى حضرة لله، ليس فيها إلا نعمة الله. ليس فيها إلا وجه الله. ليس فيها إلا كرم الله. ليس فيها إلا وحدانية الله. ليس فيها إلا الله. (جنة لله ليس فيها غير وجه الله يضحك)[٩].

شاهد ومشهود موجد وموجود. شغل الموجد بما أوجد من عبده وشغل الموجود بما شهد من ربه شغلا عن ما من دنياهما بل ودناهم، وعن مدرك من أخراهما بل أخرياتهم إلى حق منفرد فيهما، فرد: هو الأرض والسماء. {جنات الفردوس نزلا لا يبغون عنها حولا}[١٠].

إن كل جنة لا يقوم فيها الله مشهودا لمشاهد لا ترتضيها قوى الوعي في الإنسان الواعي، ولا ترتضيها غريزة العبودية في الإنسان العابد. لا بل ولا ترتضيها النفس في الإنسان الطموح.

إن كل ما دون الله لا قيمة له. إن كل ما سوى الله لا غناء به. ولكن من عرف الله فكان غناؤه، ومن رضي الله فكان بلاؤه، ومن شغله الله فكان وعيه وكتابه، ومن أحب الله فكان قربه وجزاؤه، لم يفته شيء.

ومن طابت له الدنيا، ولم يطب له ذكر الله، فما حصل على نعيم. ومن طابت له الجنة، ولم يطب له طلب الله، فما طاب له قيام، وما طاب له تحقيق رجاء، وما طاب له صبر على بلاء، وما طاب له أمل في جزاء، وما طاب له سلام وإسلام، إنما هي خدعة النفس وضعف العقل وحُمَّة القضاء.

ليس في دنياكم أطيب من ذكر الله، وليس في دنياكم غاية أشرف من طلب الله. {فلا تغرنكم الحياة الدنيا من الآخرة}[11] {وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}[12]، وما الغرور إلا نفوسكم، وما الغرور إلا عقولكم وشهواتكم، وما الغرور إلا ضعفكم. إن كيد الشيطان كان ضعيفا - وما الشيطان إلا ذواتكم - فلا تلكأوا ولا تجاهلوا أن الله معكم.

إنكم تخشون قوانين وضعكم من قوانين قيامكم، وتخشون حكامكم، وما أقامهم إلا أنتم، وما أرهبكم منهم إلا فعلكم. ولا تخشون الله وهو أقرب إليكم من حاكمكم، إنه أقرب إليكم من حبل الوريد، إنه معكم أينما كنتم. {الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم}[13].

هذا هو مقياس ذكركم لله، فهل إذا ذكرتم الله وجلت قلوبكم؟! وإذا ذكرتم الله فلم توجل قلوبكم فما ذكرتموه، واعلموا أنكم لم تذكروه. وإذا لم تعرفوا عن أنفسكم بانعكاس بصائركم في بصيرتكم، وبصيرتكم في بصائركم فتشهدون غير مألوف طبائعكم مما عرفتم من آبائكم، فما عرفتم الله، وما وصلتم الله، وما شهدتم أن لا إله إلا الله، وما شهدتم أن لله بينكم رسول.

إن المريض إذا عرف أنه مريض فسعى إلى الطبيب وطرق بابه، خير له من أن يقوم ويسكن في موهوم من سلامة، حتى يفاجأن من الموت فجأة الندامة، لم يحرص على حياته ولم يعمل لسلامته.

لا تنفروا من قسوة الحديث فإنها قسوة الرحمة بكم من الرحيم بكم الذي شاء أن يرحمكم. فهل شئتم أن تتقبلوا رحمته؟ والذي شاء أن يدانيكم، فهل شئتم أن تدانوه؟ والذي ظهرت مشيئته بالرضاء عنكم والرضاء عن قيامكم، فهل ارتضيتموه؟ هل سعيتم إليه كما يسعى إليكم؟ هل رضيت نفوسكم به، كما رضي بنفوسكم له، على عدلها أو على ظلامها وظلمها؟

لا تحاجوا الله - وله الحجة - ولكن حاجوا أنفسكم بينكم، وتواصوا بالحق في حديثكم في سركم ونجواكم، حتى يتكشف لكم أمر نفوسكم من غفلتها، ومن قسوتها، ومن جفوتها.

واعلموا أنه ما تكشف لكم عيب من عيوبها، إلا أزاله الله، وهو القادر على إزالته، وأنه لا يكلفكم ما يخرج عن وسعكم. إنه لا يكلفكم إلا أن تدركوا ما في هذه الأنفس، على ما هي عليه من نشأتها، حتى يقلب الله لكم هذه الصفحة المدركة من كتاب ذواتكم ومعانيكم، لتشهدوا أخرى وأخرى.

فإنكم قد دخلتم هذه الدنيا بكتاب مرقوم، من فعل سابق صدر عنكم، وإنكم ميسرون فيها لما له خلقتم، وإن قلوبكم اليوم أقلام قدرة الله فيما إليه أنتم. فإذا ما تكشفت لكم قضايا أنفسكم، بعيدة عن حظيرة الله، مباعدة مجانبة بيت الله وقبلته.. إذا ما تكشف لكم ذلك، فتأسفتم على أنفسكم وفعلها ووصفها، كتبتم بقلم القدرة - من قلوبكم - في صفحات القلب البيضاء، كتابا جديدا تدخلون به أخراكم وهي دنيا جزائكم. ومنها تبعثون إلى أرض معادكم لمزيد في تطوركم.

هذا هو قانون الحياة، وهذا هو الدين، وهذا هو جوهره، وهذا هو ألفه وباؤه. فإذا لم يقم الدين على ذلك، فلا دين ولا صلاة، ولا نُسك، ولا تلاوة لكلام الله، أو لكتاب الله، وإنكم إن دانيتم كتابه على ما أنتم قارئيه، فإنكم من البعد عنه مستزيدون. ألم يقل لكم رسول قربه ـ (كم من تال للقرآن والقرآن يلعنه)[١٤] ـ ألم يقل لكم رسول صلته -(كم من مصلٍ لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا)[١٥]؟- الصلاة صلة بين العبد وربه - ألم يقل لكم ربكم في كتابه وهديه - هو {العروة الوثقى لا انفصام لها}[١٦]، {آمنوا برسوله}[١٧]،{صلوا عليه وسلموا تسليما}[١٨] ألم يبلغ لكم من القائم وملائكته عليكم أنه وملائكته يستقبلونه لكم مصلى إذ يصلون عليه منكم بأبوتكم بصلاتكم؟ ألم يطلب إليكم أيها الناس أن تستقبلوه مصلى وقبلة بصلتكم وصلاتكم وإسلامكم؟ هل توارثتم عن الآباء شيئا من ذلك في العقيدة اللهم إلا كلاما وألفاظا تتلونها ببغاوات؟ وقد قال لكم الرسول والعقل الكلي في حقيقتكم - (العقل أصل ديني)[١٩].

إن أحاديث هدي الرسول كثيرة فبأي منها عملتم؟ وأيًا منها على صورة حقيقية توارثتم؟ اللهم إلا الإنكار على كل ما يصلح به حاكم.

إن العقيدة والإيمان تتجدد في تجدد أنفسكم، وأنسجتكم، فكيف لا تتجدد بتجدد أرض نشأتكم، وأزمنة حيواتكم؟!

أتريدون أن تجعلوا الدين اليوم عند الشيئيين، مثلا أن كيف يستنجي المرء أبِماء أو بورقة؟! أما آن للناس أن يستيقظوا؟

أتريدون الناس الذين يريدون أو يحاولون أن يرتقوا السموات ويجوبوا ملكوت الله بمطاياهم أن يستقبلوا معكم قبلة من أحجار، ومن تراب الأرض، ومن فعل الإنسان في غرفة لا شيء بها وتقولون لهم هذا بيت الله. ولا وعي لما تقولون ولا لما تفعلون ولا لما إليه تتجهون! أي دين هذا الذي تريدون أن تقيموه في الناس؟ - ولم يقم لله دين في أنفسكم -

تجادلون الأمم بدين هو فيكم جيفة قذرة! جيفة منتنة بفعلكم لا طهارة فيها، ولا طيب لها، ولا إشراق منها...

إن من ليسوا في دينكم على زعمكم - يجلسون حول الموائد ينشدون الاتصال مع الروح، متخلين عن أنفسهم، لا بمنسك ولا بعبارة ولا بصلاة فتصلهم الروح مشرقة ترفع الحجب عن البصر فتجعله بصيرا وعن السمع فتجعله سميعا.

وأنتم تستقبلون القبلة نهاركم وليلكم لم ترفع عنكم حجب تجعل لكم بصيرة، ولم تجعل لكم آذان سميعة ليأسكم من الروح.. ووهمكم في الله.

سبحان الله! ما الدين؟ ورسول الفطرة يقول لكم (الإسلام دين الفطرة)[٢٠]، وها هو رغم أنف أهل كتابه وأدعياء الانتساب إليه قائم بالفطرة، مقيم لها فيمن لم يذكر اسمه ولم يقرأ كتابه ولم ينتسب إلى قومه.

إن الفاعل لذلك والقائم عليه إنما هو رسول الله وجماع رسالاته. إنه معنى الرسالة منه، إنه الحق المرسل من الحق المتعالي المتكبر، إنه الحق المقيد من الحق المطلق، إنه الحق المداني من الحق الكبير المتعالي، إنه الدين إنه الفطرة، {ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا}[٢١] فيوحى هذا الرسول بإذنه ما يشاء تخلقا بأخلاق ربه. إن الرسول إذا تخلق بأخلاق الله، وكمل فيه تخلقه كمال رسول الله قامت به صفات ربه من الحق الموصوف.

إن الذين يفرقون بين الله ورسله لا يعقلون ولا يدركون ولا يعلمون. إن الله لم يفرق بينكم وبينه عبادا له أو خلفاء له، وهو الذي يقول لكم أنا أقرب إليكم من حبل الوريد. فكيف يفرق بينه وبين رسله؟ وكيف يكون قربه من رسله؟ إنه منهم قاب قوسين، لا بل إنه منهم أدني من قاب قوسين، إنه لهم الذات والعين ليسوا غيره وليس غيرهم في الظهور، وليسوا غيره في الوجود والبطون. {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة}[٢٢]، يأيها الذين آمنوا تابعوا صراط الله المستقيم.. رسول الله الداعي له على بصيرة في ذاته وذواته متجددا منه على بصيرة. يقوم ويتقلب في جديده بقديمه. لله ساجدا، ولله داعيا، وبالله قائما.

فاذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون.

اللهم إنك تعلم بما نعلم وبما لا نعلم وأنت فينا بنا أعلم. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. اللهم ارزقنا الحكمة والرشاد والرأي والاستقامة والسداد، وجنبنا الفرقة والندامة والعناد، وكن بنا الرحيم وكن لنا الغفور. يا أرحم الراحمين ارحمنا.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا وعاملنا بعفوك ورحمتك.

لا إله إلا أنت منك البداية وإليك النهاية وبك القيام.

أضواء على الطريق

(فكروا في الكثيرين الذين أزعجتهم وأدهشتهم رسالتنا، وهم الذين أخذتهم الحيرة، وقد ارتبطوا بعقائد وفهوم لا يستطيعون الفكاك منها، موروثة عن انحراف آبائهم، مع أنهم يسمعون لصوت الحرية ينادي نفوسهم السجينة، وعقولهم في ثورة داخلية تريد أن تصبح حرة.

هؤلاء هم المقصودون بهذه الرسالة، والذين نأتي من أجلهم لنساعدهم على أن يصلوا إلى ما كان بعيدا من قبل عن متناول يدهم، ونحثهم إلى الاتجاه إلى داخل نفوسهم حيث كل شيء. إن الصدق كله ما هو إلا أول درجات السلم.

إذا ما نمت تعاليمنا في عالمكم فهذا معناه انتهاء كل الفروق بين الناس، وانتهاء الحواجز بين الشعوب، وانتهاء التمييز بين الأجناس وبين الطبقات وبين الألوان، وانتهاء الاختلاف بين الكنائس، والمذاهب والمدارس والطوائف والهياكل والمعابد والمساجد والمجامع، إذ أن الجميع سوف يتعلمون تدريجيا أن لديهم جزءا من صدق الروح الأعظم، وأن الجزء الذي يشرق في قلب كل ديانة أخرى لا يتعارض أبدا مع الجزء الجوهري عندهم، وأن سلطة الحقائق الروحية قائمة إلى الأبد، وأنه ما كان هناك محل للأخطاء لو سمح لنور الروح الصافي أن ينساب.

إذا سمعتم من بين شفتي الوسيط الذي أتكلم من خلاله ما يثير منطقكم، أو يتعارض مع حب الروح الأعظم، أو ما هو سفه أو مهين لذكائكم فاعلموا وقتئذ أن يومي قد حان، وأني قد فشلت).

عن السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة القلم - ١

٢ سورة الزلزلة- ٧، ٨

٣ حديث شريف: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". أخرجه البخاري، ومسلم، وأبوا دود، وأحمد، والترمذي.

٤ سورة البقرة - ٢٠٠

٥ مقولة صوفية.

٦ سورة النساء -٤٨

٧ سورة الزمر - ١٨

٨ سورة البقرة -١٩

٩ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة رواه مسلم في صحيحه، يصف حال عباد الله الصالحين يوم القيامة: "...فيكَشف الحجاب، فما أُعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزّ وجلّ." كما في الآية الشريفة: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} سورة القيامة - ٢٢، ٢٣.

١٠ سورة الكهف - ١٠٨:١٠٧

١١ سورة فاطر - ٥ ، سورة لقمان - ٣٣

١٢ سورة آل عمران - ١٨٥ ، سورة الحديد - ٢٠

١٣ سورة الأنفال – ٢، سورة الحج - ٣٥

١٤ حديث شريف نسبه الغزالي في (إحياء علوم الدين) لأنس بن مالك: "رب تال للقرآن والقرآن يلعنه."

١٥ حديث شريف ذات صلة: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا." أخرجه الطبراني في الجامع الصغير للسيوطي. كما أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"

١٦ سورة البقرة - ٢٥٦

١٧ سورة الحديد - ٢٨

١٨ سورة الأحزاب - ٥٦

١٩ عن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ا المحدث: العراقي، وصفه أنه موضوع، وذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

٢٠ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}، والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.

٢١ سورة الشورى ٥١

٢٢ سورة المائدة - ٣٥

(٤)

موالد الكلمات
وتتابع الآيات

حديث الجمعة

٩ رجب ١٣٧٩ هـ - ٨ يناير ١٩٦٠ م

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. ولا إله إلا الله.

أفضل ما جئت به أنا والنبيون من قبلي، شهادة أن لا إله إلا الله. وأفضل ما جاء به الهدي، وأفضل ما جاء به العلم، وأفضل ما جاء به الكشف، وأفضل ما جاءت به المعرفة، وأفضل ما أدركه الوعي، الله أكبر.

تحتفل البشرية في هذه الأيام بمولد كلمة من كلمات الله على هذه الأرض، تجدد بها للكلمة على الأرض مولد. ولم ينقطع بها للكلمة على الأرض مولد. علَّمت الناس وعلمها الناس، فعرفوا بها جديدا من قديم، وعرفوا عنها قديما لجديد منها.. مثالا لآدم.

كانت للناس وكان الناس لها. فأنكر عليها الناس فخُرِموها. ولم يتابعها الناس فقطعوها. وتناساها الناس فما وصلوها.

ولكنها رحمة وخلاص ما قطعتهم. وسفينة نجاة لهم دواما وصلتهم. تجددت فيهم بذاتها بينهم رجلا منهم، يتحقق به فيهم لهم من الله رجاء، ويتوفر به لآبائهم من الله جزاء.

إنها حجر الزاوية. إنها بداية الحق للناس. وإنها نهاية الخلق من الناس. بها يقوم الناس. وبها - تقوم فيهم - يقومون بدورهم في الناس. إنها ثمرة الخليقة، وجزاؤها من الحقيقة. وإنها كحقيقة أصل لخليقة...

إذا تخلت عن وصفها من الخلق، رغبة في الحق، فتجددت من أثوابها في الخلائق، إلى عالمها من الحقائق، بدأ معراجها في الحق. فإذا ما استكملت في معراج الحق حقيقتها، أحبت أن تعرف - لنوعها من خليقتها - فجددت بمكنتها خلقها بالاصطفاء من سابق تواجدها في خلقيتها.

إن الكلمة في تمامها، اصطفت لنفسها من أديم نشأتها في قديم أنانيتها، اصطفت آدمها، على مثالها وعلى صورتها، وعلى حقيقتها.

إن كلمة الله هي المرادة في مقال الهدي الرباني من أن (الله خلق آدم على صورته)[1]. نعم على صورته، لأن صفوة الآدمية، وصفوة البشرية، منتهية إلى تواجد كلمة لله منها، هي خلاصة الأشياء، وصفوة الأحياء، وغاية الحق من خلقته للخلق...

وأن الكلمة المثمرة المنتجة المستخلَصة من الوجود المادي المخلوق، كان الوجود المادي المخلوق أصلها، وإن كان في حقيقته من قديم مثالها فرعها. فإذا أرادت أن توجد فرعها منها على مثال من أصل لها اصطفت من الخلق لنفسها. وفي هذا المعني ومنه وبه يشير الكلمة عيسى عليه السلام إلى أحد حواريه بقوله (على هذه الصخرة أبني كنيستي)[2]. ومن هذا المعنى وفيه وبه يقول الكلمة التامة - محمد به الصلوات - مشيرا إلى عَليَّ، هذا باب مدينتي، من كنت مولاه فعليّ مولاه! ولم يقل إني مولاه للوجود، ولا مولاه للشهود. كما لم يقل من قبله في ترتيب أزماننا الكلمة عيسى. فقد قصر أمره وكنيسته على صخرة من أصفيائه. فهي كنيسته وخاصته ودار جماعته. إنها مدينته. إن هذه الصخرة بابها ودليلها. هذا ما عناه عيسى وعين ما قصده محمد. إن العموم والشمول أمر محرم على كليهما. وإن مثَّله آدم في بنيه أصلا لأبنائه، ومظهر وجود، وأصل شهود، فما زال المحرم محرما عليه.. إذ قبل آدم مئات الآلاف من آدم، في تواجد لا بداية له، وفي تواجد لا نهاية له.

إن الشمول والعموم والإحاطة من شأن الشامل المحيط، الذي أظهر معاني الشمول في الوجود مقيدا فيه. فهو المطلق الذي لا حد له، والواحد الذي لا عد له، والأحد الذي لا تعدد معه، والغيب الذي لا إحاطة به. إنه المعروف. إنه الموصوف في كل موصوف. إنه البعيد عن البال، العزيز على النوال، لا يُحاط به. ويُحاط بعلمه فيما حوَّط الانسان، بما أودع فيه من المعرفة والوعي، ورقة في كتاب، أو حرفا في كلمة، أو كلمة في حديث، أو كتابا في وجود، أو وجودا في تواجد، أو تواجدا في معروف، أو معروفا في مطلق، أو مطلقا في غيب.

إنه القريب حتى لأنت. وإنه البعيد حتى لغيب.

ها نحن اليوم نحتفل بمولد كلمة ربا لوجود. وقد احتفلنا في أمس بكلمة جامعة، وروح مؤيدة، وآدم ظاهر، وبداية لخلق مخلوقة خالقة، ربا لعالمين، وروحا لكلمات هي سر لأرباب لعوالم، ذاتا مؤيدة بروح من قدسه، هي في ذاتها كلمات لله تمت. وهو في روحها رحمة من الله عمت.

فما عرفت البشرية الكلمة، وما أدركت جماع الكلمات، وما واصلنا الحياة بالخلقة بفعلنا، تخلقا بأخلاق أصلنا، المتخلق بأخلاق أصله، من كلمة الله، المتخلقة بأخلاق أصلها من روح قدس الله، المتخلق بخلق أصله، من جماع صفوة الله، خروجا لاسم الله من كنزيته، وظهورا منه لخلقه في ثوب بصفات خلقه، على ما قديما خلقهم يتخلقون به، ويتحققون به، على صفات حقهم من حقه. قديما كأنهم، وقادما كأنه.

فما ظهر الخلق، إلا ظهورا للحق. وما تحقق الخلق، إلا ظهورا للحق. فلا خلق ولا حق. ولا حق ولا خلق. إنما الخلائق حقائق، وإنما الحقائق خلائق.

بهذا جاء العهد القديم، في صحائف الناس، في كتاب موسى، أو صحائف الناس من كتاب إبراهيم. وقد تجدد هذا مع محمد، جديدا لقديم، وما كان محمد إلا كتاب الله وقرآنه. وما كان بينهم إلا يده ولسانه، وما سار فيهم إلا قدمه من حقه، وعنوانا من خلقه لخلقه، على مثال من وجوده في حقه لحقه.

فما جاء الناس إلا جيئة الحق بينهم دائبة. كشفها ظهوره، وعنونها بعثه تطورا لذات من كلمة لله في البشرية، كلمة تتواجد من عبد الله. كما تواجد عيسى من أمة لله، وما خرج إلا مخرجه فقد كان شرفه أن يكون ابنا لآدمية. خرج مخرجه من مريم الطاهرة لم يمسها دنس الحياة الدنيا. من نفس آمنة مطمئنة راضية مرضية راجعة آيبة. وما كانت إلا وليدة وهب من الله.

هذه هي أمومة محمد بعينها وبعنوانها من مولد أمومة عيسى من مريم. وقد شرف الله عيسى، إذ يقول له يا {ابن مريم}، فما كانت مريم إلا شجرة قدس، وسدرة نهاية، أمة لله، وعبدا له.. فيحاء روحاء. يستظل بظلها ويجاب في ظلها الرجاء. فما خرج عيسى مباركا إلا من أمومة مطهرة مباركة مخرج محمد من نفس بوركت، وآمنت فأمنت، وكان منها الأمان، وفيها الأمان وبمحبتها الضمان، وبوليدها الخلاص والإيمان. فكان ابن آمنة أمن الناس كما كان ابن مريم رِيَّ الناس.

إن ذوات محمد أحواض وأوادم الحياة، وإن عيسى منه ماء الحياة. لا دينونة، إذا ما دخل البشر في القلب الرحب، والساحة السمحاء، من قلب كلمة الله يسوع. أما رحمة العالمين لا يدين ولكن يغفر للمدين فيقول (أمة مذنبة ورب غفور)[٣].

وإن مياه الحياة من سماء الفطرة، تنشق عنها عيون الأرض من حين إلى حين، تجمعت مياهها في أحواض الله من أمة محمد من أهل بيته في عليّ والزهراء وعترته من صفوة الناس في مثاليته.

ترك في الناس الثقلين كشفا لكتاب الوجود الأبدي القديم في مسطور من كتاب، بمرصوص من أحرف في كلمات، ومجموع من كلمات في سور، وجمع من سور في كتاب. بينها بيت العنكبوت

واهيا، هو بيت الجبروت طاغيا. وعنونت بيت الرحموت قريبا مدانيا، أولية بيوت على مثال من قديم، لأن بيوتا رفعت وسعدت ونصبت عاملة جاهدة، فاستقامت نيرة صاعدة، ثم استقامت إلى كسب النصب، وإلى تحصيل ثمرة التعب، فحنَّت إلى نشر رحمتها وإلى جديد من إيجاد في الخلق لكلمتها...

فبدأها إمام البيوت، وإمام النبيين، مدانيا إلى أرضكم، فكان بيته أول بيت وضع للناس - بعد رفع - جديدا من قديم لآدم هو بين آدم أصله القديم وآدم فرعه الجديد. يكمل القديم فرعا، ويتواجد به الفرع أصلا كشفا لناموس الله في عالم خلقه، عنوانا على ما أودع وأبدع في عالم حقه. ربوبية لعبودية وعبودية لربوبية، الله من ورائهما محيط، بلطيف الله يلحق الأبصار والبصائر من عباده وحقائقه. يشهدون جديد الله فيمن حقق من آبائهم وأصولهم من قديم خلقه. بعين الله فيهم، الله ورائهما المحيط.

بذلك يتعارف الله إلى الله. بذلك يتعارف جديد الله لقديم الله. ويتصل قديم الله بجديد الله. وتعالى الله في قديمه، وتعالى الله في جديده. كل من عليها فان ويبقى من كان وجهه من جديده على مثال من قديمه -{كل من عليها فان}[٤]- ممن أرادوا {أن يطفئوا نور الله بأفواههم}[٥] -جاحدين منكرين - والله متم نوره في الطاهرين الصادقين، فذاهب بالجاحدين - وباقٍ بمعناه من وجهه في الطاهرين الذاكرين غير الجاحدين، ويبقى وجه ربك. يعرفه الناس ربا للناس. ويعرفه الله للناس عينا للناس. يعرفونه عينا للناس بشهادتهم أن لا إله إلا الله، ويعرفونه ربا للناس، فيمن اختاروا للربوبية عليهم من الناس، ربوبية مرضية مختارة فيمن أظهر الله لهم بين الناس من الناس من عباد الرحمن من أهل رحمته معبدين أنفسهم لربوبية معلومة هي وجهه من ربوبية عباده، {يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[٦]. هذا ظاهر وصفهم وهذا وصف معناهم للدلالة عليهم. أما المُجتمِع عليهم فله فيهم شأن آخر وفهم آخر، مدرك عنده في نفسه في توحد معهم توحدا مع الله. وبطرق أبوابهم عروجا إلى الله، وقراءة كتابهم من أنفسهم كتابا لله، واستماع القلوب لأحاديثهم استقبالا لخطاب الله من عباد الله.

{وذلك دين القيمة}[٧]. وإننا إذ نحتفل في هذه الأيام بظهور حقيقة من حقائق الله بمولد ثوب من خليقته على مثال من خلائق، ما أجدرنا أن يكون هذا الاحتفال قرين بكاء وأنين على ما أضعنا من أمر أنفسنا، وعلى ما أضعنا من أمر ديننا.

ما أراد عيسى بموائده ملء البطون، وما أراد بمشاهده إدخال المسرة على العيون، وما أراد بآيات الله معه إعجازا للعقول. فما فَرَقَ بينه وبين الناس، ولا مَنَع ما به عن أن يكون بالناس، وقد أراد أن يكون بينهم مثلا أعلى لهم يحتذونه فما تمثلوه وما احتذوه. أغلقوا الطريق لا يسلكونه، وإلى ما يحقق

من مزيد من الله في معراجه، لا يتابعونه فيكسبونه. ولكنهم ألَّهوه وعبدوه. وما ألَّهو إلا أنفسهم عليهم، وما عبدوا إلا أنفسهم بعقولهم خلواء، وهو من فعلهم براء، وهو مما أسندوا إليه بريء. وليتهم عبدوه! وليتهم أدركوه! وليتهم ميزوه! وليتهم إلى الله كلمة منه ووجها له أضافوه! عبدا بذاته شهدوه، ووجها للحق بروحه تطلعوا إليه بروحهم فأدركوه وبالحق في أنفسهم وصلوه. ولكنهم إذ يزعمون الاحتفال بمولده والمتابعة له إنما يعملون على تأليه أنفسهم عليهم، يزرعون الشوك في طريقهم، ويخلقون القطيعة لقريب الله في أنفسهم. لا يدرون أي منقلب ينقلبون. وهم إن عبَّدوا أنفسهم لله فأشرق نور النبوة على عقولهم، فعرفوا العقل والضمير رسول الله الحي بين جوانحهم، فاستقاموا على الطريقة لسقاهم الله ماء غدقا.

ماذا يطلب الناس؟ وماذا يذكر الناس؟ وهم يحتفلون بمولد كلمة من كلمات الله سيدا وحصورا ومثالا مضروبا لأمة محمد. الكلمة الجامعة للذوات، والروح الجامعة للكلمات، والبيت الموضوع، من قديم مرفوع، والذي يرفع لكلم يوضع، دورة للزمان. ومحراب قدس للمكان، وقبلة مصلى لأهل الطلب والبيان، وبيت مطاف لأهل الأدب، وأرضا مشرقة بنور ربها لمن دفن نفسه في تربها من رهب.

ماذا أدرك الناس؟ أيُحتَفل بمولد الكلمات بموائد النزوات؟! ومجامع الشهوات؟ واقتراف السيئات؟! أهكذا يذكر أهل رحمته؟! أبهذا يشرف عند الناس عباد طاعته ومحاريب قدسه، وسفن النجاة بحكمته، وأيدي النجدة بعزته، ووجوه الجمال بطلعته، وأقدام المسير في ملكوته، وقلوب الخلاص من جبروته؟! أهكذا! بالمراقص، بالمطاعم، بالمساخر، بالنساء، بالفجور، بالخمور، بالملاهي، يكون الاحتفال بموالد الجَّد، بموالد الكد، بموالد النصب والوعد؟!!...

ألا يكون للعاقل في هذا عظة؟ ألا يتخذ منه المستقيم على كتاب من كتب الله، ومع نبي من أنبيائه، أو حكيم من حكمائه، ألا يكون له في ذلك موعظة؟

إن الذين يجحدون هذه المظاهر، وينكرون الحق في هذه المناظر - أيا ما كان لهم - فإنهم مجزِيون بحديثهم، مقدَّرون بمدركهم.

إن الفطرة والعقل أساس كل معرفة وكل وعي. وإن العاقل المفكر في دائرة الفطرة، وإن الساعي المدبر في دائرة الفطرة، إنما يغير شيئا مما في نفسه، وإن الله مغير ما به يوما {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[٨]. {والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا}[٩].

إن استقامة الإنسان على مدرك عقله، ومتابعته لحديث ضميره، إنه واصل به إلى الخير يوما. (استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك)[١٠].

إن الله معنا فراقبوا الله في أنفسكم.. هدانا الله وإياكم سواء السبيل.

لا تَعْبدوا أنفسكم معه في فتنة من حركات. ولا تَعْبدوا أنفسكم معه في فتنة من ألفاظ. ولكن عبِّدوا أنفسكم معه في وعي عنه، إنه أقرب إليكم من حبل الوريد. ولن يتحقق لكم هذا الوعي مستقيما إلا إذا أدركتم دماءكم تجري باسمه، وقلوبكم تخشع لذكره، ووجوهكم قد عنت لكلمته.

اذكروا الله واسألوه، وجاهدوا أنفسكم واستهدوه، فإنه بكم راحم، ولكم رحيم، وعنكم راض، وعن فعلكم متغاض، ولسيئاتكم غافر، ولناصح فعلكم قابل، فلا تظنوا به الظنون.

ولا تمنوا على الله، ولا تمنوا على رسول الله، ولا تمنوا على رسل الله، ولا على جديد الحق من قديمهم، إن به التحقتم، وله عرفتم. فما كان محمد إلا إماما لهم ولحقائقهم. وما كان محمد في البشرية غيرهم أو دونهم. فإنه وإياهم على جديد لهم متوال لا يزول ولا يحول، إن عرفتموه أو عرفتموهم، أو عرفتم منهم، فذروا البيع، والمتاجرة مع الله بالثواب والعقاب، واسعوا لذكر الله، وادعوا الناس لذكر الله، واحرصوا على ذكر الله. {وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما}[11].

اشهدوا أن لا إله إلا الله في طيبكم واستعيذوا بالله في طيبكم من الشيطان الرجيم في خبيثكم. فلا رجيم إلا معكم، ولا رحيم إلا عليكم. لا إله إلا أنتم ما شهدتم أن لا إله إلا الله. ولا أكبر على الأشياء إلا أنتم ما شهدتم أن الله أكبر. وقد خلق كل شيء من أجلكم. فلا تجهدوا أنفسكم وراء الأشياء، وقد خلقكم من أجله فلا تعبثوا بمعاني الحياة في معناكم - إن خلق السموات هو كبير خلق الناس فأنتم عاملون وقلب رسوله لكم جامع علما على رب العالمين.

فاعلموا أنكم عوالم الله في عالم الله من رسول الله، فيه تسيحون وفيه وبه تصبحون، وفيه وبه تمسون. ليلا تسكنون ونهارا تعملون.. وأعمالكم تكونون. وبها يوما تبعثون. وهي ما من الله تعطون، وعنه يوما تعرفون. فبالله تتحققون، وفي الله تتواجدون، وباسم الله تقومون.

اذكروا الله أينما تكونوا، وكيفما تكونوا، واعلموا أنه معكم بمشيئته على ما تشاؤون، وبرضوانه على ما ترضون.

فاقبلوا طريقكم إليه على ما رسمه لكم النبيّون، ولا تتابعوا طريقا أنتم له ترسمون.

واسألوا الله أن يكون لنا ولكم راحم. وأن يكون معنا ومعكم مسالم. وأن لا يحرمنا فيضا منه من المراحم ومن النعمة والمناعم.

ونسأله أن يوفق ويزيد من إيماننا به، لنا معنا قائم. ونستعينه أن ندخل كافة في السلم معه، بسلام نقيمه في عالمنا مسالمين، وخصام نجانبه في عالمنا لعباده مخاصمين، حتى يتم نعمته علينا بسلام وأمن آمنين. إن رحمة الله معنا، ورحمة الله هي الغالبة، ولها الغلبة على من يظهرون بالغلبة من الطاغين.

نسأل الله الرحمة والهداية لنا ولهم، والتوبة والمغفرة لنا ولهم. كما نسأله أن يولي أمورنا خيارنا فضلا منه علينا، وأن يمنع عنا عدله بالطاغين جزاء لنا، وأن يجعلنا من المغفورين عند أهل حضرته من المذكورين. فهو الرحمة والسلام والحياة، ومنه وبه كل شيء حمدا وشكرا لمولانا رب العالمين والآخذ بنواصينا إلى الخير فهو نعم المولى ونعم المعين.

أضواء على الطريق

إننا لا نقول لكم أبدا (لا تستخدموا منطقكم وآمنوا فقط).. وإنما نقول دائما (استخدموا ما أعطاه لكم روح الحياة العظيم، تفكروا، تأملوا، اختبروا، امتحنوا، إن كان ما نأتيكم به مذلا أو قاسيا أو سافلا فارفضوه) ...

لن تنقلب الدنيا الخالدة إلى وميض يعمي الأبصار، وإنما سوف يشرق نور الحقائق الروحية تدريجيا كلما ازداد انتباه الناس إلى المعرفة العظيمة التي نقدمها إحياء لما مر بهم وتركوه، وسوف نتمكن من إبرازها كلما تيسرت أجهزة أكثر لتستخدمها حكمة الروح الأعظم.

ويجب أن نذكر دائما أن الأمور الروحية تحتاج إلى تربية وتقدم مطرد، أما التقلبات الفجائية فإنها لا تستمر. وقد أريد بعملنا أن يكون دائما ونحن لا نستطيع أن نخدم إلا ويدنا مبسوطة بالعطاء.

عن السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "خلق الله آدم على صورته." أخرجه البخاري ومسلم.

٢ "وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا." (مت ١٦: ١٨).

٣ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرَأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ - لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

٤ سورة الرحمن - ٢٦

٥ سورة التوبة - ٣٢

٦ سورة الفرقان - ٦٣

٧ سورة البينة - ٥

٨ سورة الرعد ١١

٩ سورة العنكبوت ٦٩

١٠ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.

١١ سورة طه ١١١

(٥)

العقل الخالق والعقل المخلوق

حديث الجمعة

٢٣ رجب ١٣٧٩ هـ - ٢٢ يناير ١٩٦٠ م

الحمد لله.. المَانِّ بعزته.. المانح بالذل له.. القادر المقدر.. الظاهر الباطن.. المعلوم المجهول.. المعروف المجحود.. الموجد الموجود.. الموحَّد المتحد.. المعلوم المنزَّه.. القريب المتعالي.. الحبيب المتكبر.. الباحث عن عبده بحث العبد عن ربه، الشاكر المشكور.. الرب المربوب.. المعبود العابد.. لا موجود بحق إلا هو..

أعطانا خلقنا خالقا، وأخذ بنواصينا هاديا. قاربنا فتعلمنا مقاربته، وتعالى عن إدراكنا، فتعالت معانينا فينا، عن إدراكها لنا.

سبحانه وتعالى عما يصفون. شرّف العقل، وأعزه، وأكرمه، وأكبره، وطوره. أوقفه بين يديه، يده فيه وحوله، وقال له من أحدهما: أقبل فأقبل، مجيبا أمر الأخرى بأدبر فأدبر. وغير موضع النداء مشيرا بالإقبال فأقبل وحال الأخرى بالإدبار فأدبر. فأدبر بين يديه إدبارا وإقبالا إلى أحدهما أو عن أحدهما، لأحدهما، وبالأخرى مأمورا ميسرا.. ثم قال له استقم كما أُمرت.. فاستقام بينهما لا مقبلا ولا مدبرا.. ولكن ملقيا السمع وهو شهيد.. مهرولا فيه بينهما عن نفسه وإلى نفسه.

بالعقل في إقباله وبالعقل في إدباره بين يدي الله، تخلَّقت عوالم الخلق، فتخلقت الملائكة نورانية مقبلة من حركة إقباله، وتخلق عالم الجن مطيعا منفطرا من حركة إدباره. فالعقل يد الله المنشئة للعَالَمين بحركته. أما خلق الله البشرية فمن استقامة العقل على ما أمر، لا مدبرا ولا مقبلا، متابعا لما أدبر من فعله من العقول ببصره أو متابعا لما أقبل من فعله من العقول ببصيرته. وقف في مكانه ملقيا السمع وقد انتفع بالبصر والبصيرة، وأتم فيهما تجربته مشغولا بنفسه وما تتلقى بعد أن أرجع البصر كرتين، فانقلب إليه البصر خاسئا وهو حسير، وقد كشف الله عنه غطاءه، فأصبح بصره حديدا دَرَّاكا وقد لحقه اللطيف الخبير، بلطيف نوره، ولطيف أمره، ولطيف قدرته، ولطيف سره، فأبصر، فأصبح شاهدا ومشهودا. أصبح مشهودا من الحقيقة المحيطة التي استجاب لها بالاستقامة، وأصبحت

الحقيقة المحوطة مشهودة عنده، لأنه لا فرق بينه وبينها، وقد حققته بوصفها ليكون من جوهرها من سرها وجذوتها ونورها، فقام بسرها وجهرها وقد توحد معها وتوحدت معه، فأصبح الشاهد عين المشهود، والمشهود عين الشاهد، في كليها شاهدا ومشهودا.

هذا ما جاءنا به رسول الله، معرِّفا عن معناه من التقييد والإطلاق، عقلا كاملا وعقلا واسعا، وعقلا متسعا لعقول الخلائق، مقبلة عليه أو مدبرة عنه، من عوالم النور في جوهرها، أو من عوالم النار في مخبرها، وأنه جماع هذه الوجوه، وهذه المعارف، وهذه الكائنات، وأن هذا الذي هو له، وأن هذا الذي هو هو، وأن هذا الذي هو منه، إنما هو للناس جميعا من الله، غيب الوجود وظاهره، وسر كل موجود وباطنه.

فالناس في الله أيا ما كان اتجاههم، وأيا ما تلون باطنهم، فهم في الله والله لهم والله فيهم.

وإن محمدا عبده ورسوله، الذي عنون معاني العبودية له، وعنون معاني الخلقية منه، وعنون معاني الرسالة تصدر عنه مناديا إلى الحق، وتقوم وتظهر به ملبِّيا للحق. من معاني الحق تتجلى له إلى معاني الحق يتجلى لها وجها للحق لوجوه منه من الخلق. فكان طلعة لله ووجها له لوجوه لله في طريقها إليه والله من ورائهم محيط. فما دون وجهه المسربل بالجلال والإكرام، لا بقاء لوجه من وجوه الوجود، أو لكائن من كينونة قائم بغيره. ولكن الوجه ذو الجلال والإكرام هو صاحب البقاء وصاحب الدوام من {الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد}[1]. {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}[2]. (من رآني فقد رآني حقا)[3]. (إن الله يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه)[4]. {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}[5]، فيه منه تراه.

أي إله هذا الذي يبحث عن عبده؟! وأي عبد هذا الذي يبحث عن ربه؟! إن الأمرين في الإنسان. إن الإنسان يبحث عن رب له، كما أن الإنسان يبحث عن مطيع له، عن عبد له عن مجيب له.

فالإنسان هو الكائن ذو الوجهين الذي يبحث عمن يعلوه ليسجد له، ويبحث عمن يسفله ليعمل به. وقد حمل إلينا رسول الله عن الله، عن ربه -على ما عرفه -عن الله- وعلى ما اتصفه اسما له- (أنه ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[6].

فالإنسان إذا ما اختار لنفسه طريق العبودية لله فهذه طريق ميسرة. وإذا اختار لنفسه طريق العزة بالله فهذه طريق معسرة شاقة مرهقة. {من كان يريد العزة فلله العزة جميعا}[7]. من كان يريد العزة فإن {لله العزة ولرسوله وللمؤمنين}[8]. إن الله يمنح العزة لمن يعزه. ولكن طالب العزة إنما يسلك طريقا تعثر فيه من قبله أصل من أصول الجنس استهوته العزة فاعتز بها. فجاء وقت الاختبار فيها،

فنكبته العزة وأضاعت منه الفرصة وذهبت منه بالمجال. وفاز بها الضعيف. فاز بها الذليل. فاز بها من وضع نفسه دون المعتز ومن وضع نفسه دون مخلوقاتٍ ما كان يعلم أنها صنع الله به وأن الله به أوجدها. أما المعتز فقد ربطته العزة بها، فاستكبر عن التوبة، وعن الرجعة عنها، لأنها حقيقة، ولأنها غريزة. وقد امتزجت به فأصبح بها عزيزا، فاعتز بها على الأعز من العزيز الحكيم في ثوب ضعفه. وجادل بها عن نفسه عزيزة، واستأذن أن يعمل بها، وأن يكون اختباره فيه في مجال اختباره بسؤال الأعز معه من مجال قيامه ومن دائرة علمه سائلا بأن يعاد اختبارهما بعد التجربة. فأنصفه العزيز الحكيم. وأعطاه حقه وأقره على طلبه، فأزمع بها أن يغوي الأعزاء، فإن قسطه منها لوافر، وأنه بها عليهم لعزيز، وأنه مستجلبهم بها إلى ما وقع فيه من رؤية الغناء بها، إلا عبادا أدركوا الضعف مع الأعز حيثما وجد في وعيهم، وحيثما ظهرت له عزة، وضعفوا حتى مع مظاهر الضعف من أمثالهم. فتزاحموا على الضعف له متخلقين بما رضي لهم، وبما هيأ لهم أسبابه من مظاهر الضعف المبرزة لشرف العبودية له. فقام العزيز المنفرد بعزته حارسا على ضعفهم. فامتنعوا-على ضعفهم- على فتنة الأعز المختبر لأهل العزة. لا بل تركهم الحكيم على أمرهم في الضعف له، وحفظ عليهم ضعفهم فما زاحموا المعتزين في صفة ولا عطاء ولا في وصف ولا في وظيفة.

هؤلاء هم عباده. هم أقوى الأقوياء لأن الذي يقوم على حراستهم في ضعفهم، إنما هو أقوى الأقوياء. هو العزيز على الأعزاء. هو السلطان على الأقوياء. هو حكيم الحكماء. هو مدبر الأمر. هو سر الوجود وروحه. هو الغيب والشهادة. هو القرب والبعد. هو {ليس كمثله شيء}[٩]، وقد جعل في هؤلاء الضعفاء في مظاهرهم، أشداء القوى في بواطنهم. هم وعي الوجود. هم أمره وتوجيهه. هم من إذا فعلوا، كان فعلهم فعله. هم من إذا أرادوا كانت إرادتهم إرادته. هم من إذا سنوا كانت سنتهم شرعته، ومن إذا شرعوا كانت شريعتهم هديه وسنته، ومن إذا دبروا كان تدبيرهم حكمته. ومن إذا حكموا كان حكمهم إرادته. هم عباده الذين لا فرق بينهم وبينه. في قيامهم قيامته وقيام إرادته.

تأملوا رسول الله، وهو يوقف لبعض فعله من سنته، من صلاة القيام في رمضان وقد طابت لقومه، فيطلبون إليه الرجوع إلى فعله، يقومون معه فيه فيقول لهم خشيت أن يكتب عليكم. إنه يعلم كيف يُكتب عليهم ما يكتب، وكيف يرفع عنهم ما يرفع.

تأملوا رسول الله، وهو يؤدي الفروض قضاء بعد أوقاتها حتى يشرع لقومه، حتى يكون إتيانهم للمفروض على مثال مما فعل قضاءً إنما هو عمل مشروع وعمل مجاب مقبول.

تأملوا قول الله إذ يصفه قائلا أو فاعلا، وما ينطق عن الهوى {إن هو إلا وحي يوحى}[١٠] إنما هو الوحي يوحي. وإن هذا الذي تعرفون إنما هو وحي يوحي، وحي يمدكم. هو الوحي نفسه لكم. إن وحيه من نفسه {ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه. وقل ربي زدني علما}[١١]. {إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين}[١٢].

لقد علم وهو رسول الله في حقيقته بعد أن كشف الغطاء عنه له، أن مصدر الوحي منه، أنه هو الوحي، فتكشف له قبل أن يأتيه وارد منه، بطيف من نفسه، ما سيُحمل إليه، فيقال له منه لا تعجل بكشف أمرك، لا بل وعندنا لك ما هو أكثر من ذلك. قل ربي زدني علما، سيصدر منا قضاء بكشف هذا منك يوما. إنا نهيئك الآن إلى ما قبل ذلك من مصدر الوحي إليك. إنا نهيئك لأنفسنا.. إنا نهيئك لأنفسنا. إنا نهيئك لنا، أمرا ووجها ويدا وطلعة، وخلافة وحضرة، وحقا وتجليا، وشفيعا ورحمة. إنا نهيئك لما لم نهيئ له رجلا من قبلك في عالمك من كونك في بشريتك، وإن كان على سنن من فعل سابق لنا في قديم عوالمنا فَعلنا ما فَعلنا بك. وقد كتبنا على أنفسنا الرحمة وقد جعلناك منا رحمة لعوالم خلقنا، ولعوالم أمرنا، ولعوالم طلبنا، ولعوالم الغفلة عنا، ولعوالم الاحتجاب دوننا من عوالمك وعوالم ربك. أنت رحمة منا للعالمين، في عالمك من عالمنا.

تأملوه وهو يقول (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[١٣]. (أنا أقربكم إلى الله وأخوفكم منه)[١٤]. (أنا أعلمكم عن الله وأخوفكم منه)[١٥]

إنه أضاف وقاس قربه من الله مضافا إلى الناس من الحق، ولم يقس هذا مضافا إلى الله في معناه من الأزل. وإذ لا أبعاد لله عنده، ولا أبعاد لله عن الناس، ولكن معرفته لله، ومعرفته عنه، أنه تعالى في عظمته، وأنه في سعته، وأنه في رحابته، يتساوى قربه مع تعاليه في لانهائيه، ولكن الذي يقاس بالتفاوت، ويقدر بالمسافات والأمكنة، ويقدر بالأزمنة والعصور، إنما هي الكائنات فيه، بعدا وقربا عن معاني الحق فيها، فهو لا يعرف الزمن جل شأنه، فهو ما قبل الزمن، وما بعد الزمن. ولا يعرف المكان تعالت قدرته، لأنه قبل المكان وجوده، وبعد المكان وجوده. فكل مكان منه قريب، وكل زمان أمام ناظره قريب.

تأملوا حديثه إليكم وهو يقول {يرونه بعيدا ونراه قريبا}[١٦]. تأملوا وهو يتحدانا بشدة القرب بقوله {إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب}[١٧].

إن الصبح المراد في هذا المعنى، إنما هو فجر الحياة بالموت، وقد خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا. إن سكرة الموت بالحق الذي كنا عنه نحيد هي الصبح الذي ينبهنا إليه، ويلفت أنظارنا إلى شدة

قربه، والأعمار بيده. والإنسان منا إذا ما استيقظ وأدرك معاني المولد له في الموت عنه، إنما ينتظر بتدبره وعمله معاني الموت له، وهي فجر الحياة إن اجتاز هذه النافذة من عالم الدنيا، طفلا يقظا سليما معافا، أما إذا اجتازها وهو سقط، وهو علقة ضالة لم تتخلق في رحم الحياة الاعتبارية كان من (كل الناس هلكى)[١٨]، كما قال رسوله، ولم يدخل في الاستثناء، (إلا العالمون)، (والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم)[١٩].

فهل حرص الإنسان من الناس على نفسه؟ هل قدر وعرف أنه في هذا النوع من الوجود، إنما هو متواجد فيما قبل الحياة لأن {الدار الآخرة لهي الحيوان}[٢٠] في الحقيقة والواقع لو كان الناس يعلمون أمرهم وشأنهم؟ وأن الحياة لا يخلقها الله إلا بعد الموت؟ وأن الموت يسبق الحياة؟ ألم يقل لنا الله {الله يحيي الأرض بعد موتها}[٢١] ؟ وأن الذي أحيا الأرض بعد موتها، لمحيي الموتى؟ وأن هذه الحياة، إنما هي حياة الأرض وليست حياة الناس؟

فبدء الحياة لا يكون إلا بعد الموت، أما ما قبل الموت فهذا وجود لا يوصف بالحياة، ولكنه نوع متميز من الوجود، جامع لكثير من مثالية الحقائق، ومن مثالية المعاني، ومن الأوهام، يحملها القيام البشري في هذا النوع من التواجد، وعلى سبيل العارية أو الأمانة، لا على سبيل الملك، فإن أدركوها امتلكوها، وإن أدركوها حرصوا عليها، وإن حرصوا عليها اكتنزوها. أما إن غفلوا عن معانيها وحقائقها، وقاموا في أوهامها، فإنهم بعد الموت مفتقدو الحقائق، فغير واجديها في أنفسهم (الصيف ضيعت اللبن)[٢٢] وأدركوا قيامهم بأوهامهم.

فهذه الحياة على تفاهتها بين حيوات الإنسان في عوالم الله، حياة قيمة ظهرت فيها الأديان، وتحدث فيها الديان على لسان رسله، وظهرت وجوه الرحمن بإبراز عباده يمشون على الأرض هونا، يسالمون الجهلاء، ولا يعانون الأعزاء بأنفسهم، لهم دينهم ومن يتبعهم، ولخصومهم دينهم ومن يتبعهم. بهم يتميز الناس فريق للجنة وفريق للسعير.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الكسب والانتفاع بالرحمة والنعمة لما خلقنا له في هذه الدار وأهلها من العبودية له بحكمته ورحمته، وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير، وأن يهيئ لنا أسباب السلامة، وأن يجنبنا أسباب الندامة، وأن يولي أمورنا خيارنا، ولا يولي أمورنا شرارنا جزاء عملنا، وأن يعاملنا بعفوه ورحمته على ما وعد من غلبة رحمته، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائه، ببركة نبينا وسائر النبيين، ومرشدنا وسائر المرشدين.

أضواء على الطريق

) العقـــل أصـــل ديني)[٢٣] عن الرسول.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة محمد - ٢

٢ سورة الإسراء - ٨١

٣ استلهاما من الحديث الشريف: مَن رآنِي فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٥ سورة الأنعام - ١٠٣.

٦ مقولة صوفية.

٧ سورة فاطر - ١٠

٨ سورة المنافقون - ٨

٩ سورة الشورى - ١١

١٠ سورة النجم - ٤

١١ سورة طه - ١١٤

١٢ سورة التكوير – ١٩، ٢٠

١٣ حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسَّرَقُسْطِيِّ في كتابه" الدلائل "، والسيوطي في كتابه" الجامع الصغير"، وابن السمعاني في" أدب الإملاء "، وأبو نُعَيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان.

١٤ من معنى الحديث الشريف: "إنَّ أتْقَاكُمْ وأَعْلَمَكُمْ باللَّهِ أنَا." صحيح البخاري. أيضا "... ما بَالُ أقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إنِّي لَأَعْلَمُهُمْ باللَّهِ، وأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً." أخرجه البخاري ومسلم.

١٥ حديث شريف: "إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا." صحيح البخاري.

١٦ سورة المعارج - ٦:٧

١٧ سورة هود - ٨١

١٨ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم."

١٩ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم."

٢٠ سورة العنكبوت - ٦٤

٢١ سورة الحديد - ١٧

٢٢ وردت القصة في روايات مختلفة تلتقي في فكرتها الجوهرية: الخيرِ المُضيّع بالطَّمع، أو فيمن ضيع الفرصة وفوّتها. ورد المثل في (مجمع الأمثال) للميداني.

٢٣ عن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ا المحدث: العراقي، وصفه أنه موضوع، وذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

(٦)

السعادة

مفتاحها وطريقها وسرابها

حديث الجمعة

١ شعبان ١٣٧٩ هـ - ٢٩ يناير ١٩٦٠ م

يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد. من لا خير فيه لنفسه فلا خير فيه للناس. ابدأ بنفسك.

عباد الله: تأملوا في أنفسكم، واقرأوا كتاب الله بين جوانحكم، وتحسسوا آياته في أحاسيسكم. فالحق الذي تنشدون، والذي تذكرون، والذي لا تنكرون وله تعرفون، منكم قريب ولكم مجيب. فإذا لم يكن الحديث في الله، والفهم عن الله، يدور حول أنفسكم منه، والفهم عنكم فيه، فلا خير فيه. ولا حق فيه. ولا ذكر فيه.

وإذا لم يكن حديثكم عن رسول الله شارحا لكم أمر أنفسكم في الله، وأمر أنفسكم من رسول الله، وأمر رسول الله من أنفسكم، فهو حديث فارغ من الحياة ولا خير فيه.

إذا سمعتم لخبير عن الرحمن يتحدث عن الديان من الله، فهو إنما يتحدث لكم عن أمر لستم منقطعين منه، ولستم غائبين عنه، وليس عنكم ببعيد، فهو إنما يتحدث إليكم عن أنفسكم. وإذا تحدث خبير بالله عن رسول الله، عن عبد الله، عن الكلمة التامة في الله، عن الحق من الله، عن إشراق وجه الله، عن امتداد يد الله، فإنما يتحدث لكم عن أنفسكم، ما تكونون في الله، وما يكون الله فيكم، وما يكون الله بكم، وما تكونون بالله!

إذا لم يكن لهذا الحديث عمل فيكم من حرث أرض قلوبكم، وريها، وتلقيحها، وزرعها، وتعهدها.. إذا لم يكن في هذا الحديث ثمار تجني من هذه الأرض، وحب يحصد من هذه المزرعة، فهو حديث فارغ من الحياة ولا خير فيه.

فإذا ما تحدث صادق عن الله ورسوله، وكشف عن حقائق الله ورسوله، وتحدث باسم الله ورسوله، وأفاض من اسم الله ورسوله، وظهر باسم الله ورسوله، فهو إنما يتحدث إليكم عنكم لا عن نفسه، ولا عن الله ورسوله. تعالى الله ورسوله عما يصفون! وتعالى الله ورسوله عما يشركون! وتعالى الله ورسوله عما يزعمون!

فكل حديث عن الله ورسوله تحدث به متحدث باسم الله ورسوله، قائم باسم الله ورسوله، ملتصق لاسم الله ورسوله، إنما هو فيض كلمةٍ لله ورسوله، وترجمانا لله، ومظهرا لعظمته، وتدانيا لرحمته، فهو إنما يتحدث إلى الناس بما عرف وبما به شَرُف، بقدر ما أحاط في نفسه مما أحاطه الله به من علمه، فيما أحاط به من نفسه عبد الله ورسوله.

فإن كمل صدقه، فقد عرف وآمن وأيقن أن الله هكذا يفعل للناس، وأن الله هكذا يقوم في الناس، وأنه إلى هذا ينتهي الناس إذا استيقظوا من غفلتهم، وانقضى تعثرهم في مشيتهم، ولم يتوانوا عن القيام من كبوتهم.

إن إيمان الرسول عن الحقيقة يتقابل مع إيمان الناس عن الخليقة. وطلب الرسول لنفسه تتخلق، هو عين طلب الناس لنفوسهم تتحقق.

إن الرسول وهو العديد القائم، وهو الأزلي الدائم، وهو السرمدي الظاهر، وهو العبد الأزلي المرتضى، وإن كان كل الناس إلا أنه لا يختفي بين الناس له ثياب. وما خرج الناس في رحمة الله وعطائه - إذا أسعدتهم العناية - أن يكونوا له جلبابا. فهو القيام المتجدد في كل ساجد لله، وهو منقلب الخلق إلى معاني الحق، وهو معاني الحياة تطرق القلوب في هياكل الفناء من صور الخليقة.

إن الناس يبحثون عن السعادة. إن الناس يبحثون عن الحياة. إن الناس يبحثون عن المعرفة وكلهم ضال عن الطريق إليها، مباعد لها مظاهر، في مسيره إلى قبلتها. والسعادة، والحياة، والحقيقة، والعناية، والرحمة بين جوانحه قابعة، وهي في قلبه، وهي في نفسه، ولكن الناس لا يوجهون أنظارهم إلى هذا الأمر القريب، {ونحن أقرب إليهم من حبل الوريد}[1]، ويبحثون عنه فيما يحيط بهم من ألوان الحياة وصورها في هذا العالم.

يبحثون عن السعادة في المال، ويجدُّون السعي حتى يتحقق لهم كسب المال، وحتى يتراكم عندهم المال، فيعرفون أنه لا سعادة في المال. وبذلك يستهلكون هذا الجهد وهذا الزمان حتى يصلوا إلى هذه العبرة، وقد لا يصلوها حتى بعد أن يحققوا لأنفسهم الأمر الذي لا يحقق لهم سعادة.

يرى الناس السعادة في الجاه فيسيرون ويجدون لكسب الجاه، فإذا ما تحقق لهم الجاه على ما أرادوا أدركوه على حقيقته بعد كسبه والقيام فيه، إذ يجدون فيه عناء ومشقة، وأنه لا يحقق لهم في الحياة سعادة، ولكن (الصيف ضيعت اللبن)[٢]. لقد ضاعت الحياة هباء لأمر لا هناء فيه ولا سعادة فيه.

ويرى أناس السعادة في الصحة وسلامة الأبدان فيتعهدون أبدانهم، ويُعبِّدون معانيهم لها فتنمو أجسادهم، وتصح أعضاؤهم، ويرون أنهم في حال كمال مما إليه هدفوا وله طلبوا، ولكنهم لا يجدون في هذه الصحة ما كانت تصبو إليه نفوسهم من تحقيق السعادة. ولكن قد ذهبت الأيام وبُذل المسعى وفرغ الجهد، ولا سعادة.

أناس يرون السعادة في الأطفال فيعملون لذلك فيتواجد لهم الأطفال، ويفنون أيامهم وحياتهم وأنفسهم وأموالهم لإسعاد أنفسهم بإنماء وتهذيب هؤلاء الأطفال. فإذا هؤلاء لا يحققون لآبائهم سعادة، بل يضاعفون عليهم من أعباء الحياة. وقد يعنونون عندهم معاني خيبة الرجاء، وسوء الجزاء، فلا تتحقق لهم بهم في الحياة سعادة.

وهكذا.. وهكذا.. كل يسير في درب يرسمه لنفسه، ويوجده من خلقه ووضعه، ويفرضه على نفسه، ويفرض السعادة فيه بوهمه، وبسوء إدراكه، وبالتوائه عن هدي ربه وعن سنة رسل ربه، وعن كتب ربه، وعن فطرة قرب ربه، وعن ملائكة ربه، وملكوت ربه بين جوانحه وفي قلبه.

إذا لم يسعَ المرء لجلوة قلبه بذكر ربه ليكون مرآة له تنعكس فيها حقائق كسبه، وتتكشف فيها له ظلمات وجهه، وتجاعيد هَمّه، وقوة أو ضعف خطوه، فقد ضل الطريق، وحُرِم الرفيق.

إن كل قلب لكل إنسان إنما هو قبلته، وهو إذا استيقظ، وهو إذا استجاب، وهو إذا أدرك ساحة الله له في نفسه، وأن العبودية لله، وأن الربوبية من الله، وأن عالم العبودية لله، وعالم الربوبية لله، وعالم اجتماع حقائق الله، إنما هو في ذات الإنسان وفي نفسه. فربوبية الله عليك، منك فيك. والعبودية لله منك، إليك فيك، وإن {الله قائم على كل نفس بما كسبت}[٣]، ومن كسب الله، ومن أدرك قيام الله، ومن ربط قيامه بقيام الله، من وحد الله، من آمن بالله واحدا لا شريك له من نفسه، لا شريك له من أمره، ولا شريك له من ذاته، ولا شريك له من عقله، ولا شريك له من وجوده، تجلى الله له إليه في قلبه، بلطيف أمره، وبشامل نوره، وبجهر سره، وبمعروف منكوره، وبمشهود مخبوئه.

إن القلب الحي مرآة مجلوة يشهد فيها صاحب المرآة وجهه وجها مشرقا بالله، مشرقا بنور الله الذي هو من وراء كل نفس محيط.

ما قال لكم عيسى، وقد ارتفعت بينه وبين الآباء الحجب، وجوها لله في أب له، إن هذا أمر اقتصر عليه. وجاءكم محمد يؤكد مقالة عيسى من أنه المثل المضروب لثمرة البشرية من الحقيقة الإنسانية من حقائق الله، مبينا أن اليتيم المتحرر من روابط المادة الذي طلب أن ينتسب إلى الأسرة المباركة من الإنسان، كان الله له أبا، وكان الله له أما، ومن تابعه رأى في رسول الله له أبا وأما، ورأى في رسول الله، وهو له الأب والأم، حقائق الله، وحقيقة الله الكبرى، من أنه يأوي إليه يتامى المادة، ويتامى الكون، ويتامى الظاهر، ويتامى الناس، وأن هؤلاء المستضعفون في الناس من اليتامى لا قهر عليهم من حقائق الله، ولكن الله بهم قاهر. {وهو القاهر فوق عباده}[٤].. فهو القاهر بعباده.. لأنه بعظمة رحمته، وبعظمة كبريائه، وبعظمة قدرته، لا يطيق الكون قهره. وإن قهرت الرحمة فيه قضاءه وعدله. ولكن الظاهر بالقهر منه إنما هم عباد له...

يتامى الوجود.. آواهم وعمل بهم.. وظهر فيهم لهم.. وظهر بهم لغيرهم.. {فأما اليتيم فلا تقهر}[٥].

أغناهم غناء لا يحجمون به عن إجابة سائل، وإن أساء وإن أخطأ. {وأما السائل فلا تنهر}[٦]. ما سألك سائل فأجبه، أنفق بغير حساب. لا تعطي بناء على استحقاق، فالاستحقاق قائم في المسألة. {فامنن أو أمسك بغير حساب}[٧].

ظهر لنا رسول الله رسولا من الله، قبل أن تعنونه ذات الكلمة الكاملة في تمامها. ظهر لنا رسول الله في أبينا آدم. وظهر لنا رسول الله في أبينا نوح. وظهر لنا رسول الله في أبينا إبراهيم. وظهر لنا رسول الله في أبينا عمران. وظهر لنا رسول الله فيمن ذكر له ممن أخذ الله منهم الميثاق له. وظهر بمن ظهر لهم فيمن لم يذكروا له.

إن رسول الله قائم بقيام الله. فاعل بفعل الله. قديم بقدم الله. باق ببقاء الله. ظاهر بظهور الله.

إن رسول الله هو الحق الظاهر من غيب الله. إن رسول الله هو غيب ما ظهر من حق الله. إن رسول الله هو قضية الله، وقضية الحياة، وقضية الناس، وقضية الخلق، وقضية الحق.

إذا لم تعرفوا عن رسول الله فلن تعرفوا عن الله. وإذا لم تعرفوا عن رسول الله فلن تعرفوا عن أنفسكم من الله.

إن رسول الله هو مناط كل معرفة، وهو بداية كل معرفة، وهو بداية كل خليقة، وهو بداية كل حقيقة.

إن رسـول الله هو نهاية الخليقةكما هو بدايتها. وهو النهاية إلى الحقيقة كما هو بدايتها. وهو قيام الحياة كما هو نشـأتها. وهو سـر السـعادة وبدايتها.

إن رسـول الله هو باب كل منشـود من الله. وهو باب كل معرفة في الله. هو باب كل طريق إلى الله. هو باب كل دار يؤول إليها الأمر في ملكوت الله. إنه أمر في الله، مدانٍ مع معية الله، ما دانت الحقيقة كائنا من خلق الله. وإنه قائم مع الله رسـولا له على كل نفس قـام عليها الله. إنه معنى في الله، وأمرٌ في ملكوت الله.

فلا تغيبوا الله ورسـوله عن أنفسـكم. فأنتم في حقائق الله من الله ورسـوله الحقيقة السـالبة.. الحقيقة القائمة لله ورسـوله.. الحقيقة التي تحيا بالله ورسوله. الكون الذي يظهر فيـه الله ورسـوله. آدم الله ورسـوله. كلمة الله ورسـوله. روح الله ورسـوله. قدس الله ورسـولـه. كعبة الله ورسـوله. جارحة الله ورسـوله. سـر الله ورسـولـه.

إن التعديد والتوحيد إنما هو تعديد لله ورسـوله، وتوحيد لله ورسـوله، فإذا وحدنا الله فإنما نعني أننا لله ورسـوله، وأننـا لسـنا إلا الله ورسـوله. وإذا عددنا، ذكرنا الله، وذكرنا رسـول الله، وذكرنا أنفسـنا، فمجالات لله ورسـوله هو ما نعني بالتعديد.

أما إذا ذكرنا الله وحده وأسـقطنا أنفسـنا ورسـوله، فإنا لله وإنا إليه وجوه لله وإنا قيام لله وإنا حقـائق لله. يكمن فيها أنانا ورسـول الله. ويبقى الله وحده في مقام ظهوره. وإن ولوا على أدبارهم نفـورا.

إن القلب منا أرض الحياة وبه عين ماء الحيـاة، وصفاؤه مرآة الحيـاة، وميدانه مجلى الحيـاة، ومنه بداية الحيـاة. إن الله يبدأ الكون مع كل كائن منا. إن الله الذي يخلق له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة كما قال رسـول الله إنما هو خالق لهذه الصورة مع كل مخلوق منا.

{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى}[٨]. ألسـت المحيط من ورائكم؟ ألسـتم وجوها لي تنظرون إلى وجوه لي، هي منكم وأنتم منها، وهي لكم وهي إليكم؟ إن العبودية والربوبية ما هي إلا صفات في الإنسـان في الله. تعالى الله عما يصفه به الجاحدون! فما ظهر الله مثل ظهوره في الإنسـان عبدا وربا. وما ظهر الله بالإنسـان لأبنائه إلا أبا. وما ظهر الله للأب فيه إلا ابنا. عرف آدم عن الله بكلمات الله من أبنائه أصبح بهم أوادم منه علاما للغيوب. وعرفت كلمات الله من أبنـائه الله في علام الغيوب من آبائهم من الأوادم في الله.

فسبحان الله وتعالى عما يصفون! جلت قدرته ودانت الكل رحمته. ها هي رحمته مدانية، في شامل رسالتها، وفي روح قدس حضرتها، بما يطالعنا وما نشهد في هذا الزمان، من روح الله مقاربة في كل مكان، يدا لله منبسطة طوت الأرض والسماء فسبحان الله جلت قدرته وشملت رحمته!

عباد الله: اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ...

عباد الله: استغفروا الله من شرور أنفسكم ومن شرور مجتمعكم، يهديكم الله ويصلح بالكم. وارجعوا إلى الله برجوعكم إلى أنفسكم. فلا تباعدوا بينه وبينكم واشهدوه واحدا لا شريك له، في حكمته وتدبيره، واحدا لا شريك له، في سلطانه وتقديره، آمنوا أنكم (لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع)[٩]. نشكره ونحمده ونسأله الرحمة لنا ولأمتنا ولإنسانيتنا ولأرضنا.

اللهم إنا نستغفرك ونلجأ إليك. اللهم حسبنا أنت ونعم الوكيل، عليك نتوكل وبك نتسربل. اللهم أصلح أمورنا حكاما ومحكومين. وتولنا برحمتك مهتدين وغافلين، وخذ بيدنا مظلومين ومعتدين.

اللهم ولِ خيارنا أمورنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وارفع عنا مقتك وغضبك، وعافنا من إقامة عدلك فينا، وعاملنا برحمتك وبرك، ووفقنا وسدد خطانا قوادا ومقودين، حكاما ومحكومين برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(انظروا فيما حول عوالمكم. اقرأوا العلامات. تذكروا الإنذارات، والبشريات القديمة من السماء. انظروا اليوم إلى تحطيم المذاهب والعقائد المهلهلة. انظروا كيف انحل نسيج علم اللاهوت في عصركم. إن البناء الذي أقيم على أساس من الإيمان الزائف يهوي في كل مكان حواليكم ...

إن ما نبينُه اليوم لكم إنما نبينه على أساس من المعرفة وليست هناك عاصفة مهما اشتدت يمكنها أن تهب لتهز الأسس التي بنينا فوقها لأنها هي الحق، هي الحق السماوي الخالد. فلا تخشوا شيئا على البناء بعد أن تتوقفوا عن التسجيل في عالم المادة فإن المعبد الذي عاونتم على إقامته سوف يصمد آمنا، ذكرى عطرة لأعمالكم.

الحق يسير إلى الأمام وقوى الظلام والجهل والأحاجي والكهانة تتقهقر. إن النصر في جانب الروح التي تشتد قواها وتفتح أماكن كان فتحها يعتبر مستحيلا. تلك هي الرسالة العظيمة التي نكررها لأنكم جميعا تعملون لهذا الأمر الجديد للحياة. إن التغير يأخذ مجراه الآن ببطء شديد وعند ما يخلي القديم مكانه للجديد سوف يحدث كثير من الانفجارات، إنها جميعا جزء من خطة مرسومة)

من هدي السـيد الروح المرشـد (سـلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة ق - ١٦

٢ وردت القصة في روايات مختلفة تلتقي في فكرتها الجوهرية: الخيرِ المُضيّع بالطَّمع، أو فيمن ضيع الفرصة وفوّتها. ورد المثل في (مجمع الأمثال) للميداني.

٣ سورة الرعد -٣٣

٤ سورة الأنعام – ١٨ ، ٦١

٥ سورة الضحى - ٩

٦ سورة الضحى - ١٠

٧ سورة ص - ٣٩

٨ سورة الأعراف - ١٧٢

٩ مقولة من الشائع أنها لعمر بن الخطاب بلفظ: "ولو أنّ الله كشف لنا حُجب الغيب، ما اختار إنسان لنفسه غير ما اختاره الله له". لكن لم نجد لها سندا.

(٧)

لمحة اليقين

حديث الجمعة

٢٢ شعبان ١٣٧٩ هـ - ١٩ فبراير ١٩٦٠ م

اعبد الله، اعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

إن الإنسان قبل اليقين يختلف عنه بعد اليقين. إن لمحة يقوم فيها اليقين يجتمع فيها القديم والجديد، يجتمع فيها الأزل والأبد، يجتمع فيها الزمن. إنها لمحة الحياة. فالإنسان قبل لمحة الحياة، يقولون إنه متشرع إن سلمت عن الله عقيدته، وخلصت إلى الله وجهته، واستقام على مأمور الله ومنهيه قيامه.

وإن الإنسان بعد لمحة اليقين يقولون عنه متحقق. والحق ما كان على الغيب بضنين.

وإن الإنسان لرائيه يوم يراه، في الأفق المبين، وما الأفق المبين إلا ما يحيط به من العلم عن الله في نفسه. لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء شهد لنفسه بوحدانيته، كذلك ملائكته، كذلك أولو العلم على ما علمهم مما أحاطوا به عن أنفسهم في أنفسهم من أمره، وبما أحاطوا به من قيامهم مثنى مع معلميهم وفرادى في محبوبهم من الحق منهم.

فالأفق المبين هو ما يَبِين للإنسان عن معرفة الله في نفسه.

إن شديد القوى وهو بالأفق الأعلى ما بان وما كان له أن يُبين إلا عندما دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى من أفق من داناه، وقام فيه أقرب من حبل الوريد. قام فيه قاب قوسين أو أدنى، قام فيه في قيام معناه. فما كذب الفؤاد ما رأى لأنه ما رأى إلا ما أحاط به من العلم عن نفسه مما أراده أن يحيط به من الله به.

{واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}[١]. أما ما اليقين؟ فليس موضوع الفكر ولا محوط العقل. ولكنه غاية العقل إذا استيقظ العقل واستنار، وهدف النفس إذا ما استقامت النفس وتزكت، وحياة الذات إذا ما عملت الذات على أن تحيا من كسبها مما أحل الله لها.

وهذا مناط التشريع، وهذا مجال التفقيه، وهذه دائرة التنبيه والتذكير. إذا ما باعد الفقه بين معناه وبين هذه الأمور، كان في خدمة الشيطان ولم يكن في خدمة الرحمن.

وإذا ما ابتعد السلوك بالإنسان عن هذه الأحواض وعن الخطو في هذه الطريق، فما كان إلى الله مآله، ولكن كان إلى ظلام النفس مآله.

هذا هو الحق. جاء به محمد مثلا أعلى ضرب للناس كافة على أكمل وجه أبرزه، وفي أيسر قول بلَّغه، وبأصدق حديث حمله. وفي يسر من المأمور أمره فقومه، وبصفاء عن المنهيّ أظهره وحذره. فالسبيل للكافة يسره وبشره، والحوض بماء الحياة ملأه، وللناس قربه ونشره، وفيهم وبين ظهرانيهم كما أوجده الله جدَّده.

فما غابت عنهم رسله. وما سكت بينهم لسانه. وما توقف عن العمل فيهم قلمه. وما انقطع بينهم خبره. وما فتر فيهم فعله وأثره. ولكنهم في قبر قيدوه ودفنوه بعد أن ضيقوه وقبروه. فلا روحا تبعث في ذواتهم بعثوه! ولا أمرا لله لا يتعطل عرفوه! ولا بيت صلاة وطواف بينهم عنونوه! ولا قلب حياة بين جوانحهم هيأوه وبعثوه! ولا نورا من الله يمشي به في الناس ذكروه فنشروه! فعرفوه! وهو الذي يقوم في الساجدين، وهو الذي يتحدث في الذاكرين، وهو الذي يضرب الأمثال في القانتين، وهو الذي يعمل أمرا لله في القاضين بأمر الله. هو غادٍ في الغادين ورائح في الرائحين. وجديد وليد في المولودين. والأب الرفيق والأم الحنون في الأب والأم إذا كانوا بأبوتهم وأمومتهم بالحق قائمين.

إنه عبد الله. إنه عبد ربه، إنه العبد، وأي عبد ولأي رب؟ أعبد على مثال من عبودية الناس؟ الخميصة يعبدون - جياعا! والقميص يعبدون - عراة! والدينار يعبدون -جفاة؟ أعلى مثال من أنفسهم له يذكرون؟ وما باعد هو ما بين نفسه وبين أنفسهم لأنه ما إلى نفسه تواجد على عظمتها إلا من قديم على مثال من أنفسهم غفر له من الذنب القديم، وغفر له من الذنب في قانون الله المستديم. فكان قياما للعالمين كما كان قياما للذاكرين. قام في العاصين حتى لا يقنطوا من رحمته، وقام في الطائعين حتى لا يغتروا بنعمته. والكل في الله والكل في قانون الله والكل في عرف الله والكل في نظر الله والكل في مجال الله والكل في قدرة الله من الساجدين - وهو عبده الأمين الذي يمتد ويقوم في الساجدين، رحمة لهم ورحمة بهم، ورحمة للعالمين.

ماذا عرف الناس في محمد في شرعتهم؟ لا بل ما عرف الناس في محمد في يقينهم؟ وما عرف الناس عن محمد في جهلهم حتى يجهلوه. وما عرف الناس عن محمد في علمهم حتى يقدروه.

عبد الله. عبد ربه وربهم. عبد إلهه وإلههم. عبد غيبه وغيبهم. عبد شهادته وشهادتهم. عبد يقينه ويقينهم. عبد معناه له ومعناهم لهم. عبد إياه وإياهم. عبد قلبه وقلوبهم. عبد ربه وربهم.

أفي هذا دار لهم تشريع؟ أبهذا قام فيهم تفقيه؟ أبهذا ذكَّر فيهم مذكر؟ إن مفردات منكم على قلة حاولوا محاولة الناس في شيء من صدق فأمطرتهم السماء رذاذا من ماء الحياة اهتزت به أراضي نفوسهم، وأثمرت به أراضي قلوبهم، وتفتحت به أراضي عقولهم، وقامت به أراضي ذواتهم، فداروا في أنفسهم دورة، على ما فعل رسول الله، وعلى ما علَّم رسول الله، فصدق الله فيهم وعده، وأحياهم بمعناه بعده، فبدأوا الطريق كما بدأه. وعرفوا لأنفسهم ما أراد الله أن يحيطوا به من العلم عن أنفسهم. ولكنهم لم يواصلوا تحقيقا بتشريع لأنهم لم يبدأوا تحقيقا بتشريع عامل. دخلوا على التحقيق بتشريع عاطل وبوعي باطل، فشدههم التحقيق عند ما كشف لهم الغطاء بأن الإنسان لا يعلم عن الله إلا بدءا مما يحيط به من العلم عن نفسه عن الله في نفسه. فغرقوا في بحر لجي وهموه. في علم من ألف وباء بدأوه. رأوا الله في أنفسهم، فشدههم أن يروا الله في أنفسهم. سبحان الله! ومتى كان الله غائبا عن كل نفس؟ ومتى كان الله غير قائم في كل نفس؟ ومتى كانت هناك حياة لا يقوم عليها الحي القيوم؟

إن هذا بدايات التشريع على ما يجب أن يكون، وهذا بداية الفقه على ما يجب أن يُعلَّم.

إن كتاب الله بين يديكم سافر واضح، كيف يُعلم المعلم من يُعلم. انظر إلى لقمان كيف يعلم وكيف يفقه ولده الصغير وهو ينبهه ويحذره من الشرك بالله {يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم}[٢]، يا بني اعلم وافقه واستمع لقولي ولنصحي، صدقني يا ولدي، يا بني.. هل تعلم أنني علمت؟ نعم يا أبتاه إنك علمت. هل تدري يا بني ما علمت؟ لا يا أبت علمني مما علمت. يا بني إنني علمت أنها {إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله}[٣]، يا بني لا تظن أن السموات هباء، وهواء، ولطيف من تواجد. يا بني إن السموات بها ذرات وصخرات. يا بني إن السموات بها لطيف وكثيف. يا بني إن السموات هي عين الأرض التي نطأها، كثيفها يمشي في لطيفها. وإنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة في السموات أو في الأرض يأت بها الله. ولو عنونت يا بني هذه الحبة معناها وعينها وقيامها وحياتها لخاطبتك {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري}[٤] ولكنك لا تسمعها ولا تشهدها ولا تراها لأن الله كرمك كذلك ألست أنت مادة وذرات؟ نعم يا أبت أنا جماد ومادة. ولكنك جماد ومادة تطورت في حيوات من حياة بعد حياة لا يعلم إلا الله مداها، ولا يدري إلا الله يا بني مبتداها. إن قيامك بمبتداك مجهول عليك جهلك عن الله عنك وعن الله فيك. إنك يا بني قديم أزلي بقدم الله في قديم بدايتك، وإنك بداية

من بدايات الأزل من الله، وبقاء من بقاء الأبد من الله. إنك بين قديم لك وبين قابل لك تتواجد في هذه الصخرة من الجسد، في هذه الثمرة من الأرض، في هذا النبات يمتد من الأرض تخرجه يد القدرة وتزرعه وتنبته وتنضجه وتحصده في يوم حصاد كما زرعته في يوم زرع لا تعلم يوم حصاده كما أنك لا تعلم يوم زرعه. ولكن اعلم أن الله معك وفيك وفي معناك وقيامك وأقرب إليك من حبل الوريد ومن ورائك محيط...

فإذا شهدته يا بني متجليا لك فيك في لمحة من يقين فلا يخدعك هذا اليقين إذ تقف فتقصر في حق نفسك. يا بني إنك إن قصرت فما قصرت إلا في حق نفسك فإن الله غني عن العالمين. يا بني إنك إن أطعت فإنك لا تصل الله بغناء يصدر عنك بعمل تأتيه في طاعة فإن الله غني عن العالمين. إن الله غني عن طاعتك وإن الله لا تضره معاصيك.

فاعلم الله في العلم عن نفسك منك بعملك فإذا عرفت نفسك في معناه في لمحة رضاه وفي يقين قربه أقرب إليك من حبل الوريد، قاب قوسين منك أو أدنى، إن فؤادك سيرى وسيرى يقينا بعد يقين، فلا يخدعك ما ترى. إنك كذلك قبل أن ترى، وإنك ذلك بعد أن غاب ما ترى. ولكن اعلم أنك باسم الله في معناك تستطيع أن توجد نفسك جديده، وأن توجد لنفسك باسم الله ما تريده. إنك تستطيع أن تتخلى عن صفات تراها أنت مرذولة فيك إلى صفات تراها أنت ممدوحة في غيرك من الناس. فيا بني لا تنظر إلى ما فيك من ممدوح الصفات فإنك تملكه ولكن أنظر إلى ما فيك من مرذول الصفات مما تملك، واعمل على أن تتخلى عن هذا المرذول من الصفات، باسم الله فيك وبقدرة الله قائمة في قدرتك. يا بني إن ما فيك من مرذول الصفات لا يستطيع أن يتخلى عن مكانه منك ويترك فراغا فيك يجعلك من معاني العدم.

يا بني انظر إلى ممدوح الصفات في غيرك واسجد لاسم الله في الموصوف من الصفة المطلوبة لك، تدانيك هذه الصفة وتزاحم مرذول الصفات فيك فتأخذ مكانها وتملأ فراغها ومقعدها من معناك عن معانيك.

يا بني إن فعلت فقد تعاليت وتعالى الله في تعاليك.

يا بني إن استقمت فقد دانى الله في تحليك بصفاته.

ألم يهدنا رسول الله بهذا الهدي في سنته بعد أن حملنا إلى الاستماع إليه والتلبية لندائه وأسمعنا حديث الله، وحمل لنا بلاغ الله؟ ألم يقل لنا تخلقوا بأخلاق الله؟ ألم يكن هو عنوانا للتخلق بأخلاق الله؟ ألم يقل لنا (إن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بإحداها دخل الجنة)[٥]؟ ألم يكن هو المتخلق في

صفاته، والمتخلق في ذاته، والمتخلق في ماء حياته، والمتخلق في أحواض جوده، والمتخلق في وجوه موجوده باسم الله، وبنور الله، وبحق الله، وبحياة الله، وبالحي القيوم من الله في حياتنا وفي قيامنا في ذواتنا في معاينينا؟ ألم يكن المبعوث فينا؟ قال الكتاب {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها}[٦] قال رسول الله، أنا النائم في الناس، (بينما أنا نائم أطوف بالكعبة...)[٧]، إني نائم مع النيام كما أني قائم مع القيام. إني مقيم في النيام، إني متواجد بين النيام، (جُعلت الأرض لي مسجدا وطهورا)[٨]، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٩].

إن الناس يموتون عن أنفسهم على ما هداهم موتوا قبل أن تموتوا. فمات عن نفسه مع الموتى {إنك ميت وإنهم ميتون}[١٠]. سبحان الله! سبحان رحمة الله فيه! ينام مع النيام ويموت مع الموتى، ويقوم مع القيام رحمة من الله. (ما عرفني غير ربي)[١١]. نام الناس فنام. ومات الناس فمات. وقام الناس فقام. ما أجمله! ما أكمله! ما أرحمه! ما أوسعه! ما أعلمه! ما أقربه! ما أبعده!

أبعد الناس رسول الله عن أنفسهم وهو القريب، بوهم تكريمه - وهو الكريم -. وقرب الناس رسول الله بجهلهم وبظلام أنفسهم - وهو العليم وهو المشرق وهو العلي وهو الكبير-.

ما عُرف العلي الكبير إلا بعبده العلي الكبير. وما عُرف الرحمن الرحيم إلا بعبده الرحمن الرحيم. وما عُرف الحي القريب وما عُرف الحي القيوم إلا بعبده الحي القريب، إلا بعبده الحي القيوم. وما عُرف الله إلا بعبده الله. وما وجد الله إلا بعبده الله. وما تجلى الله إلا بعبد الله. وما ظهر الله إلا بظهور عبد الله.

فهل عرف الناس شرف العبودية لله فعبدوه؟ إنهم زعموه ووهموه وادعوه. وظنوا بقولهم إنهم عبادٌ لله إنما يتواضعون! سبحان الله لمن تتواضعون! أَلِلَّه وهو خالقكم. لمن يتواضع دعيّ العبودية لله!؟ أَلِلَّه يتواضع؟ وما عرفه؟ وهو المتواضع بوحدانيته وما شرفه؟ إنهم من صنع يد الله جعل منهم بتواضعه يده الفاعلة القادرة، فمن هو المتواضع فيما يصفون؟ إنه هو المتواضع بإضافتهم إليه عبيدا له - وليس هم -. إن عباد الله إن عرفوا أنفسهم به، هم عزة الله، وتعالي الله، وجلال الله. إن الله الكبير المتعال يتواضع إذ يُشهد في أبناء آدم لأبناء آدم وما صنع أبناء آدم إلا آدم عبد الله. فكان أبناؤه كلمات ووجوها لله، وكان أبوهم وصانعهم عبد الله.. فأين نحن من الفهم للعبودية لله حتى نخوض في الفهم عن المعرفة عن الله؟

إن هذا الأمر على خطره، وإن الدين على جلاله آخر ما يفكر فيه الناس، وأتفه ما يشغل عقول الناس، وأسفل ما يمتطي الناس لرقي أنفسهم.

إن الناس قد بعدوا كثيرا عن الحق - والحق في أنفسهم - باسم الحق وباسم الدين وباسم الرسول وباسم الكتاب.

وها نحن اليوم نجدد عقائدنا فتتجدد مع تجدد عقائدنا أنسجتنا وعقولنا، وتتجدد مع تجدد عقائدنا نفوسنا وقلوبنا.

ها هي ساحة من ساحات الروح. وها هي مزرعة تحفها سحب السماء بأمطارها. وقد أنزل الدين في بيئتها بردا وسلاما على القلوب فاستجلب إليه مزيدا من ماء السماء. تواضعت في هذه البيئة النفوس للنفوس بآدابها، والعقول للعقول بإدراكاتها، والقلوب للقلوب بصفائها، والمعاني للمعاني بأذواقها، والذوات للذوات بمواجيدها. فنالت رحمة الله الأرض الواطئة وتجمعت مياه السماء بحارا إلى السهول المنبسطة.

إن الله وطريقه في هذه الحياة. هذه الطريق وهذا المعني إنما هو في النزول إلى الله، لأن الله قد سبق الخلق فنزل متواضعا لهم. إن الله قد صارع الخلق في تواضعه فنزل إلى أرضهم التي يطأون وبنفوسهم منها يتعالون، وسار في مسالكها وبارك خيراتها التي يستخرجون، واتجهت سمواته إلى طلبه في أرضه تمهيدا لما وعد. يُبدلها غير الأرض وتتواضع السموات فيبدلها غير السموات. إنه سيرد إلى الأرض باسمه المتعالين إليه المتخلين عن مادتها فيجعلَهم الوارثين.

فإذا ردهم إليها بما هم فيه من الحق فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا {أوَلم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[١٢]. وإنا نأتيها فنقدر فيها أقواتها في يومين ثم نستوى منها إلى السموات، وهكذا دواليك لا جديد في الحق كما لا جديد في الخلق. {أمن يبدأ الخلق ثم يعيده}[١٣] وإن الله بادئ على ما بدأ ومعيد على ما أعاد {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون}[١٤] إن الأولين والآخرين.. إن دواب الأرض.. ودواب السموات لمجموعون لميقات يوم معلوم. إنه ميقات ليوم علم لمن يعلم عن الله، ويُذَكَّر لمن يذكر عن الله. إنه علم الساعة، أو علم لمحة اليقين، أو ساعة اليقين، أو يوم اليقين ما بين قديم للإنسان وبين قابل وآت للإنسان. {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها}[١٥]. إنما يستعجل بها الضالون الذين يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة، وقد خلت من قبلهم المثلات.

هذا دين الله ألا تدينون؟ وهذا أمر الله ألا تأتمرون؟ وهذا ذكر الله ألا تذكرون؟ وهذه هي المعرفة عن الله ألا تتعرفون؟ وهذا هو العلم عن الله ألا تتعلمون فتُعلِمون؟

سبحان الله ألم يأمركم رسول الله أن (اطلبوا العلم ولو في الصين)[١٦]، (ومن المهد إلى اللحد)[١٧]؟ فكيف للعلم تزعمون وأنتم إليه لا تسعون، وتزعمون أنفسكم إلى رسول الله تنسبون وسبحان الله عما تصفون!

اللهم ارفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم أقمنا فيما تحب وترضي. اللهم قنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك. اللهم ارفع عنا هذا البلاء. اللهم أنزل السكينة على قلوبنا، وأرضنا بما يرضيك، وارحمنا بما أنت لنا به راحم. اللهم اغفر ذنوبنا، وقوم فيك أمرنا، وأنزل السلم والسلام على قلوبنا، وعلى بلدنا، وعلى إنسانيتنا وعلى أرضنا.

اللهم سدد خطانا في طريق الأمن والسلام قوادا ومقودين، روادا ومرودين. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا)[١٨] عن الرسول.

(إن التمثيل الباطل للألوهية أخطبوط ضخم أمامنا يجب أن نقاتله. علينا أن نهدم عمل القرون. علينا أن ندمر ما جد من بناء زائف فوق أسس العقائد. إنا نجاهد دائما في تعليم الأطفال الماديين كيف يتحررون ويستقبلون الضوء من شمس الحقائق الروحية، وكيف يقذفون بذل عبودية العقائد. وهذه ليست مهمة سهلة لأنه ما دمتم قد وقعتم في حبائل المزيفين من رجال الدين فسوف يستغرق الحق الروحي زمنا طويلا في اختراق ذلك الجدار السميك من الخرافات.

إن إخلاصنا للروح الأعظم وليس لعقيدة مزيفة ولا لكتاب محرف عن مواضعه ولا لكنيسة أو مدرسة منحرفة، ولكنه لروح الحياة الأعظم ولقوانين الطبيعة الخالدة.

ولسوف تنزل إلى عالمكم المادي قدرة روحية عظيمة تشمل كل أقطاره، ولسوف تحسون بها وبقوتها وجبروتها لأن هناك عملا كبيرا يجب أن يؤدى مضاد لما في عالمكم من جهل وأنانية، وسوف ينتصر عملنا في الوقت المناسب. ويهدأ بذلك ويستريح أبناء الروح وأبناء الأرض).

عن السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الحجر - ٩٩

٢ سورة لقمان - ١٣

٣ سورة لقمان - ١٦

٤ سورة طه - ١٤

٥ حديث شريف، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخريج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي، وأخرجه الطبراني: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة."

٦ سورة الزمر - ٤٢

٧ من الحديث الشريف: "بيْنَما أنا نائِمٌ رأيتُنِي أطُوفُ بالكعبةِ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ، بيْنَ رجُلَيْنِ يَنطُفُ رأسُهُ ماءً، فقُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: هذا ابنُ مَرْيَمَ، ثمَّ ذهبتُ ألْتَفِتُ، فإذا رجُلٌ أحمَرُ جَسيمٌ، جَعْدُ الرأسِ، أعْورُ العيْنِ، كأنَّ عيْنَهُ عِنبةٌ طافِيةٌ، قُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: الدَّجالُ، أقْربُ الناسِ بِهِ شبَهًا ابنُ قطَنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

٨ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٩ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

١٠ سورة الزمر - ٣٠

١١ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي."

١٢ سورة الرعد - ٤١

١٣ سورة النمل - ٦٤

١٤ سورة يس - ٤٢:٤١

١٥ سورة الشورى - ١٨

١٦ مقولة شائعة توافق الحديث الشريف: "طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِ مسلمٍ." أخرجه ابن ماجه، والبزار، وأبو يعلي.

١٧ حديث شريف: "اطلُبوا العلمَ من المهدِ إلى اللَّحدِ" المحدث ابن باز. يُصنف بأنه حديث ضعيف، ولكنه يوافق الحديث الشريف: "طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِ مسلمٍ." أخرجه ابن ماجه، والبزار، وأبو يعلي.

١٨ حديث شريف: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا." صحيح مسلم.

(٨)

محمد عبد الله ورسوله
إلى الناس وبين الناس

حديث الجمعة

٢٩ شعبان ١٣٧٩ هـ - ٢٦ فبراير ١٩٦٠ م

الحمد لله المنفرد بالجدارة للحمد والأهل له. أحمده وأتوب إليه وأستغفره من وجودي ومن وهم وجود غيره. وأرجع إليه موجودا لا شريك له واحدا لا تعدد معه، واحدا منفردا بأحديته، علمُه بنفسه، وقيامُه لنفسه، وحمده لنفسه.

وأشهد أن لا إله إلا هو، عليه يتوكل المتوكلون، وإليه يلجأ المفتقرون، وبه يغنى المستغنون، لا خير إلا عنده، ولا فضل إلا منه، ولا قوة إلا به، لا قوة إلا قوته، ولا قدرة إلا قدرته. عز على المنال وعز على الزوال. عز على القرب عزته على البعد. تنزه عن الوصف له كما تنزه عن الجهل به معروفا لا يجحد وموجودا لا ينكر.

خَلْق الله.. تجلياتِ الله.. وجوهَ الله.. ظهور الله.. لا تتكبروا عن طلب الله، ولا تستعلوا على عبادة الله، واعلموا لتكونوا عبادا لله.

إن العبودية لله هي الصراط المستقيم بين الوجود والعدم.. بين البيوت والدِّمَن. اطلبوا الله لتجدوه في أنفسكم واطلبوا الله تُشاد من قلوبكم بين جوانحكم بيوته، وترفع للحق بكم في الناس شواهده وأعلامه وبنوده.

إنكم اليوم وفي هذا الشهر من الزمان الذي جعل الله من منتصفه ليلة يفرق فيها بين أوله وآخره من تصاعد الناس في معايير الأهلة إلى بدور التمام، ومن تناقص الناس من أحسن تقويم من بدور التمام إلى أسفل سافلين من المحاق. وقد جعل هذا الشهر فيصلا بين الثلاث الحرم. فكان فيصلا بين شهر الله وشهر الأمة. إنه شهر الشهيد المشهود شهر الرسول الشهيد على الشهداء والمعقود له اللواء على الأنبياء.

إن الذي كان بهذا الشهر ما كان إلا برسول الله. وإن ما كان بهذا الشهر مع الأشهر الحرم ما كان إلا لرسول الله. وإن العام الذي شرفه شعبان رسول الله وقام به شعبان لرسول الله.. إن العام الذي عنونه شعبان إنما هو عام مولده. فكان عليه الصلاة والسلام بمولده وبيوم مولده وبشهر مولده وبسنة مولده وبحياته من موالده فيصلا في الزمان بين ما قبله وبين ما بعده. حجر زاوية، حجرا أسعد لبيت من بيوت الله. مرفوع في قديم الإنسان بإذن الله وموضوع في جديد الإنسان بأمر الله ورحمة الله.

كان محمد هو البيت المرفوع في قديمه وهو البيت الموضوع في محدثه يتقلب في القلوب والقوالب. يشعل جذوة النفوس، وينير كتاب العقول، ويطلق سجناء الأرواح، ويزكي مظلم الأشباح فيحيي موات الأرض من الناس ويقوم عن الله بأمره يوم العرض للناس.

إن كل من في السموات والأرض إلا آتيه عبدا هو وجه مولاه. شُرف بالعبودية لله وشُرفت العبودية به. هو عبد الغيب وسيد الشهادة. هو أمر الله المشهود، وهو وجه الله المنظور، وهو أمر الله المطاع، وهو كلمة الله البالغة، وهو رحمة الله الوافية، وهو يد الله المخلصة، وهو عين الله المبصرة. إنه عبد الله الذي جعل منه كتابا مبينا أحصى فيه كل شيء ورفعه إليه أم كتاب. ليس بينه وبينها حجاب.

هذا هو رسول الله الذي تذكره ألسنتنا وتغفل عن ذكره قلوبنا، ويقوم بالانتساب إليه ادعاؤنا، وتغيب عن الحياة به عقائدنا، ولا تقوم في معناه آمالنا في معاينا، ولا تستقيم في طاعته أواننا لمباننا. نمنع عن مواعينه الامتلاء بفيضه. ونمنع عن عوالمنا الاستمتاع بحرارة شمسه تشرق في عوالمنا جذوة مقدسة ومصدرا للحياة. لا ينكره الأحياء ويجهله الأموات من البعيدين عن الحياة.

خلق الله. آثار الله. دلالة الله على وجوده بوجودكم. لا توقفوا هذه الحياة تحيونها نياما، وتربحونها أمواتا، إن أدركتم أنكم لستم أحياء ولكن الحي القيوم هو الحي في حياتكم. فلا تزاحموه على الحياة بوهمها لكم بعيدة عنه.

إنه أمات وأحيا، وإنه يميت ويحيي. وإنه كما بدأ أول خلق معيده، وما قديمه في الواقع وفي الحق إلا جديده. فالإنسان في أحسن تقويم لا يغاير الإنسان وإن كان أسفل سافلين. إن الإنسان أسفل سافلين هو الإنسان. وإن الإنسان في أحسن تقويم هو الإنسان. وإن القائم على كل نفس هو القائم على الإنسان في أحسن تقويم وهو القائم على الإنسان أسفل سافلين. وما عرف الإنسان أسفل سافلين ربا له إلا معناه في أعلى عليين. وما عرف ربه في حقيقة الغيب إلا الإنسان بقيام أعلى.

وما زال ينشده في أحسن تقويم. وما أنكر الإنسان في أحسن تقويم على نفسه عبوديته. وما أنكر على إنسانه من نفسه إذ يتواجد أسفل سافلين سيادته. ألم يقبل من الحق أنه قائم على كل نفس بما كسبت، وأنه من وراء كل نفس محيط، وأنه أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، وأنه مع كل نفس أينما وجدت؟ إن طواها الثرى فهو معها، وإن تفتحت لها أبواب السموات فهو معها، وإن دبت على الأرض فهو معها، وإن غفلت عنه هو معها، وإن تنبهت إليه هو معها.

إنه معية الأشياء بالحياة أيا ما كانت الأشياء. وإنه معية الإنسان الذي جعله به معية كل شيء في أي صورة ما شاء ركبه.

دنا بتدانيه وتعالى بتعاليه. تعالى الإنسان عن الوصف فتعالى إلهه عن الوصف. وتدانى الإنسان عن الغيب فتدانى إلهه عن الغيب.

ما عرف الإنسان عن الله إلا ما أحاط به من العلم عن نفسه مما علَّمه الله. وما علم الإنسان عن الله أعظم وأفضل وأعمق وأكبر من أن العلم عن الله لا يتناهى، وأن الإنسان هو علمه عن الله، وأنه ما دام العلم عن الله لا يتناهى فعلمه عن الله لا يتناهى، وما دام هو علمه عن الله الذي لا يتناهى فإن رقيه في الله لا يتناهى، وأن وجوده في الله لا يتناهى، وأن الله مَانٌّ متفضل لا بائع متبادل يبيع ويشتري، ولكنه صاحب الفضل والمِنَّة. وهو البائع وهو المشتري. فالعبد والرب، والرب والعبد إنما هما حقيقتان وأمران في الإنسان، يقوم بهما كل إنسان ويحيا بهما من الإنسان كل كيان.

(وإن الإنسان بأصغريه قلبه ولسانه)[1]. ما حيا قلبه استقام لسانه وكان كلامه كلام الله. وما تهذب لسانه بما علم إلا حيا قلبه بما بذل وأعلم وعلم، فاستقام قلبه مع استقامة لسانه، كما استقام لسانه مع استقامة قلبه. وما استقامة اللسان إلا علم الشرائع، وما استقامة القلب إلا علم الحقائق. ولا يستقيم علم الحقائق إلا على أساس استقامة علوم الشرائع. كما أنه لا تحيا علوم الشرائع ولا يستقيم في الناس أمرها ما لم تكن القلوب مصدرها.

إن محمدا رسول الله.. إن محمدا عبد الله.. إن محمدا وجه الله.. إن محمدا وحدانية الله.. إن محمدا طلعة الحق من الله.. إن محمدا صفوة الإنسان في الله.. إن محمدا حوض الحياة من الحي القيوم.. وإن محمدا هو كتاب المجهول والمعلوم، والكتاب المبين والمرقوم، وكتاب المحرم والمباح...

إن محمدا إنسان الله، وآدم الله، وعبد الله، ورسول الله، وروح قدس الله، وعين ملكوت الله. إنه كبير الوجود في حقيقته في مظهره من صغيره، وصغير الوجود في جوهره من كبيره. إن محمدا

البشر شرف البشرية، وإن محمدا الإنسان شرف الإنسانية. وإن محمدا الرسول شرف الرسالة. وإن محمدا الحي أسعد الحياة...

إن محمدا المرتقى فتح أبواب الرقي للناس كافة. وإن محمدا الحق من الله فتح أبواب التحقق به للناس كافة ليكونوا حقًا من الله.

هل شهد الناس حقا أن محمدا رسول الله؟ والله ما شهدوه وإن كانوا بأعينهم نظروه! ولو شهدوه لكان لبيوتهم بصائر ولشقت عن أنفسهم سرائر، وما تعرضت ذواتهم لاستهلاك الأرض بل دخلوها أحياء. وما تعرضت معانيهم ليوم العرض، وقد تحقق لهم بصحبته الرجاء.

إن محمدا بذاته وبصفاته وبمعناه وببيته الموضوع علما على بيته المرفوع. وإن محمدا بخلقه بين الخلائق علما على حقه بين الحقائق. معرفته دين.. ومحبته يقين.. والتفكر فيه قبلة.. والاتصال به حج، والبحث عنه سعي، والالتقاء بأثر من أثره صفاء وري. إنه الحياة، وإنه الوجود، وإنه السعادة، وإنه القرب في القرب منه، وإنه البعد في البعد عنه.

شرف البشرية وحققها وشرف العبودية وأعلى مقدارها ومقامها. أسقط الحجب بين العبد وربه، ونفخ في أسوار القطيعة فتساقطت الحجب بين العبد وربه بموجوده في الناس عبدا لربه فعكس بصره في بصيرته فرآه. وعرفه فوحده فغاب عن معناه ومات عن مبناه وقام في الناس بلا إله إلا الله. (والذي نفس محمد بيده)[٢] هكذا أعلمه. (من رآني فقد رآني حقا)[٣]. هكذا أشهده {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد}[٤].. إنه المخلص، به يتخلص المحب.. {كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[٥]، جعلهم الطلقاء وإن أساءوا، وجعلهم القريبين وإن باعدوا، وجعلهم المهتدين وإن ضلوا. إنه الصلاة الوسطى.. إنه الوسيلة العظمى.. إنه الحق للناس.. أمة مذنبة ورب غفور.

فسبحان الله وتعالى الله عما يصفون!

إن الإنسان من الرحمن عبده. وهو منه قاب قوسين أو أدنى. فلِمَ تباعدون بينكم وبين الله في مباعدتكم بينكم وبين رسوله؟ إنكم تبحثون عن الحقيقة مستعلين عليها. ترون أن تذهبوا إلى ما قبلها من تواجد، ووجودها قديم أزلي. فكيف تصلون إلى هذا المعنى وأنتم فيه؟ فأنتم ما قبل الحياة والعدم وتريدون أن تعمقوا إلى ما بعد التواجد، فتحيطون بالقيامة، وتحيطون بالندامة والسلامة، وتحيطون بالثواب والعقاب، وتحيطون بالمعصية والطاعة، وتحيطون بالأجر والثواب، وتحيطون بالحرمان والحساب. وسواء كان الذي تطلبون من قديم أزلي، أو الذي تطلبون من قادم باق أبدي، فإن هذا الذي تطلبون من هذا الشق أو ذاك إنما أنتم فيه. فكيف تتعارفون إليه وأنتم تتجاهلونه مع أنكم فيه، وهو

القائم فيكم وأنتم قيام به فيكم تعرفونه، إذا لم تتجردوا من أنفسكم إلى القائم عليها من الحق! رجل يمسك بولده، كما تضربون الأمثال ثم يمشي في الطرقات يسأل الناس عنه. كيف يدله الناس عليه؟ تريدون أن تعرفوا النار، وأنتم من أهلها، وأنتم في أول دورها، وأنتم فيها قيام! إنكم ستعرفونها، يوم تبرز لكم في قيامكم، فلا تستطيعون منها مخرجا. وتطلبون الجنة وأنتم فيها قيام هو قيامكم إنها جنة تواجدكم {عرضها السموات والأرض}[٦] شملت أرضكم، وأرض قيامكم، وأرض ذواتكم. تستكبرون على المعرفة تقدم لكم وتزعمون العلم بما يقوم في أوهامكم.

إن الجنة جنتان من جنة قيامكم مرتبطين بالله إلى جنة تحركم من أثقالكم وظلمات أنفسكم حقائق الله. جنة بعد جنة. لا تنتهي جنانه ولا تغيب. ونارا بعد نار أنتم فيها تصلونها. إنها داركم هذه التي كلما نضجت جلودكم فيها بدلتم جلودا غيرها بتجديد أنسجتكم، وتجديد دمائكم، وتجديد أعصابكم، وتجديد ذواتكم في قانون الحياة الذي تقومون فيه، وبتجديد جلابيبكم بمعاني الموت والمولد، كلما نضجت جلودكم بدلتم فيها غيرها، وإنكم فيها قيام، ولستم بالحق فيها قيام لأنه لم يكشف عنكم حجابكم، ولم يكشف عنكم غطاؤكم، إذ لو سبق لكم أن متم في سابق وجودكم لكشف لكم اليوم الحجاب وكشف عنكم الغطاء، فما كنتم في حاجة إلا إلى الموتة الأولى، ولكنكم لا تريدون الموت في الله مع الموتى فتبعثون. وطريق الموت عن أنفسكم تجافون وعلى هذه الأرض مرحا تمشون. وإذا خاطبكم عباد الرحمن، بالرجم والهجو تقابلون، وبالتكذيب وبالمخاصمة تظاهرون، وأصابعكم في آذان قلوبكم حذر موت نفوسكم تضعون. وأنتم كذلك تفعلون وما تشعرون. فأنتم لا تموتون عن أنفسكم ولا تحيون، فلا تشهدون حقيقة الحياة من حياة الله الحي القيوم في قيام حياتكم تقومون. إذًا أنتم في حاجة إلى مولد ومولد ومولد، وموت وموت وموت حتى تصلوا النار الكبرى التي تحذرون يوم تبرز لكم ويكشف عنكم الغطاء وأنتم فيها فلا تخرجون، ومن الموت تحرمون، إنكم الماكثون إذ تبعثون على ما ترضون.

إن الله يحجب عليكم اليوم أمركم وحجابه من رحمته. إن الله يبين لكم وقد أعطاكم خلق أنفسكم، وتفضل فأعطاكم عقولا تستجيب لهديه. كما أعطاكم نفوسا تحس برحمته. فهل استعملتم نفوسكم في الاحساس برحمته أو استعملتم عقولكم للاستجابة لأمره؟ وهل هيأتم لقلوبكم أن تحيا بحياته وهو الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، وكل نفس فيه وهي بما كسبت رهينة؟ وأن مضغة القلب غير المخلقة إنما تتخلق من أعمالكم كتابا جديدا لقيام جديد وأثر من قيامكم؟ وأن قيامكم الذي تقومونه ما هو إلا أثر لقيام سابق لكم أنتم اليوم بعثه ومظهره؟ وأن قيامكم الآتي ليس إلا أثرا من آثار قيامكم الحاضر أنتم جوهره؟ فهلا كتبتم كتاب حياتكم القادمة بيقظة في الله وبحياة به في حاضر حياتكم؟

إنكم يستهويكم أن تستمعوا إلى كلام من المأثور يردد بينكم فتستريحون له بلا وعي وبلا فهم. فإذا قلنا لكم {نون والقلم وما يسطرون}[٧] أعجب آذانكم القول. وإذا قلنا لكم إنكم هذه النون على ما يعني المتكلم، وأنكم أنتم أقلام القدرة تسطرون كتاب حيواتكم القادمة بأقلام قدرته في ذواتكم القادرة به، لما استجبتم لهذا الوعي، وكان هذا غريبا على قلوبكم، غريبا على عقولكم، وشاقا على أنفسكم، وإنه للحق، وإنه لقول الحق، وإنه من الحق.

فهل استجبتم له ثم لم تشهدوا صدق ما قال القائلون وما نقول؟ هل استجبتم لهذا الحق الصراح فتحجبت صحائف مستقبلكم وهي تكتب في رقائق كتابكم من قلوبكم؟ أمرا تشهدونه وتعلمونه على ما تقولون، وعلى ما تنطقون، وعلى ما تفعلون، وعلى ما تأكلون، وأنتم تتلون الكتاب، وتذكرون بالصلاة الحجاب.

إن الدين لواقع. وإن الدين ليقين. إن الذي أوحى إلى النحل أيمنع الوحي عنكم؟ إن الذي أنطق النمل بالمعرفة عنه أيمنع البشر وهو أشرف ما خلق من أن ينطق باسمه، وأن يَعلم ويُعلم بعلمه، وأن يقوم بقيامه؟

سبحان الله. أالذى خلق محمدا أسوة للكافة عجز أن يملأ الأرض محمدا؟ أالذى أوجد عيسى مثلا هل يمتنع عليه أن يملأ سمواته وأرضه بعيسى روحا وبشرا؟ ما هذا الجمود في العقل، أجلمود هو؟ لا أقول العقل بل أقول ما هذا الجهل والجمود! إن الذي أعطى محمدا الكوثر وجعل شانئه ومخاصمه هو الأبتر، هل تكلم معكم بغير لغة مولدكم؟ إن الذي جعل خصمه أبترا، هو الذي جعله كوثرا، هل هذا أمر كثير الإعجام؟! الذي جعل محمدا كوثرا. إن الذي جعل في إبراهيم الكتاب والنبوة، هو الذي نفى عن محمد أن يكون أبترا.

إن الذي أعطاه التكاثر.. إن الذي علمه أن يحرص على أجساده تتناثر.. إن الذي علمه وأمره أن يجعل من أجساده مطية للناس وهو مكاثرها ومكثرها، وعلمه أن يجعل من هذا التكاثر من معناه ضحية لذكر الله ضحية لأمر الله يقومها على مذبح القرب له قرابين تذبحها أيدي الأثمة والكفرة والمشركين والجاحدين حتى ترتوي نفوسهم من دماء أهله، ومن دماء بيته، ومن دماء ذاته، ومن دماء نفسه، ومن دماء قلبه إلى أن تستيقظ عقولهم إلى هذا الظلم الصادر عن أنفسهم بأنفسهم فيذهبون إلى حيطان المبكى من جدران بيت مكة يقفون ببابه يبكون ويتباكون، قديم جحود للآباء يذكرون، وحاضر غفلة من أنفسهم ينعون، فيبكون لربهم عند باب بيته أو يتباكون، فتستيقظ عقولهم ونفوسهم مما كانوا هم وآباؤهم يفعلون بأهله، فإلى رسول الله في أنفسهم يرجعون، وإلى بيت رسول الله فيهم يكبرون، ذكرا لله في ذكرهم يذكرون، وطلبا لله في طلبهم يطلبون، فيهيئ لهم

أسباب بيت يوضع على ما هيأ من قديم لبيوت ترفع في نظام الله المستديم، فيعرفون الجديد والعتيق والقديم، ويعرفون القبلة والبيت، ويعرفون الظاهر والغيب، ويعرفون الخطأ والصواب، ويعرفون الباب والأبواب، إنها إنما صدرت عن باب، وأن باب الله من أبواب الله لا يغيب، وأن عباد الله في أرض الله لا تنقطع، وأن ذكر الله عن الله مذكورا لطالب لا يختفي، ونوره عن هذا الكون لا ينتفي ولا ينطفي.

إن محمدا أتى بذلك كله وبأكثر منه، جماع ما أتى به النبيون، وجماع ما وصل به المقربون، وجماع ما تعارف به المتعارفون من قبله من الحكماء أساسا للنبيين من بعده في العلماء، وأساسا للأبواب من بعده في المقربين والقرباء، وأساسا لبيوت الله من بعده في المستشهدين والشهداء، وأساسا لكتاب الله بل وكتب الله من بعده في المعلمين والعلماء.

إن محمدا كان فيصل الزمان، وإن محمدا بذاته كان فيصل ذوات من قبل ذاته لذوات من بعد ذاته، كما كان فيصل مكان بين الشرق يشرق بنور الله وبين الغرب تغرب عنه شمس الله.

إنه دورة الزمان.. إنه دورة الإنسان.. إنه دورة البيان.. إنه دورة آدم.. إنه دورة الوجود.. إنه دورة الشهود.. إنه العبد ووجه المعبود..

أين هو محمد في عقائد أمته؟ أين هو محمد في معارف أمته؟ أين هو محمد في مراسم أمته؟ ألم يقل في حياة حمله لبلاغه (إن الزمان استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض)[٨]؟ إن خلق الله للسموات والأرض إنما هو دورة واحدة لكون واحد لإنسان واحد لعبد واحد لحق واحد لآدم واحد، في عوالم من مثاله.

{أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم [؟!] بلى وهو الخلاق العليم}[٩] هو الذي يخلق الخلق على ما بدأه {أمن يبدأ الخلق ثم يعيده}[١٠]، وخلقنا السماء بأيد وإنا لموسعون.

إن دائرة علمنا، ودائرة غيبنا، ودائرة قدسنا، ودائرة حجمنا، لا تخرج عن دائرة حق واحد له ملكوت السموات والأرض، وما هذا الحق الواحد صاحب ملكوت هذه السموات والأرض إلا عبد واحد لله في عالم من عباد لله على مثاله، بلا عدٍّ يدركه عقل أو تقديرٍ يحصره حد. ما قدرتم الله حق قدره. كيف تتكلمون عن الله وأنتم لا تعرفونه أو عن الرحمن وأنتم لا تصلونه؟ وقد أمركم أن لا تتعالموا، وأن لا تتحدثوا عن الرحمن قبل أن تلجأوا لخبير به هم عباد الرحمن بينكم يمشون على الأرض هونا، وهم أهل العلم والمعرفة به إذا خاطبهم الجاهلون والصادون عن السبيل قالوا سلاما، وعكفوا على أنفسهم

يبيتون لربهم ركعا وقياما. لله سجودهم، وبالله قيامهم، ومع الله في الناس سلامهم، هم خبراء بربهم يتكلمون به ويعرفون عنه، ويولجون الناس بابه.

فهل أدار الناس نشاطهم واجتماعهم على الله فتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر؟ هل كان الله نجواهم في سرهم وجهرهم؟ هل كان الله ما يعنون في همهم وسعيهم؟ هل كان الله مرادهم في علمهم وجهلهم؟

إن الناس باعدوا بينهم وبين الله بمباعدتهم بين معانيهم ومعناه، وبين قيامهم وقيامه، وبين همهم ورحمته. {يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون}[11] {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم}[12].

فهل أدرك الناس والرسالة تترى؟ هل استيقظ الناس والآيات والعبر كثرى؟

إن الذي تسمعون هنا إنما هو غذاء لذواتكم إذا عرضتموها لشمس الحياة، وإنه لغذاء لنفوسكم إذا ما جاهدتموها على شهواتها حتى تحترق فتشتعل بجذوة الحياة، وإنما هو غذاء لعقولكم حتى يشرق فيها مصباح نور الله فتعلمون أن الله نور السموات والأرض وما السموات إلا غيبكم وما الأرض إلا ذواتكم، وتعلمون أن هذه الرسالة الروحية هي يد الله تمتد إلى قلوبكم تصفيها وتنقيها وتخلقها خلقا من بعد خلق من آخر مضغة غير مخلقة، تتخلق بالله فتكون لها سميعة وبصيرة ووعي به تبصرون، وبه تسمعون، وبه تفكرون. ألم يقل لكم الله لهم قلوب ولكن لا يفقهون بها؟ لا يبصرون بها لا يسمعون بها؟ إنها لم تخلق، إنها مضغة غفل لا يريد حاملوها أن يعرضوها للتخلق، إنها تعجز أن تتخلق منكم وأنتم تحيطون بها بذواتكم المخلقة ولا تريدون أن تطبعوها على هذه الذوات فتتخلق، تتخلق بانطباعها بصبغة وجوهكم حية مبصرة مدركة لها ما في رؤوسكم من حواس، لأنكم لا تريدون أن تعرفوا أن هذه الرؤوس التي تحملها أكتافكم وتربطها بكم أعناقكم كانت في يوم قلوبا غير مخلقة فتخلقت، وأنتم اليوم بعثها وقيامها. فلِمَ لا تعملون حتى تجعلوا من قلوبكم بين جوانحكم كينونة بدأت الحياة، وبدأت التخلق على كرامة وعلى حرية وعلى وعي وعلى أنانية حية حتى لا تتخلق في قابل على غفلة؟ كما هي عقولكم اليوم على غفلتها من قديم. وفرحتها أن تحيا في جديدها، وفرصتها في حياتها أن تحيا القلوب التي بين جوانحكم. هكذا دواليك يكون الأمر ينشئكم فيما لا تعلمون، ولا يمكنكم أن تعلموا - إن أردتم العلم عن العليم الخبير- إلا به. إنه معلمكم وهاديكم. وها نحن نعلمكم بما علمنا وهو المعلم فينا، وهو الهادي بنا، وهو القائم في قيامنا وقيامكم، وهو الفاعل في فعلنا وفعلكم، فلا تردوا الأعمال إلى غيره، واطلبوه تجدوه لا إله إلا هو فاشهدوه.

اللهم إنك بنا أدرى منا، ورحمتك بنا أقرب وأرحم من رحمتنا بأنفسنا. اللهم بفضلك فارحمنا، وبعفوك تب علينا، وإلى أحضانك آونا واضممنا.

لا إله إلا أنت سبحانك، ولا وجود لغيرك، ولا معبود سواك. اللهم باعد بيننا وبين ما يباعد بيننا وبينك. وقوم برحمتك نفوسنا وبنورك قلوبنا.

اللهم قنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم قوم فيك أمرنا حكاما ومحكومين، اللهم ولِ أمورنا خيارنا أئمة وهادين، فقهاء ومتفقهين، حكاما ومحكومين.

اللهم خذ بيدنا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

(سئلت مثل كثيرين غيري عما إذا كنت أرغب في العودة إلى نطاق المادة لأحاول إنقاذ الذين يحاولون في دنياكم أن يحطموا أنفسهم والعالم الذي يعيشون فيه، وها نحن نحاول العمل فيما بينكم، وما زلنا نحاول بإمكانياتنا لنبين لكم بمعاييركم أن الذين يتركون عالمكم ما زالوا يعيشون في الملكوت الأكمل للروح الأعظم لعلكم تدركون أنكم مثل هؤلاء جزء من الروح الأعظم فتغيرون من مسلككم، وتتعاونون معنا لتغيير مسلك الآخرين في دنياكم لتدخلوا الملكوت الأكمل بتكوين صالح لمواصلة الحياة إلى كمالها).

السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عن قصة في الأثر حينما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز، وفدت الوفود من كل بلد لبيان حاجاتها وللتهنئة، فوفد عليه الحجازيون، فتقدم غلام هاشمي للكلام، وكان حديث السن، فقال عمر: - لينطلق من هو أسن منك، فقال الغلام: - أصلح الله أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك، فقال عمر: - صدقت، قل ما بدا لك.

٢ قسم الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث الشريفة.

٣ استلهاما من الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٤ سورة محمد - ٢

٥ سورة محمد - ٢

٦ آل عمران - ١٣٣

٧ سورة القلم - ١

٨ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض." أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.

٩ سورة يس - ٨١

١٠ سورة النمل - ٦٤

١١ سورة يس - ٣٠

١٢ سورة الأنبياء – ٢، ٣

(٩)

الإنسان وموائده
محمد وموالده

حديث الجمعة

١١ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ - ٢ سبتمبر ١٩٦٠ م

سـبحان الله!

سبحان الله المنزه عن الحصر والعـد!

سبحان الله المنزه عن القديـم والجَـدّ!

سبحان الله المنزه عن الأولية والآخرية!

سبحان الله المنزه عن القبلية والبعدية!

سبحان الله المنزه عن الشـهادة والغيب!

سبحان الله المنزه عن الإحـاطة والقيـد!

سبحان الله المنزه عن القرب والبعـد!

سبحان الله المنزه عن الغيـر والعيـن!

سبحان الله المنزه عن العلـم والجهـل!

سبحان الله المعروف بلا كتـاب ولا نبي!

سبحان الله المنزه عن الوصف، الموصوف عند أهل محبته بأهل محبته!

سبحان الله المنزه عند أهل قربه عن قربه!

سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله!

نعبده لما هو له أهل، ونطلبه بما هو له أهل، ونستغفره بما نحن له أهل. لا إله إلا الله، ولا موجود بحق إلا إياه. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وبكل ثناء جدير. لا يُوفيه حقه من ثناء إلا ما وصف به نفسه، وأظهر به أمره. لا إله إلا هو. لا نعبد سواه. ولا نلجأ ونرجو إلا إياه.

عباد الله! اجعلوا لكم من كل يوم تمرون به حصيلة من عبرة، ما جعلتم لكم في هذا اليوم من كل ذكر فكرة. ها أنتم في مثل هذا اليوم من كل عام تذكرون مولد جهاز لرسالة بتبليغ من رسالات رسول الله، على ما عُرف بينكم، وقيده ظنكم في اسم وذات بمحمد. فأنتم إذ تحتفلون اليوم بهذه الذكرى لمولد إناء لبلاغ بكتاب من كتب المحيط بكم، حَمَله مُبلِّغ، على سنن من سبق في رسالة الله التي لا نعرف لها بداية، والتي نعلم أو نقول إننا نعلم أنها تقوم بلا نهاية. وكيف يكون لها نهاية ولم يتم لها بعد على الأرض غاية؟!

إن آدم البلاغ وآدم الدين.. إن آدم العلم وآدم اليقين.. إن آدم الإنذار وآدم الحساب.. إن آدم البيان وآدم الخطاب، كلهم عبد في عباد الرحمن. عبد في عباد الديان. يظهرهم الله على هذه الأرض ومن هذه البشرية، - ما كانت على الأرض بشرية وما ستبقى عليها بشرية - باصطفائه ورحمته وعدله. بقيام عبد له من عباد. في دورة للرشاد تنتظم بها حركة وقانون الطبيعة.

فإذا ما اصطفى من بين الناس رجلا من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم ويزكيهم فقد تواجد لهم بينهم آدم بيان وآدم عرفان وآدم رحمة وآدم إنذار. فإذا ما دارت دورة الناس بدورة الأيام بين النور والظلام، وبدورة الفصول الكبرى بين اليأس والابتسام، وبدورة الأرض في فطرتها، وبدورة الشمس في جذوتها، فاصطفى الله من بين الناس من يقيم عدله وقد تعرضت للاختلاج موازينه بطغيان النفوس على النفوس، فاصطفى من أنفسهم لهم آدما يقيم بينهم عدله، ويُقوِّم فيهم أمرهم أمره، فهذا آدم الحساب، هذا علم الساعة، هذا آدم الملك رفيع الدرجات، {فريق في الجنة وفريق في السعير}[1].

هذا قانون من قوانين الله أقام به سليمان يوما عبد عدل ومظهر إحسان على عالم الجان. وأقام به عيسى عبد رحمة ومظهر سلام وبيان على عالم الإنسان. فجاء من نحتفل بمولده جماعا للعبدين وقبلهما، وقياما للأمرين وبعدهما لأن الله جمع فيه زمانا، وزمانا، وأزمانا، وجمع في عصره جنود حق وعسكر بهتان. فبعثه بمولده رسول رحمة، وسيف عدل، ولسان صدق، وسفينة أمان.

فكان بهذا اليوم الذي نحتفل به مسلمين، ويحتفل به أدعياء الانتساب إليه ممن يسمون أنفسهم بالمسلمين وما له أسلموا وما بربه آمنوا. كان بهذا اليوم ذكرى بعث محمد من محمدين من الغيب إلى

الشهادة، وليد الطهارة في الناس.. وليد الحق في الناس.. وليد الروح للناس.. وليد النور للناس.. من أبويه كريمين، وأبويهما من أبويهما كريمين، وأبويهما إلى ظهر آدم وبطن حواء.. حتى كان خلاصة من الناس، فكان في مولده رحمة من الله بالناس. وكان في مولده شمول رحمة الله للناس. (زويت لي الأرض)[٢] (وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا)[٣].

عرف الله في نفسه كما عرف نفسه في الناس، فعرف الله في الناس من نفسه، وعرف الله في نفسه من الناس. فكان حيَّهم بموتهم.. كان نائمهم بموته فيهم. وكان موعدهم بكتابه. وكان قائمهم بثوابه. العبودية له لربه فرض من الله عليه يقوم فيه في نفسه وفي الناس، لا يتخلف عن أدائه بكرة وعشيا. فهو عبد الله في النور، وهو عبد الله في الظلام. هو عبد الله في النوم وهو عبد الله في القيام. هو الناس في افتقارهم إلى رب الناس، وهو الناس يأويهم الغني الحميد.

هذا فرضُه في دينه فرضه الله عليه، وفرضه هو على نفسه من قبل ومن بعد. حيا مسكينا، ونام مسكينا، وبعث مسكينا، وحشر مسكينا، وقام على الحوض مسكينا، وقام بين يدي ربه مسكينا، وقام بين الناس مسكينا، وقام على الناس مسكينا، قياما بفرض الله عليه وبفرض نفسه على نفسه عبدا لله.

تنفل لربه فكانت نافلته الربوبية على الناس، تهجد من الليل نافلة له من مظلم النفوس، وبعث على الناس في المقام المحمود، فكان لهم الحق المشهود والرب الموجود والغيب المقصود.

رسول الله! حق الله! وصف الله! إنسان الله! وجه الله! كتاب الله! كلام الله! نور الله! وحدانية الله! صمدانية الله! ما ظهر رسول الله وعبد الله بذلك لنافلة من الليل في نفس يتهجد بها، إلا كان صاحب حظ عظيم، إلا كان الإنسان يطلب الله في نفسه على ما علمه. يطلب الرب في حسه على ما كلمه. يعرف الغيب في عجزه على ما أفهمه.

اتخذ الله ورسوله هواه، ورجاء معناه، وآمن بقرب الإله، وبقرب رحمة رسول الله، فكان بنفسه ثالثهما. وكان الغيب كله وكلهما. الله ورسوله في وحدانيته - ربا أو رسولا - وهو معهما في وحدانيته -عبدهما وعينهما - يدعو إلى الحضرتين بالحضرتين، ويرجو الحضرتين بالحضرتين. يشهد أيهما بالأخرى ويُشهد بأيهما وبهما لمن طلب الله معه. سَمِعه فأسمعه، وشَهِده فأشهده، وطلبه فوجده. وفتح له مغلق النفوس فيها أوجده.

كل هذا جاء به من نذكر في مولده، وليدا في إناء بلاغه. وما عرفنا له بلاغ! وما أحسنا له استماع! فقد ولد محمد في آدم الذي نذكر، وما ذكرنا آدم إلا ذكرناه -كما ولد في مولد كل إناء في كلمة من آدم -

إذا عرفناه - وأنه بعد تمام بلاغه، وبعد بداية كماله وقيام اتباعه، كان رحمة للعالمين وأسوة للناس أجمعين. فتهيأت الأسباب له، وتهيأت الأسباب للناس به أن يولد في موالدهم - ما استقامت أمورهم، وأمور آبائهم من قبلهم - وتهيأت أسباب الرحمة لهم ولأبنائهم من بعدهم.

إذا أحسن الناس فهم الإيمان بمحمد، لاحتفلوا بمولده في موالدهم وموالد آبائهم وأبنائهم. إنه الوليد في موالد آبائهم ما اعتقدوه، والوليد في موالد أبنائهم ما طلبوه، والوليد في موالدهم ما أحبوه، فتجدَّدوه.

إن محمدا أسوة للناس، ونورا شاملا من الله إليهم. تواجد بينهم مبعوثا بنور الله يمشي به في الناس، أخرجه من ظلمات النفس أسوة لمتابعيه ومتابعيهم ..ضالا فهدى، وعائلا فأغنى، ويتيما فآوى..

ما كان يتيما أووي في حقيقته - وهو رسول الله ونوره - لا بدء لله له في وجوده، ولا بدء لرسالة الله في جوده، ولكنه وصف واتصف يتيما فأووي، وضالا فهدي، وفقيرا فأغني، حتى يكون للناس أسوة بخليقته لخلائقهم ولما هم فيه من قطيعة تتهيأ لهم أسباب الوصلة والاتصال، ولما هم فيه من ضلالة، تتهيأ لهم به أسباب الهدى والعلم.

إن الذي نحتفل بمولده يولد في كل لمحة ونفس بين ظهراني الجنس في موالده من موالدهم، ويدخل في كل لمحة ونفس ظاهر الجنس ببعث الراحلين الصالحين من موتاهم. إنه شقي الحياة ووحدتها. إنه جماع الناس، كما هو جماع الحياة. إنه صاحب هذه الدار ببعثه فيها من داره. وهو صاحب هذه الدار بما خَلَّف عليها من نفسه من الحق وقد رجع إلى داره.

ليست هذه الدار داره ولكنها دار آدمها وذي قرنيها وعذرائها وزهرائها وروحها من قد سها. إن لها نفسها العذراء في بدايتها فيها، ولها ذو قرنيها في عدلها وجزائها لأهلها منها، ولها آدمها وعين معناها وقيامها محيطًا ببنيه راعيا لمراعيه غافرا لمجافيه.

إن الأرض في ذاتها وملحقاتها إنسان لله وكلمة لله وشجرة لله لها فروعها، وأبناؤها في سموات الله منها وعليها وقد أصبحت زهراء باسم الله عذراء في قيام الله آدم في قيام نفسها. زهراء في قيام فروعها باسم الله. بيتا لله ودارا لله بوحدانية الله.

إن محمدا يوم قال (جعلت الأرض لي مسجدا وطهورا)[٤]، ويوم قال (زويت لي الأرض وتبلغ أُمتي سيبلغ ما زوي لي منها)[٥] إنما كان يعرف ويبشر الناس معنى ما قال لهم الله على لسانه في بيانه {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[٦] {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب}[٧] فكان محمد عبده. كان محمد عبده وكتابه وأم كتابه عنده. إمام مبين وكتاب مبين أسوة للعالمين.

أدبه فأحسن تأديبه، وقومه فقوم طريقه، وعرفه فحل عقدة من لسانه وأظهر للناس بيانه.

هذا هو محمد الذي نحتفل اليوم بمولد جلبابه ولا نتعظ بدوام ثيابه، ولا نطلب بيننا جديد إهابه، ولا نطلب قيامنا له جلبابا، وفيه ثيابا.

محمد القلوب. محمد العقول. محمد النفوس. محمد الذوات. محمد القيام. محمد الغيب. محمد الفطرة. محمد الآيات. محمد الأوادم. محمد الكلمات.

أي محمد نعني؟ وبأي محمد نحتفل؟ ... لو عرفناه لأمضينا الحياة في الاحتفال به. فهو الموجود المتوالد مع الأنفاس. وهو الموجود المتطور مع الإحساس. أي محمد نعرف؟ وبأي محمد نحتفل؟ عَرفه من بيننا من عَرف، وشَرُفَ به من بيننا، من شَرُفَ، فرسالته لا تتعطل ورحمة الله معه لا تتوقف. ولكنا نعيب على أنفسنا، ونعيب على عقولنا، ونعيب على متوارثنا - وقد أرسل كافة للناس - ألا ينتفع به سائر الناس؟

إن فيه من الخير، وبين يديه من الحوض، ما يكفي لسائر الناس - ريًّا وسُقيًا - وما يكفي لتنوير الناس، إشراقا ونورا. وما يكفي لإحياء الناس حقا وعدلا...

ولكن ذلك تعطل في الناس، من صنع الناس، وبصنع الناس، يريدون أن يطفئوا نور الله في سرج قلوبهم، وفي مشكاة صدورهم، بأفواههم، يخرجون أنفاسهم عاطلة عن ذكره وذكر ربه، خالقين لأنفسهم في ظلام من فعلهم. وهو الذي دعاهم لأن يتخلقوا بأخلاق الله، فيخلقون أنفسهم بأسماء الله، ويمحون ظلام وجودهم بذكر الله.

هذا هو دين محمد، أدان به الناس، كما رحم به الناس. رحم به صاحب حظ من سعادة، وأدان صاحب حظ من شقوة.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الحظوة بالحظوة به، وأن لا يجعلنا من أهل الشقوة والحرمان بالحرمان منه.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أستغفر الله لي ولكم ولسائر الناس، وأستهديه وأسترحمه، وأسأله أن يولي أمورنا خيارنا، وأن لا يولي أمورنا شرارنا، وأن يعافينا من إقامة عدله، وأن يقيمنا في رحمته برحمته... لا إله غيره ولا معبود ســـواه.

أضواء على الطريق

{ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}[٨] (حديث الإحاطة)

(إذا سمعتم من بين شفتي الوسيط الذي أتكلم من خلاله ما يثير منطقكم أو يتعارض مع حب الروح الأعظم، ما هو سفه أو مهين لذكائكم فاعلموا وقتئذ أن يومي قد حان وأني قد فشلت)

عن السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الشورى - ٧

٢ من الحديث الشريف: "إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أَمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ..." أخرجه مسلم في صحيحه.

٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أَعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأَحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٤ حديث شريف: (فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أَعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وأَحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٥ من حديث شريف: (إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أَمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ...) أخرجه مسلم في صحيحه.

٦ الأنبياء - ١٠٧

٧ الكهف - ١

٨ سورة آل عمران - ١٥٩

(١٠)

حقية الناس
وأسوة العبودية للحق

حديث الجمعة

١٨ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ - ٩ سبتمبر ١٩٦٠ م

أستغفر الله وأتوب إليه. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن لا موجود بحق إلا هو. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله - والذين معه - أشداء على الكفار، رحماء بينهم.

وأحمد الله وأشكره أن هيأ لنا فرصة التواجد في أمته. نشهد معه أن لا إله إلا الله، ونشهد معه أن محمدا رسول الله. ونعلم معه أن عباد الله يقومون بالله ورسوله في قيامهم، ويصدرون عن الله ورسوله فيما يصدر عنهم، ويؤمنون بما يعلمون، ويؤمنون أن العبودية لله شرف الكينونة لكل كائن، وسعادة العقل لكل عاقل، وأمان النفس لكل حي، ودوام المعنى للدائم بها، في دوام الله.

إن العبودية لله، والربوبية على الناس، وحَقّية الناس، وحَقّية الكون، إنما هي مجالات في إنسان الله، من إنسانية الله..... لا بداية لها ولا انقطاع لظهور معانيها، ولا تعطل لطبع الخلق بها بطابع الحق فيها في مرجعهم إلى الله، طلبا للعبودية لله وللالتحاق بإنسانيته... تتزايد لا تتناقص، وتتواجد لا تفتر ... في صور الخلق، بخلقهم ثم تحقيقهم، بما تخلقت به وبما تحققت به إنسانية إنشائهم وإنسانية مرجعهم.

إن الفهم في رسول الله، هو عين الفهم في الله، وعين الفهم في الإنسان، وعين الفهم في حقيقة النفس من كل كائن...

إن رسول الله، بمعنى صفة الله في هديه عن طريق رسله، إنما هو معنى في الحقيقة الكبرى يعز على العقل نوال إدراكه والفهم فيه عزة الحقيقة على نوال إدراكها، إلا بحقها والتحقق بها في الفناء عن النفس، والتخلي عن كثاب الذات من الكون بمحبة الحقيقة في محبة الله، وبمحبة الحق من الله في محبة الله من الحقيقة، وبمحبة الحقيقة من المعروف في محبة المعلوم بالعلم عن وجوده، بقيام العلمية عليه علما

على معروفه وموجوده. إن الحركة والسكون لله وفي الله وبالله.. السكون لصمدانيته، والحركة لصفاته بمفردات وجوده، ومفردات معانيه، تحملها أسماؤه، وتظهرها آلاؤه.

الإنسان في ذلك لذلك جماعه مفرداته من الله، فالإنسان علم على الله، والإنسان أسماء لله، والإنسان كتاب لله، والإنسان آلاء لله، والإنسان آيات لله، والإنسان جماع حقائق الله.. الله معروفه، وهو في نفسه لنفسه من الله معروفه وموصوفه.

الإنسان من الله وجهه وظهوره، ومن الكون أصله وخلاصته، مبتدؤه وثمرته، وجوده وصفوته.

هذا كلام جميل يقال.. وهذا أمل جميل يُشجع به النـــاس.. يُثر صلاحهم كما أنه ينتج طغيانهم.. يصلح به الصالح من الناس، ويطغى به الطاغوت من الناس.

هدانا رسول الله بمسلكه، وبسنته، وبذاته، وبأحواله، وبمعارجه، وبتدانيه، وبتصاعده عنا، وببواقيه فينا.. هدانا بكل ذلك سواء السبيل حتى نرى فيه طريقا وسبيلا ممهدا نسلكه لأنفسنا سيرا وتخلقا، لا يائسين من الله إن طال بنا المسير، ولا متخلفين عن الله إن أبطأ لنا التحقيق.

وأوصانا بالصبر والصلاة، وجعل في الصبر الرجاء والالتجاء، وجعل في الصلاة الصلة والجزاء طريقا مذللا، وعطاء ميسرا، ومعراجا ممهدا، وبابا مفتوحا مجددا.

أعلمنا وعلمنا مما علم ومما علم.. أعلمنا ما أمر بتبليغه للناس، وعلَّمنا ما خُير فيه، وأقام فينا ما احتفظ به لنفسه فيمن صار منا منه لنفسه، وبمن صار له منه صحبه، وفيمن آل به أمته.

إن المعرفة عن محمد هي المعرفة عن الحياة. إن المعرفة عن محمد هي المعرفة عن النجاة. إن المعرفة عن محمد هي المعرفة عن الخلاص.

إن محمدا بيتا وضع من غيب، مدانيا الناس من الملأ الأعلى من عالم الله من الإنسان. وإن محمدا بيتا رفع لله وبيوتا تُرفع إلى الله شوقا إليه وحبا له، وقد أدت وظائفها في الناس، وجَمعت أبناءها من الناس، ودخلها أهلها من الناس. إن محمدا في هذا إنما يقوم به ويقوم فيه في ظل قانون الله الحاكم للوجود، المبدع بقدرته، القائم بإرادته، الحقِّي في الإعلام عنه.

إننا جميعا فينا ما نعلم، وفينا ما لا نعلم، في وجودنا على ما نحن عليه. فنحن لا نعلم من أين جئنا؟ ونحن لا نعلم إلى أين نصير؟ - إلا ما أعلمتنا رسالات الله وقمنا فيه بعقائدنا - ونحن نعلم أننا من الأرض كان تكويننا، وإلى الأرض يؤول تكويننا.

ولكن الله فيما حمَّل رسلَه من بلاغ، وفيما أبرز بهم من كتاب، وفيما أقام بهم من سنة في الناس، وعد - ووعده الحق - أن الناس سيأتي عليهم زمان تعلم فيه نفوسهم ما قدمت وأخرت. يأتي عليهم زمان وهم في السماء الدنيا لهذه الأرض. {في السماء رزقكم وما توعدون}[1]، (من مات فقد قامت قيامته)[2]. كما يأتي على الناس زمان تعلم نفوسهم ما قدمت وأخرت كما وعدهم وهم على هذه الأرض، فلا يمتنع عليهم إدراك ذلك.

{ويسألونك عن الساعة، أيان مرساها؟ فيمَ؟ أنت من ذكراها؟ إلى ربك منتهاها}[3] ...

يوم يكون الناس على ما أردت لهم من متابعتك - وقد أرسلتك للكافة وجعلت بك الأسوة -أأنت مع ربك الآن أم أنت مع أرضك؟ ألست مع ربك؟ إلى ربك منتهاها...

فيحمل الرسول إلى الناس هذا التعريف وهذا الهدي من الله له ولهم، وهذا العلم عن الوجود فيه إلى الناس ولهم. (لكل منكم ساعة)[4].

ومتى القيامة؟ فيقول لهم (من مات فقد قامت قيامته)[5]، (وما مات امرؤ إلا ندم)[6] وكم من ميت لم يمت وكم من حي لم يحيا! (موتوا قبل أن تموتوا)[7] حتى تقوم لكم قيامة، وتقيمون أنتم القيامة بإدراك قيام الله عليكم، ويقين قيام الله بكم، وبجنة قيام الله فيكم، وبشهادة قيام الله معكم. أليس هو معكم أينما كنتم؟ وهو أقرب إليكم من حبل الوريد؟

ويهدى الله إلى رسوله - الذي قامت قيامته، والذي انقضت ساعته، والذي كرمت وشرفت عبوديته - فيأمر الناس أن يدخلوا في عباده ممن عرفوا.. يأمر النفوس التي لم يكمل نضجها أن تدخل مطمئنة في عباده، {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي}[8] وأن هذا الدخول إن دخلت فقامت وأقامت ففي الجنة أقيمـــت. {وادخلي جنتي}[9] ...

إن عبد الله اتسع لما لم يتسع له الكون بسمواته وأرضه من الوعي عن الله... ألم يقل الله (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[10]؟ ألم يقل (لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)[11].

إن محمدا والذين معه.. إن محمدا عبد الله والذين معه من النفوس المطمئنة التي دخلت في عبد الله.. التي دخلت في عهد عبد من عباد الله.. التي دخلت في عبد هو كون لله، وجنة من جنانه.

إن محمدا رسول الله والذين معه نالتهم الطمأنينة والعزة، نالتهم السكينة والخلاص. آمنوا بما أنزل على محمد - وهو الحق من ربهم - فبدل الله سيئاتهم حسنات، وغفر لهم أنفسهم وذواتهم {فكفر عنهم

سيئاتهم وأصلح بالهم}[١٢]، يؤمنون بالله يعرفونه، يؤمنون بالحق يحسونه، يؤمنون بالوجود الحقي يسكنونه، يؤمنون بأنفسهم إيمانهم برسوله، يؤمنون برسوله إيمانهم بربهم.

لقد أصبحوا بمعانيهم، وبمعاني رسول الله فيهم، وبمعاني الحق عليهم، به يقومون، وبه يشهدون، وبه يقدرون، وبه يعلمون، أصبحوا قياما واحدا، وحدانيته الله في وحدانيتهم به بوحدانيتهم برسوله، وحدانية الله يقيمون، وحصن لا إله إلا الله يدخلون، وشهادة أن لا إله إلا الله يشهدون.

أبهذا يتحدث المسلمون؟ أم بهذا يؤمنون؟ أم لهذا يعلمون؟ قليل منهم المفلحون، وأقل منهم الشاكرون. إن بهم الكثير من الذاكرين، ولكن بهم الأكثر من القالين. يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فما يزدادون بدينهم إلا مقتا من رب العالمين. وقد بلَّغَهم {كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}[١٣].

إن الخير في محمد، وإن الخير في أمة محمد. إن الخير في محمد قبل أن يولد محمد بن عبد الله من آمنة الله وهبا من الله، إذ أخذ له ميثاق النبيين، له يشهدون، وبه يَعْلمون، وبه في الناس يهدون ويقومون، ولمقامه يستشرفون فيوعدون، وما زالوا يطلبون، وما زالوا بالمقام يتحققون، وما زالوا فيه يعرجون، بين ظاهرين في البشرية من رب العالمين، وبين عارجين في معارج الإنسان في الأفق المبين، لا تتناهى لهم معارج في طبقات الإنسان تتصاعد عطاء غير مجذوذ، جزاء وفاقا من قانون عدل الله القائم في ظل قوانين رحمة الله في ملكوت لانهائية الله.

بهذا جاء كتاب الله بين أيديكم، وبه جاء حديث رسول الله بين ظهرانيكم، وبه أتت وتأتي سنة رسول الله بين عوالمكم فيمن اقتداه واقتفاه، فسار على أثره، وقام على سنته، وعمل بما عمل به، فتحقق له ما تحقق له، فدعا إلى الله على بصيرة - هي بصيرة من تابع - متابِعا لا تنتهي متابعته، لمتابَع لا تنتهي معارجه ...

هذا رسول الله وقومه. هذا رسول الله وأمته. هذا رسول الله وشرعته. هذا رسول الله وطريقه. هذا رسول الله ودينه {دينا قيما}[١٤]، انْبَتَّ فيه الناس فما أفلحوا، ويئس منه الناس فما أوغلوا، وازور عنه الناس فما برفق دخلوا، ولا بعقل تابعوا، ولا وراء نور سلكوا! ولا فيه جاهدوا، ولكن الدنيا طلبوا وللدين فقدوا!

حُفَّت الطريق بالمكاره فكرهوا الطريق، وحفت النار بالشهوات فطرقوا أبواب النار عشقا وغراما. أساءوا العنوان فساء ما صدر منهم من بيان، وانحرف ما صدر منهم من زعم علم باسم العرفان. حرفوا الكلم عن مواضعه، حرفوا كلمات الله - وهي بينهم وهم كلماته - عما يليق أن توضع فيه في مواضعها من التكريم بالحياة، وسلكوا بها عكس الطريق، وأوردوها مهالك الحياة، ومنعوا مواعينها ماء

الحياة، {يحرفون الكلم عن مواضعه}[١٥] بانحرافهم في سلوكهم، وفي حياتهم، وفي وعيهم، وفي طلبهم، وفي مرادهم. حرفوا الكلم عن مواضعه فيما جاءهم من مُحكمٍ من كتاب الله له موضعه من حياتهم، فوضعوه في غير موضعه من أوضاعهم.

أطاعوا الطغيان باسم الرحمن، وتعالوا بالسلطان باسم الحي القيوم، وما للربوبية للكون عليهم خَلقَهم ولكن للربوبية على الكون بالعبودية له أوجدهم، فتركوا ما هم أرباب عليه بعبوديتهم، واستشرفت نفوسهم للاستعلاء على عرش ربهم، يجلسون مجلسه ولا يطلبون فيه مجالسهم. يفعلون ذلك بوهم الدين، وباسم الديان طورا، وبوهم الرحمة، وباسم الرحمن يوما، وبوهم العلم، وباسم العرفان قوما، وهم من كل حق في ذلك خالون.. نفوسهم جوفاء، وعقولهم عوجاء، وقلوبهم خلواء، وأفئدتهم هباء، وذواتهم إلى الفناء.

شياطين الإنس يوحي بعضهم إلى بعض، وشياطين الجن يوحي بعضهم إلى بعض، وشياطين الجن والإنس يوحي بعضهم إلى بعض.

اختلط الحابل بالنابل، وضاع الحق أمام أهله، واختفت بين الناس أبواب الحق لطالبيها، وأغلقت حتى على طارقيها، وغابت عنهم معارج الحق لراجيها، وذلك بفعل الناس، وبصنع الناس. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، يريدون أن يطفئوا نور الله في نفوسهم، يريدون أن يطفئوا نور الله في نفوس الناس، يريدون أن يفرضوا ظلام أنفسهم باسم النور على الناس، وأن يفرضوا باسم الله موات نفوسهم على الناس.. ولكن الله يمهل ولا يهمل يأبى إلا أن يتم نوره ولو كفر الكارهون، ولو كره الكافرون، ولو كفر الكارهون لنوره في ظلام حياتهم في ميت قيامهم. وهو الذي يهدي السبيل لشاكر ولكفور.. يهدي النجدين لصاعد بنوره، ولمنحط بظلامه، لسار في طريق التصاعد والتكامل، أو لمتخلف ساقط في هاوية نفسه. {بيده الملك وهو على كل شيء قدير}[١٦].

استهدوا الله لأنفسكم.. هدانا الله وإياكم. وابدأوا بأنفسكم حتى إذا ما اهتدت كان لكم أن تبدأوا بمن تعولون، حتى إذا ما كان لكم توحد في صحب فيمن تعولون، فبنور الله انتشروا في الناس. أفمن يجعل الله له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها؟ ولكن ابدأوا بأنفسكم أولا، ولا تتجاوزوا أنفسكم حتى تبدأ أنفسكم الحياة.. فإن بدأت في معارج الحياة فلا تدعوا لها ما ليس بها، وقوموا بها بما كان لها.. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، في حدود وعيكم، وفي حدود إدراككم، وفي حدود ما قام الحق بكم.. لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

هذا ما جاء به الدين. وهذا ما هدانا إليه رسول اليقين من رب العالمين به نهتدي وبه نعمل، وإليه نهدى إن شاء الله.

اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. اللهم تولَ عنا أمرنا. اللهم خذنا منا. اللهم تكفل بنا. اللهم قوم فيك طريقنا وسبيلنا. اللهم اربط فيك قلوبنا وجمعنا. اللهم يسر بحكمتك ورحمتك ونعمتك طريقنا. اللهم ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، اللهم برحمتك فعاملنا، ومن قوانين عدلك فأقلنا. اللهم بدل أمثالنا، وأصلح فيك شأننا، واغفر ذنوبنا ووجودنا. اللهم ارزقنا لا إله إلا الله، وأدخلنا في لا إله إلا الله، وأقنا بلا إله إلا الله، وانشرنا بلا إله إلا الله، وانشر بنا لا إله إلا الله.

اللهم أنر بنورك في نور نبيك ظلام قلوبنا. اللهم اجعل لنا نورا ينير قلوبنا وعقولنا. اللهم زد فينا نورك حتى تمحى ظلمة نفوسنا، وحتى ينبلج الطريق إليك أمامنا، وحتى تنشط في الطريق همتنا برحمتك، وبعزتك، وبقدرتك... لا إله إلا أنت، ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

تلخيص عن أحاديث السيد الروح المرشد (سلفربرش) في دائرته بالقاهرة:

إن رسول الله لم يُعرف بعد لعالمكم. فلا غرابة إذا لم يقدر عند عالمكم على ما يجب أن يكون، وعلى ما يليق به. وإذا كان هو قد حرص على تأسيس رسالته وضمان بقائها بزرع نواتها في أرضكم، إلا أن عالمكم لم يتعهدها لتتصاعد شجرة رحمة لكم بعد. لقد أحكم رسول الله أمره بينكم، ولكن عالمكم فرط في أمر نفسه من أمر متابعته والانتفاع به وبغرسه.

إذا قربت لأذهانكم صورة له لمجرد التقدير تستطيع إدراكها عقولكم، فإنه جماع ما ظهر على أرضكم من رسالات قامت بها وجوهه من روح الله به، بدءا من نوح إلى موسى ممن ذكرتم من أبناء آدم من وجوهٍ لله وكلمات له، كان رسول الله لها جماع.

إنه ما بعد آدم دائما. وإنه ما قبل آدم دائما. هذه هي قضيته في الحقيقة، ورسالته في الوجود. إنه الحق من الله في آدم، وإنه الحق من الله بآدم، وإنه الحق من الله لآدم. هو روح قدس الله. إنه روح عظيم لروح الحياة اللانهائي. هو جماع وجوه الله لعالمكم، وهو معنى الله في الحقيقة عندنا.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الذاريات - ٢٢

٢ حديث شريف: "إذا مات أحدُكم، فقد قامتْ قيامتُه، فاعبدوا اللهَ كأنكم ترَوْنَه، واستغفِروه كُلَّ ساعةٍ". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال، وأبو نعيم في (حلية الأولياء)، وغيرهم.

٣ سورة النازعات - ٤٢:٤٤

٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٥ حديث شريف: "إذا مات أحدُكم، فقد قامتْ قيامتُه، فاعبدوا اللهَ كأنكم ترَوْنَه، واستغفِروه كُلَّ ساعةٍ". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال، وأبو نعيم في (حلية الأولياء)، وغيرهم.

٦ من حديث شريف: "ما من أحد يموت إلا ندم. قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع." أخرجه الترمذي، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والديلمي في الفردوس، والبغوي في شرح السنة.

٧ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدَّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٨ إشارة إلى سورة الفجر – ٢٧ ٢٩,

٩ سورة الفجر - ٣٠

١٠ مقولة صوفية تتناغم مع تكريم الله للإنسان.

١١ إشارة إلى الحديث القدسي: "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن." ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وفي أدبيات المتصوفة.

١٢ سورة محمد - ٢

١٣ سورة الصف - ٣

١٤ سورة الأنعام - ١٦١

١٥ سورة النساء - ٤٦

١٦ سورة الملك - ١

(١١)

الإنسان وابن الإنسان
آدم وابن آدم
عبد الله وابن عبد الله

حديث الجمعة

٢٢ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ - ١٣ سبتمبر ١٩٦٠ م

سلام الله علينا وعلى عباد الله الصالحين، الحمد لله المعروف بحقه، والمعروف بخلته، والمعروف بوجوده، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا شريك له، غني عن المعين، وغني عن الوزير، وغني عما يتخيله الخلق فيه، والصلاة والسلام على رسول الله، حقيقة ثابتة دائمة، وصفة في الكون قائمة.

عباد الله: هل هناك خير من تقوى الله؟ وهل هناك رب أرعى من الله؟ وهل هناك معين أقوى من الله؟ وهل هناك ملبٍ أسرع من الله؟ وهل هناك محكم أحكم من الله؟

عباد الله: إذا كنتم آمنتم بالله، فاتقوه وآمنوا برسوله، وارعوا إيمانكم في أنفسكم حق الرعاية حتى يؤتكم الله كفلين من رحمته، من دنيا قيامكم، ومن دنيا مآلكم، ومن دنيا إيابكم، ومن دنيا أنفسكم، ومن دنيا باطلكم، وفي دنيا حقكم.

إن الظاهر من وجودكم، والظاهر من تدبيركم، والظاهر من اجتماعكم، والظاهر من جماعتكم، والظاهر من نظمكم، إنما هو مرآة الباطن من أمركم على مثال له وعلى ارتباط به. وإن ما هو ظاهر من قديم لكم عنه برز، ليشف وينم عن مستقبل، لا يخرج في رباطه عن معاني القديم من حيث نسبته إلى ظاهركم أمرا مجهولا عندكم. فأنتم في ظاهر أمركم تجهلون أمر قديمكم كما تجهلون أمر مستقبلكم، وقد كنتم كذلك يوم كنتم في قديمكم. لقد كنتم في جهل عن الأقدم منه كما كنتم في جهل عن مستقبل لكم هو اليوم حاضركم.

وإنكم عما قريب لمغادرون هذه الدار- وإذا قلنا دارا فإنما هي دار حقيقة- وإن الإنسان إذا كان في هذه الدنيا وفي هذه الحياة يتنقل من دار إلى دار تسمى برقم وعنوان وطريق وحي وبلد، إنه كذلك

إن غادر هذه الأرض، أو إن غادر هذه الدنيا -كما يسميها من معاني الدنو - إلى إدراكه بمعاني الحياة مدركة عنده اليوم، فإنه مغادر إلى دار أخرى على مثال مما هو فيه، قسطه منها على قدر ما تهيأ له، واكتنز هو من حاضره. وإنه آخذ متزود من هذه الدار لتلك الدار بعقائده ومعنوياته وإدراكه، كما يتزود الطالب في مدرسته في ثقافته النظرية، وثقافته التدريبية أو العملية، وفي مسلكه المرعي من الجانب الخلقي في دار تأهيله. وإنه إذا خرج إلى الحياة أو ما نسميه الحياة من حياة العمل، وهو ما خرج في الحقيقة إلى الحياة، ولكنه انتقل من مدرسة صغيرة إلى مدرسة كبيرة، وإنه مغادر هذه المدرسة على كبرها - وهي صغيرة ضئيلة في حقيقة أمرها - على مثال مما سبق له من دار تحصيله التي خرج منها إلى دار العمل متصورا أنه في الحياة.. وهو ما انتقل إلا من فصل إلى فصل، أو من مستوى دراسي إلى مستوى دراسي آخر.

هكذا يواصل الإنسان طريقه في ركب الحياة، وإن الإنسان في ذلك لهو على دين من أحب، وإن تجمعات الناس على ما يستهويهم من معنويات لإدراكهم في أنفسهم، وفي آمالهم، وفي حاضرهم، إنما يتجمعون على معنى يحملونه، وتحت علم يرفعونه، في ركب الحياة.. فهم إما تحت لواء أحمر، وإما تحت لواء أبيض، وإما تحت لواء أسود، وإما أناس يسيرون على غير هدى في دروب الحياة، وفي دروب الكون، لا هادي لهم، ولا رائد أمامهم، ولا عقيدة لهم، ولا اجتماع على قديم في الحق جمعهم، أو جديد للحق خلقهم.

وإن الذين يتجمعون تحت علم ما أيا كان لونه، إنما يسيرون في الحياة، ويقطعون دربا من دروبها.. وإن العلم الأبيض أو العلم الأسود أو الأحمر، ما دل إلا على معلوم من حقيقة، أو مدرك من صفة، أو استقامة من فعل، على مراد من حكمة الله.. وإن الله وهو المطلوب، وإن الله وهو ما يجب أن يكون مطلوبا، وإن الله وهو ما يقبل أن يكون مطلوبا، متجرد عن معالم هذه الأعلام، سوداء أو حمراء أو بيضاء كانت.. فإن هذه الألوان ما هي إلا صفات الخلائق.. وإن الحق تعالى عن وصف الخلق، وإن ظهر بأوصافه في اتصاف بمعاني قيامهم، إعلاما لهم عما يجب أن يكون معلوما لهم، عنه في أنفسهم.

إن كتاب الله يرسله الله لعباده ليس ورقا، وليس مدادا، وليس رسما، ولكن كتاب الله يرسله الله لخلقه إنما هو رقائق من رحمته من أمر روحه، نورا يقذف في قلوب عباده يرون في عبوديتهم لله كتابا لأنفسهم من الله، يقلبون صفحاته بالنظر والتأمل في أنفسهم، ويرون ما في الكون إلى ما في أنفسهم، ويرون ما في أنفسهم إلى ما في الكون، فيقلبون الأبصار في آيات الله في أنفسهم وفي الآفاق حتى يسعدهم الله، فيكشف لهم أنه المتدين فيهم لهم، وأنه الظاهر في قيامهم لأنفسهم،

والظاهر فيما يحيط بهم من الكون، ومن الوجود من أنفسهم، وأنه المتحدث إليهم فيما يبرز من آياته لهم في أنفسهم، وفيما حولهم، وفيما يبدو عن إدراك عن غيرهم هو من أمرهم، أو من أمر الناس، أو من أمر الدنيا.

إن هذا هو حديث الله الدائم، يتحدث به إلى مستمع رفع عن بصره وسمعه الغشاوة، فشهد وتبين له أنه الحق، كما تبين له أنه بالحق ينظر نفسه في الحق محيطا به قائما عليه، قائما فيه، مقيما له في حق من حقه، ووصف من وصفه، واسم من اسمه وعَلَم من عَلَمِه، وعِلْم من عِلْمه، منزلا سكينته على قلبه، بما ينزل على قلبه من طمأنينة وتبين للحق.. وكيف يصبر الخلق على ما لا يحيطون به خبرا ثم يقولون نحن معتقدون أو مدركون لحقائق الله، وهم في يأس منها في جلباب من زعم لها أو وهم عنها!

(إن الله يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه)[1]

وإن الله في بحثه عن عبده إنما يفعل ذلك بسفور عباده في عوالم خلقه بمحمديهم من عباده، في واسع خلقه من ظالمي أنفسهم من نبات الأرض من الناس.. وإنه إذا أسفر ابن عبد الله وآدم الله في الناس فتبين لهم محمد من بينهم قائما بينهم، باحثا عمن يستهديه ما استهداه، وعن طالب لما طلب من الله، كان ذلك طلبا من الله لخلقه.. وهذا معنى أن الله يبحث أو أن الرب يبحث عن عبده.

وإن الناس إذ يتذاكرون في الحقائق، ويتعلمون أو يعلمون أو يتعالمون، إنهم في حال من البحث عن ربهم. فإن صدق فعلهم، وخلصت نواياهم، واشتدت حميتهم وهمتهم، استجاب الله لهم، فكشف لهم عن ابن عبد الله من بينهم، وكشف لهم عن المحمد من قومهم.

إن ظهور ابن عبد الله إنما هو إجابة من الله لطالبي الله لأن الله من وراء الكل محيط، وإن الكل لله وجه باقٍ به الحق في تجليه، أو متخل عنه الحق بجفوة صاحبه لمعانيه. أما الحق وجها مدركا مقاربا للوجوه لهو في ابن عبد الله مسفرا مخلِّصا، موضوعا عنه الوزر، محفوظا فيه الأمر. وإن عبد الله لهو غيبه من معاني كلمة الله مشهرة في خلقه بابن عبد الله، وهو كتاب الله ورحمته مهداة لطالبي الله. وإن شرائع الله ما قامت وما استقامت إلا بمعاني تدور حول كلمة الله، تدعو إلى كلمات الله، تتجمع من خلق الله تحت لواء من كلمة، هي للناس جماع في ابن عبد الله، ظاهر المحمد من صفاتهم، والمحمد من ذواتهم.

وإن الإسلام كدين بدأه آدم باستسلامه وإسلامه، وحقق رحمة الله فيه بتوبته ومسالمته، وهيأ لأبنائه إلى الله مسلكا برجعته وسلامته، فكان علما على الإسلام لله، وعلما على التسليم لأمر الله، وعلما على المسالمة مع الله، وعلما على البراءة والسلام من الله، فكان علما على الحق لأبنائه، وكان

وعدا من الله لهؤلاء الأبناء أنه مصطفيهم على مثال مما كان لأبيهم، وأنه مجتبيهم على مثال من اجتبائه، وأنه مقربهم على مثال من تقريبه، وأنه متجل به لهم، ومسجدهم له، ومقربهم وجامعهم عليه، وأنه تعالى في كماله عن المثال، وعن النوال، وعن المشاركة، والشريك.

جعل الله من آدم جديد ربوبيته لجديد خلقه منه. وكون آدم من صنعه وإرادته في صنعه لنفسه بإرادته. خلق به الزمن ختما وبدءا. أعطاه الحياة الأبدية فتواجدت في حياته معاني الحياة الأزلية. اصطفاه من أرضي وجوده لعلوي وجوده.

جمعته يد قدرته من تراب الأرض من نبات البشرية من شجرة سبقه في وحدة من تواجد. تخلت مفرداته عن مبانيها ومعانيها شوقا إلى الفناء في خالقها وبانيها، فأوجد شوقها لمعناها جديدا لأصلها ومبناها، فقامت فيه ذراته وقامت به معانيه وصفاته.

علمه الأسماء كلها، فأعلمها وعلمها وكان بمعانيه علمها، وبمبانيه أعلامها، وبذاته كتابها وجماعها. فهو العبد الأول.. والعالم الأول.. والكون الأول.. والاسم الأول.. والوجه الأول.. والحق الأول.. والأبد الأول.. والأزل الأول.. والكتاب الأول.. والدين الأول.. والإسلام الأول.. في قيام لوجود مطلق بلا حد وبلا بدء هو فيه متواجد على ما تواجد في ظل قانون لهذا الوجود، يحكمه في تواجده ويحكمه هو بتواجده. هو وحده الذي يعرف هذا الوجود ويرتبط به، ويعمل فيه، ويخضع في تواجداته لقوانينه، ويتحكم بتواجده في قوانينه. إنه العبد والمعبود في هذا الوجود. إنه العالم والمعلوم فيه. إنه سبق أن تواجد فيه بلا بدء، وإنه متواجد فيه بلا عد. وسيبقى متواجدا فيه بلا حد.

إنه الكائن الأزلي المنزه عن الجدة والقدم في هذا الوجود المطلق. قديمه من الإنسان ربه وهو في معناه جديد إنسانه أو جديد ربه، من معاني الإنسان الذي ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره به. وبهذا قال الله على لسان المؤمنين به في كتاب إحاطته {وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا}[٢] على لسان عباد من عباده نطقوا بالحق كما علمهم وكما أعلمهم.

وإن الله جعل من ابن عبد الله، وإن الله جعل من ابن آدم في محمد مثالا يحتذى لأبناء آدم، ومن يطلبون أن يكونوا أبناء لعبد الله، حتى يضافوا إلى قديم إنسانهم وَجِّد ربهم في أبيهم من إنسانية آدم، أبناء له يُجدد فيهم معانيه من الخلق، وتتهيأ بهم له معانيه من الحق، متكاثرا بينهم، متكاثرا لهم، متكاثرا بهم، متكاثرا منهم.

هذا أمر من دين الله هو جماعه، وحول هذا يدور الدين فهو عماده. إن الدين لا يقوم حول إقامة مناسك من ركوع وسجود، فإنها حركات رمزية لمقام من الأدب ومسلك من الاتجاه، تتكيف في

أمم على ما كيفت لأهلها، وعلى ما تكيفت في نفوسهم بآدابهم مع الله. لا فرق بين منهاج ومنهاج، أو شرعة وشرعة فيما يتعلق بتفاضل أو بأثر من قيام الحق في منتهج لها. ولكن الذي عليه يدور المقام والذي به يصدق الحال هو حسن الفهم عن الحقيقة تُطلب، وحسن الأدب مع الله يُنشد به يُتبين أمره، وتكشف حجب الظلمة عن النفس لتبيان نوره مشرقا على أرض القلوب من القيام من ذوات الخلق من نبات الأرض من الناس.

إن الناس يتحدثون عن منتظر ينتظرونه من أمر الله. وإن الناس ليرجفون في القول بوهم العلم ويشطون في اليأس باسم الأماني، وينزلقون في الإدراك باسم الهدى لأنهم لا يريدون أن يكونوا على بصيرة فيما بين يديهم من أمر من أمر الله، وكتاب من كتاب الله، وكلام من كلام الله، وهدى من هدى الله، قامت به كلمات الله.

متى حرم الله الأرض من ابن عبد الله؟ متى حرم الله الأرض من محمد في الخلق بينهم يعرف بمحامد؟! ليس محمدا الذي تعرفون أو الذي تدعون أول محمد في دين الله، ولا أول رسول في شرائع الله. فإنه ليس بدعا من الرسل ولا جديدا من الأمر. وإنه ما جاء إلا بما جاء في صحف أولى من صحف مثال له من إبراهيم ومثال له من موسى. وإن إبراهيم وموسى ما كانوا في الناس بدعا من أمر، فقد قامت من قبلهم رسائل، وقام من قبلهم ابن لعبد الله، وقام من قبلهم محمد في الخلق للخلق من الخلق، على سبق لا يدرك بدؤه، ولا يحاط ببدايته {منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك}[٣]. وإذا كنا قد قصصنا أو لم نقصص فإنما قصصنا أو لم نقصص ممن اصطفى الله، واجتبى الله من أبناء آدم.

وإني إذ أعلمك الكتاب والبيان، هل تعلم لله سميا؟ هل تعلم لله بدءا؟ هل تعلم في الحق جديدا جد عليه لم يكن على أزل؟ هل تعلم أن الله قاطع عن الناس أمرا أظهره، أو ممسك عن الناس رحمة بذرها، أو لواء نشره، أو خيرا بسطه، أو بساطا وضعه، أو بيتا أقامه؟ وهل تعلم أن الله وقد حققك أنك إلى زوال، أو أنك على غير مثال، أو أن أمرك في الناس لا ينال؟ إنك لتعلم. قال أي ربي. ولكن الناس لا يعلمون قدري، ولا يقدرونك على ما يليق بهم، أن يقدروك به. قال الزم ما علمت واستقم على ما أمرت. وإذا كنت باخعا نفسك على آثارهم فإني متجاوز عن فعلك لقصور إدراكك في حكمتي. لو شئت لهديت الناس جميعا. ولكني على ما تصبو إليه نفسك مجيبك. فإني ما أرسلتك إلا رحمة للعالمين. وإن لك في النهار سبحا طويلا. حتى أهل الظلام لا أحرمهم من رحمتي معك ولعلي باعثك بينهم مقاما محمودا يوما من الأيام، وفق إرادتي وعند مرادي ووفق حكمتي، يوما لا تعلمه أنت ولا يعلمه من في السموات ومن في الأرض. ولكن الناس يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد

خلت من قبلهم المثلات. لمَ لا يستعجلونك رحمة من الله ولا يستعجلونك ببطشة من الله وهو شديد المحال؟! وهو شديد البطش {إن بطش ربك لشديد}[٤].. {ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم}[٥]، ولكان لزاما. ولكن {قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين}[٦] فهو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٧] {ومن الليل فتهجد به نافلة لك}[٨]. ومن هذه النفوس المظلمة أفض عليها عطاء غير مجذوذ، وأفض عليها مما أفاض الله على قلبك من نوره حتى تستنير نافلة لك، لأني معطيك من قبل مجيئك صحبك، كما أني فرضت عليك أن تصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وأبرزت لك ما هو ملازم من حقائق سوف تستوفي بها وظيفتك في دارك، يبقون على بقائك، ويعملون بعملك، ويسيرون على سنتك، ويهدون بهديك، ويهتدون على هديك، من آل بيت لك من ذريتك ومن أصحابك ومن محبيك ومن محبوبيك ومن متابعيك. أصطفيهم وأجتبيهم على مثال من اصطفائي لك حتى أتنزه في الخلق، وحتى يتكشف للناس في أمور دينهم أنني المنفرد بعظمتي والمنفرد بكبريائي. وأني مهما برزت بحقائقي في عبد من عبادي فإني لذلك فاعل، وعلى مثال من قديم فعلت، وسأفعل وسأفعل ...

فنزه الله، واطلب الله طلبا دائما مستمرا في دنياك، واعلم أن طلبك لله هو سعادتك وهو نعمتك، وأن هذا الطلب إذا انقطع عنك مداومته والالتجاء إلى الحقيقة طالبا فقد انقطعت صلتي بك. ومن انقطعت صلتي به فقد هوى، فقد توقف وانحدر. فالكون لا يقف والكون مترق والكون سائر والكون بالحق يسير.

وإن الله المتعالي والمتصف بالتعالي ما تعالى ولكنه تعالى بتعالي الكون وتطهيره من أغيان نفسه بإفاضة الخير عليه، وإفاضة الحكمة يقوم بها تظهر فيه لأهلها. فإن المتعالي هم خلق الله بترقيهم إلى حقائق الله في معارج الرقي، معراجا بعد معراج، ومرتقى بعد مرتقى إلى ما شاء الله وبلا نهاية ...

فإذا كان الناس بالتواء أنفسهم ينتظرون منتظرا من الله فإنهم ينتظرون بطشة من بطشات الله. وإنهم ليستعجلون السيئة قبل الحسنة. وإنهم في هذا قد خلت من قبلهم المثلات. فهلا اتعظوا بقديم؟ وهلا ساروا في الأرض فنظروا وتبصروا آثار من قبلهم من الناس، وإلى أين ذهبوا، وماذا أبقوا، وماذا تركوا؟

إن هذا الأمر لا يُطلب يا إخواني. ولكن الذي يُطلب أن نسأل الله أن يكشف لنا من بيننا لأنفسنا عطاء من الله ومِنَّة، مَن منا وأين فينا ابن عبد الله؟ فإنه لا يغيب عن الأرض كما وعد الله. وإن كان في خفائه لرحمة. وإن في احتجابه لمنة. فإنه في حال احتجابه متكاثر، وفي حال تعارفه متناثر، وفي حال الوصلة به متجدد، وفي حال القيام معه قياما بالحق متعدد.

أما إن أسفر، فهو وحده والكل عبده.. فهو ابن عبد الله. وهو عبد الله. وهو وحده عبد الله. أما الناس! فهم له عباد. عبودية لربه. فهو معاني حقه.

فماذا يطلب الناس؟ يطلبون عدم أنفسهم، ويطلبون خيبة الرجاء لهم، ويطلبون القطيعة لهم من الأمل، ويطلبون القضاء يحل بأنفسهم ويحل بديارهم. ألم يقل لهم عيسى في إنجيله (يوم يأتي ابن الإنسان ترتج عليكم أنفسكم وأموركم ودنياكم)[٩] ألم يقل لهم كتاب الله {وإنه لعلم للساعة}[١٠]؟ وإنها لثقيلة وقد {ثقلت في السموات والأرض}[١١]، فماذا يطلب الناس؟ يطلبون الجهل والظلمة. وإن الحق لمشرق في أنفسهم بنوره، ومقاربهم في حال صدقهم بوحدانية قيامه. وإنه لممسك بنواصيهم بواحدية صفاته. وإنه لمتسلط عليهم، منفرد بأحدية وجوده. وإنه لكريم لطيف رحيم بغيب أمره على عقولهم.

إن الله ما كان ليعذبهم وابن عبد الله فيهم ومحمد فيهم. وما كان ليعذبهم وهم يستغفرون من شرور أنفسهم، ومن زلات شهواتهم.

إن الله بهم لراحم، وإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، وإن الله بالناس لغفور رحيم. إن الله ليس للناس بظالم. ولكنهم هم الذين يظلمون أنفسهم بأنفسهم، بجهلهم بأقدار أنفسهم تافهة في قطيعة، عظيمة كبيرة في وصلة.

وإنهم لموهنون الوصلة ومغرقون في القطيعة باسم الاتصال والوصلة. رسموا لأنفسهم دنيا من وحي أنفسهم، وكتبوا لأنفسهم كتبا من إيحاء أنفسهم، ومن إيحاء شياطينهم -شياطين أنفسهم شياطين ظلامهم - وما خفي منهم من أمرهم عنهم، وشياطين ذواتهم من شيطان يجري في مجاري الدم من ذواتهم، ينكرونه مشهودا لهم في أحاسيسهم إن تبصروا وإن أدركوا. وإنه لممتزج بهم في هويات أنفسهم.

ليس هناك شيطان يوهم. وليس هناك إبليس يوصف. وليس هناك رحمن يعرف. وليس هناك إله يغيب. وليس هناك رب غافل. وليس هناك حكيم يستغفل. وليس هناك قادرٌ يستضعف. إنما هي قضايا أنفسكم في أنفسكم لأنفسكم. فارجعوا البصر إلى أنفسكم متأملين، وتذاكروا الله في أنفسكم مكبرين، حتى يستقيم لكم في الله دين، وحتى يرفع ويوضع عنكم في الله وزر، ويستقيم لكم فيه أمر، يتهيأ لكم به مستقبل فيه نصيب من حياة وأجر من جزاء. وإن الله لغفور وإنه فعلا لغافر.

فلا تتخيلوا الدين خيالا {وإنه لحق مثل ما أنكم تنطقون}[١٢]، ومثلما أنكم توجدون، ومثلما أنكم تدبرون، ومثلما أنكم تأكلون، ومثلما أنكم تناكحون. ففي كل فعل من أفعالكم لله فيه لكم آية، وله منه فيكم بكم غاية، منتهية إلى إقامة حق مذهبة لباطل. ولكن ما يسعد به الإنسان هو استعجال الخير لنفسه

بالاستقامة على أمر الله، وعلى مأمور من دينه وشريعته، وعلى منهج له مستقيم، يدركه ميسرا عذبا سهلا قريبا غير ممتنع. فـ (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[١٣]. والمرء إن لم يبدأ بنفسه فلا خير فيه لغيره. وإن الضال في قوله وفعله ما هو إلا مضل. وإن المهدي في قوله وفعله ما هو إلا الهادي. فتهادوا بينكم بتواصي أنفسكم وعقولكم بالقيام في الحق، على ما رسمته لكم شريعة، وعلى ما قومته لكم طريقة، وعلى ما أظهر الله بينكم من سبق، من مستقيمين لخلقه أبناء لعباده، أو أبناء لعبده ووجوها لحقيقة، أو وجوها لحقائق من حقائق الله على تكاثرها، ومن وجوه لوصلة بحقه الغيبي على انفراده، قام فيه أئمة من بينكم ورجال من بينكم هدوا بهدي رسول الله. وقاموا فيما قام فيه رسول الله. وحققوا لأنفسهم كلا أو بعضا مما حقق الله لرسول الله. وانتفع قوم معهم بما انتفع به صحبة من أصحاب رسول الله. كل وفق همته ووفق عطائه. فلا تواكلوا فإن الله لا يحب المتواكلين. ولكن اعملوا وتوكلوا، ولا تهنوا ولا تضعفوا. ولكن اعملوا وإلى الله أنيبوا فإن الله يحب المنيبين، ولكنه لا يحب الخاملين، ولا يحب المتجبرين، ولا المستضعفين. وإن التجبر ليس معناه الغلبة والفتوة ولكن طغيان النفس على صاحبها، والاستضعاف إنما هو ضعف الإنسان أمام نفسه، وأمام شهواته. وإن القوة والفتوة إنما هي في استقامة الإنسان على أمر الله. {خذ الكتاب بقوة}[١٤]، والآخذ كتابه بيمينه والآخذ مسلكه باجتهاده منيبا إلى الله، مستعينا بالله، متوكلا على الله، مستمدا من الله، مؤمنا بالله، هو من أهل الفلاح. فإن الله قريب ما قاربتموه. وإن الله بعيد ما باعدتموه، فقربوه بسؤالكم، وقربوه بتوكلكم، وقربوه بإيمانكم، واسألوه يعطيكم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللهم اجعل منا مفاتيح للخير مغاليق للشر، ولا تجعل منا مفاتيح للشر مغاليق للخير. اللهم ألف بين قلوبنا. اللهم أعلِ كلمة الحق منك فينا لنا. وأعلِ كلمة الحق في خلقك بيننا. واجمع قلوبنا ووحد بيننا. واجعل منا عبدا واحدا فيك. اللهم أعلِ به كلمتك. وانشر وحقق لمحمد به في أمته سنتك. وحقق في الناس منك للناس بهذا الجمع غايته من رحمتك. وأنزل اللهم على قلوبنا سكينتك. واجعل منا لمحمد منك سكنا له من سكينتك. إنك أنت القريب المجيب، وأنت الرقيب الشهيد، وأنت الواحد والوحيد.

اللهم كن لنا في الكبير والصغير من شأننا. اللهم خذ بيدنا. اللهم أنر الطريق أمامنا. اللهم ثبت على الحق أقدامنا. اللهم إنك أنت السلام فارزقنا السلام، وجنبنا الفرقة والخصام. وسلمنا واجعلنا معك في سلام، ومع خلقك في وئام، ومع أنفسنا في احتكام، وارزق الناس منك السكينة والسلام، وارزق الأرض منك الأمن والسلام، وجنبنا الفرقة والخصام. اللهـــم إنك أنت السميع المجيب.

أضواء على الطريق

(ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها..)[١٥]. (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[١٦] (حديث الحال عن معنى الله)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢ سورة الجن - ٣

٣ سورة غافر - ٧٨

٤ سورة البروج - ١٢

٥ سورة يونس - ١٩

٦ سورة يونس- ١٠٢

٧ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

٨ سورة الإسراء - ٧٩

٩ إشارة إلى الآية: "النَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوْفٍ وَانْتِظَارِ مَا يَأْتِي عَلَى الْمَسْكُونَةِ، لِأَنَّ قُوَّاتِ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ." لوقا ٢١:٢٦-٢٧

١٠ سورة الزخرف - ٦١

١١ سورة الأعراف - ١٨٧

١٢ سورة الذاريات-٢٣

١٣ حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

١٤ سورة مريم -١٢

١٥ حديث قدسي: "إِنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ." أخرجه البخاري

١٦ مقولة صوفية.

(١٢)

سفن النجاة
لقلوب المقابر من هياكل الحياة

حديث الجمعة

٢٥ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ - ١٦ سبتمبر ١٩٦٠ م

هل ترون ما أرى؟ إني أراها، وأدرك معناها، إنها مقابر ومنابر، فألواح ومحابر.. هذه هي الدنيا، تمشي على أرضها المقابر باسم الحياة. ويعلو أهلها المنابر - وهم الموتى - باسم الهداة، يكتبون ألواحهم بأيديهم، من سواد نفوسهم ومحابر ذواتهم، إلى موعدهم من الصبح، يوم تأتي سكرة الموت بالحق مما يحيدون عنه.

إن هذه المقابر إن لاذت إنما تلوذ بمقابر، لأنها لا تعرف الحياة، فتطلب الحياة عند أهل الحياة وبينهم الأحياء يملأ ضوؤهم جميع الأرجاء، ويحيي جميع الأشياء، ويفتح لقارع أبواب الرجاء، ويقدم لمتق المقابل والجزاء.

إن الناس يضعون أصابعهم في آذانهم حذر الموت - وفي الموت حياتهم - إذا سمعوا صوت الحق، وصوت الله، صادرا من قلب صادق، مبعوثا بينهم بالحق من أنفسهم. يتجنبونه، ويختانونه، ويمقتونه، ويخاصمونه. حتى إذا ما غاب من بينهم، وقد كان لهم قبلة.. قبلة حَياة، قبلة مُحيية، قبلة زهراء، قبلة مورقة، فإذا ما غاب وانتهت وظيفته فيهم نعتوه بالخير كله، ووصفوه بما ليس فيه، وأضفوا عليه أكثر مما كان فيه، وأبعدوا عنه من المذموم ما قد يكون فيه.. وجعلوا من قبره قبلة.. وجعلوا من قبره مطافا.. وجعلوا من قبره بيتا لله.. وما بيت الله إلا في قلوبهم.. وما قبر القلوب إلا في ذواتهم. وما يبعث الأحياء فيهم إلا من القلوب، وما يبعثون إلا في مقابر أنفسهم وذواتهم يمشون بها على أرضهم، قلوبا طليقة، ونفوسا عتيقة، وعقولا منيرة، ويدا منبسطة لله، ووجها مشرقا لله، علما على معلوم الحق فيه، والحق منه...

ولكن الناس لا يؤمنون بهذه المقابر حية وهي لهم القبلة الزهراء. ويطلبون الحياة في مقابر هي خلو من أهلها - وإن كان ذكر الله في ذكر أصحابها - فإذا ما قصدوها فتأثرت نفوسهم بقصدهم وأحسوا بأثر

لذلك في قلوبهم ففي هذا يقيم الله عليهم حجته، من أذكر أصحابها إنما هو ذكر له (إن لله عبادا إذا ذكروا ذكر الله)[1]، حتى تستقيم في الله عقائدهم، ويبحثون بينهم في أنفسهم عن رائدهم، عن حوضهم.. عن وجه الله بينهم.. عن كلمة الله من أنفسهم.. لجّوا حول المقابر حتى ذهبت منهم العقول، ومرضت منهم الذوات، واندست النفوس وتعطلت القلوب.. هذا هو حال الناس.. وهذا هو حال أهل الكتاب، من أتباع محمد أو من أتباع عيسى.. أو واهمي المتابعة لمحمد، وواهمي المتابعة لعيسى أو موسى.. حال لا يرضاها العقل ولا يقبلها العاقل. ولا يستقيم معها لمجتمع أمر. ولا يظهر بها في الناس طريق تستقيم عليها أحوالهم.. وتسكن بها نفوسهم.

سبحان الله! إن الله قد خلق الناس معادن -كما أخبر رسول الله - (خيرهم في الجاهلية خيرهم في الإسلام)[2]، وما المعدن في جوهره إلا معدن القلب في مخبره.. أما الذات فهي غلاف لمضغة القلب من نبات الأرض، يقيه شر التلف ليظهر ويعمل القلب من أرض الحق مكنزا به. فكل امرئ منكم قلبه، وليس قالبه من غلاف قلبه.. فإن صلح قلبه ظهرت الصلاحية على غلاف قلبه من جوارحه بفعله وقوله. وإذا استقام قلبه استقامت ذاته ونفسه. وإذا حيا قلبه حييت بالقلب نفسه، وانطلق بالحياة عقله، واستقام وحيا بهذه الحياة عالمه وكونه. إن للقلب مولد من الذات والقالب على ما كان للذات والقالب من مولد. مولد لا يجحد ولا ينكر ولا يجهل عند صاحبه، ولا يدرك ولا يعلم عند مجانبه...

إنك جرم صغير اليوم ولكنك عالم كبير ينتظرك، أنت له نواة وأنت له معاني الحياة. فإن أحييت هذه النواة، فَلقها فالق الحب والنوى من رتقها ثم رتقها من فتقها، فإذا أنت عبد ورب. قلبك ربك وذاتك عبدك. وأنت سر الله ورسوله. وأنت سر الرب وعبده، والعبد وربه.

ما قلبك إلا كعبتك وبيتك، وما عقلك إلا رسول الله إليك منك. وما نفسك إلا المُرسَل إليه يستقيم أو يلتوي على ما يشاء. فأنت بذلك كل شيء.. أنت الحياة.. أنت معالم الحياة.. أنت معارج الحياة.. أنت مظاهر الحياة.. أنت معروف الحياة.. أنت عالم الله.. أنت كون الله.. فيك كرسي الله وعرشه.. وفيك مالك الله وملكه.. فيك وجهه.. فيك المستوي على عرشه.. وفيك قوائم عرشه، وحملة عرشه.. وفيك ملائكته وشياطينه وعباده.. فيك عماؤه ورشاده.. فيك غيبه وشهادته.. فيك حسابه وجزاؤه.. فيك جنته ودار بلائه.. فيك كل شيء...

فهل أخرجت من نفسك شيئا؟ هل أخرجت من نفسك شيئا تشهده بنفسك أو بيقين نفسك؟ هل أرجعت البصر إلى صدرك، ولم ينشرح لك صدرك؟ ولم يتفتح لك صدرك؟ ولم يدانيك لطيف ما

ورائك في صدرك؟ ولم يظهر لك في مرآة صدرك ما في قلبك؟ ولم يشرق بين جوانحك نور ربك؟! فيوضع عنك وزرك، ويكشف عنك غطاء أمرك؟ ...

إنك يا سيدي لم تتجه إلى صدرك! ولم تصدق من وجَّهك إلى صدرك ونفسك! من انشرح له صدره، فأعلم ما كان صدره، ليُعَلِّم الناس ما يكون من أمر صدورهم، وما يصدر عن صدورهم!.. {عليم بذات الصدور}[٣].

إن الذي أرجع البصر كرتين، فانقلب إليه البصر ولم يعرف مما طلب وعمن طلب، إلا ما أحاط به في نفسه.. على ما شاء ربه لم يكذبه فؤاده ولم يخطئه رشاده، فيما رأى وفيما أدرك. فكان بما رأى وكان بما أدرك قاب قوسين أو أدنى ممن عَلَّمه، فكان من علمه. كان من كان بالأفق الأعلى. كان من دنى فتدلى. فقام بدوره فدنا وتدلى، ومن الأرض إلى السماء دنا فتدلى وقد أدرك الحق في نفسه، وقد أدرك الحق في معلمه، وقد أدرك الحق من ربه.. دنت السماء فتدلت، فتوحدت فاتحدت مع نبات الأرض، فتحقق نبات الأرض بمحمد وجوده، وعرف الحق بقيام جوده، فلا أرض لغيره ولا سماء لغيره، ولكن الحق عنده من تحقق. وما دنا مدان للحق إلا في مداناة المتحقق. فما ظهر الحق إلا في الإنسان. وما ظهر الحق إلا للإنسان.

فإنسان الحق يحدد معاني البعد عن الحق في البعد عنه، والقرب من الحق في القرب منه. ويحدد فعل الحق ووصفه، بالمداناة وبالمقاربة، أو بالمجافاة والمباعدة، في مداناته لمن يدانيه بالمحبة، وفي مباعدته لمن يباعده بالمخالفة، وما خوصم الحق إلا في مخاصمة أهله من المتحققين به، وما جوبه بخصومة إلا في مجابهتهم بها.

إن الله يقارب ويباعد، وما قارب وما باعد في الواقع إلا أهل الحق منه. وإن ما قام به الحق إن قام على الأرض فمداناة لأهلها من الحق، وإن غاب إلى أعماقها أو إلى سماواتها فمداناة لعوالم الروح فيها أو لعوالم الروح عليها مداناة من الحق.

فهو إذا عرج إلى السماء فإنه مدان أهلها ونازل عليهم. وإذا داناه أهل السماء من أحبائه وهو على أرضه فمداناة الحق يدانونه وينزلون عليه.

فإذا ما كان وإياهم قاب قوسين أو أدنى.. فقد توحدت فيهما الذوات والمعاني. وتوحدت القلوب والمباني فقامت المحبة والوحدة. فإذا تعنون كل وجه بوجه أخيه قامت المخالة وقامت الرفقة والمرافقة، فالرفيق الأعلى والرفيق الأدنى.. وما رسول الله بين أهله وبين قومه إلا الرفيق الأدنى، وما رفيقه

لقومه إلا الرفيق الأعلى.. وما رفيقه من ربه إلا رسول ربه نزلة أخرى ورفقة أخرى، وما رب رفيقه - وهو ربه - إلا الرفيق الأعلى، من الإنسان لهما...

أما الفهم عن الحقيقة في الفهم عن الله، أو الفهم عن الوجود، أو الفهم عن المطلق، في الفهم عن المعروف، والفهم عن من ليس كمثله شيء، فهذا أمر آخر وشأن آخر وعلم آخر. لا يمنع على الناس ولا يحذر عليهم. ولكنه ليس في دائرة تكليفهم وإن كان في دائرة اعتقادهم وتشريعهم، والأحسن أن يكون في دائرة طلبهم {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}[٤] و {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}[٥]، وفي وسعها ما عملت، وفي وسعها ما به انتفعت وله توجَّهت، به يتحدد كسبها ومسئوليتها {لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت}[٦].

إن الناس يهدفون بما أودع الله من سر الحياة إلى دنيا يصيبونها، أو إلى آخرة يرجونها، أو إلى إله مجهول يصلونَه. كل في حدود وعيه، وفي حدود شرعته، وفي حدود فطرته، وفي حدود همته.

من طلب العاجلة عجل له فيها ما يشاء الله - في حدود مشيئته وفي حدود قابليته - ومن أراد الآجلة حقق الله له فيها ما شاء وما أراد - في حدود صفائه وسلامة نيته - ومن أراد إلها حقق الله له طلبه - على ما قدر الله، وعلى ما وصف الله، وعلى ما صور الله، وعلى ما نزّه الله - فليره على ما رآه، وليصوره على ما صوره، ما صدق في طلبه. فإن من ليس كمثله شيء متصور على ما صوره، متقدر على ما قدره أي شيء...

أما من طلب الحقيقة، وطلب المعرفة، وعرف أن الله معيته، وأنه عليه قائم، وبه فاعل، وله سامع، فلم يفكر في تغييب الله عنه، ولا عن عالمه، ولا عن عوالم الله، ما أدرك منها وما لم يدرك، فلم يغيبه عن وجوده فيما أدرك من الوجود، فلا يرى في هذا الأمر طلبا يطلب، فإن الله في الصغير كما هو في الكبير من الأشياء، وإن الله في المُشرِق كما هو في المعتم من الأشياء. وإن الله وراء حجبه من النور والظلام، كما هو في حجبه من النور والظلام، وإن الله لا يُطلب.. ففي طلبه حرمانه - لأنه موجود - وإن الله لا يُطلب لأنه عين الوجود، وعين الأشياء، فطالبه مغيبه، ومغيبه مخرج لنفسه منه. والمخرج لنفسه منه مباعد بها عنه. والمباعد بها عنه مهلك لها وراجع بها إلى العدم. إنه راجع بها إلى لا شيء. {أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا}[٧]، فكيف يرجع إلى لا شيء، وقد أصبح شيئا؟ إنه يختار لنفسه الهاوية برجوعه إلى لا شيء، ولكن الحياة في أن يصلح شيئيته، وليعد شيئيته، وليعِبّد شيئيته للأكبر منها من الأشياء. فليعبد نفسه لربه، فليهيئ قلبه لصاحبه ومالكه، فليهيئ نفسه لمبدعها، فليهيئ ذاته لمنشئها، فليرد الأشياء إلى أصولها وإلى حقائقها، فليتكاثر في نوعه،

وليجتمع بنوعه، فليتماسك بلبناته ليرفع بيتا في أرضه، يذكر فيه اسم ربه. وليصَّعد منبرا يعتليه وجه ربه، ولسان ربه، ويد ربه، وعين ربه - ممن هو كل شيء من أنفسهم -.

إذا اتخذ الناس بعضهم بعضا في الله ولله وبالله، ربا وأربابا، لكان كل منهم في عقد الله.. عبد ورب.. رب لمن أحبه وتكفله فرعاه بالسهر عليه، وعبدا لمن خالله فتولاه ورعاه بدوره، فرعى بذلك الكبير صغيره حتى يكبر، والأكبر كبيره حتى يكثر، فتماسك عقد الناس، وتماسك حبل الناس، وتوثقت روابط الناس، وتآلفت قلوب الناس، واتحدت أفئدة الناس، في الله ولله ومن الله، فعنونهم معنون منهم، فأظهر الله لهم من بينهم اصطفاء، وأظهر لهم أنه أتم عليهم نعمته فبسط بهم في الناس رحمته، حوضا لماء الحياة، ويدا منبسطة بالمؤاخاة وبالمحبة للخلاص والنجاة. فكان الناس رب الناس ملك الناس إله الناس.

وهذا ما قام فيه فريق من الناس للناس من قبل محمد ومن بعد محمد. لم يأبه لهم الناس. ولم يؤمن بهم وبإيمانهم الناس. ولم يسلك خلفهم أو مسلكهم الناس، ففريقا قتلوا، وفريقا خاصموا، وفريقا قَلوا وظاهروا، وقلَّ أن تعاملوا فصدقوا، أو تحابوا فتآلفوا، أو توادوا فاتحدوا. وما رحم الله الدنيا وأهلها لأهلها إلا بهم. وما أمهل الله الدنيا على فسادها وشرها بأهلها حتى يستيقظوا بإرادتهم يوما، وحتى يفيقوا إلى أمرهم يوما، إلا بتواجد هؤلاء بينهم. لا ينقطع لهم تواجد، ولا يُخمد لهم خير، ولا يندثر لهم أثر...

وهذه هي عقيدة التشريع لمن تشرع، وعقيدة التبليغ إلى من إليه بَلَغَ. فهل بحث الناس عنهم وهم قبلة صلاتهم، وبيت طوافهم وحجيجهم، ووجه سعادتهم، وماء حياتهم؟

إن الناس يزهدون فيمن يدعوهم لما يحييهم. فإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوه قائما -

قل ما عند الله، قل ما عندي من الله، قل ما أنا من الله خير من اللهو ومن التجارة...

وإنه هكذا يقول كما قال قبل أن يقول في عرف من اعترف بأنه قال. لقد قال على لسان كل نبي وما زال يقول على لسان كل صادق، وعلى لسان كل عبد لله {ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة}[٨].

إن آيات الله بينكم في كل يوم متواجدة بعظة من الله، وبحديث من الله، وببلاغ من الله، وببشرى من الله، وبإنذار من الله.. فهلا رددتم الأمور إلى الله؟

نسأل الله أن يوفقنا أن نرد الأمور إليه، وأن نرجع في الصغير والكبير إليه، وأن نرد النافع والضار إليه. النافع من رحمته والضار من حكمته.

نسأل الله أن يمنحنا سعة الرجاء فيه، وثقة الاعتماد عليه، وصدق القيام بأمره، وصحو الاستماع لقوله.

نسأل الله أن يقينا شرور أنفسنا، وشرور الأشرار من خلقه، وأن يرفع عنا قضاءه بعدله، وأن لا يحرمنا أمره من رحمته. نسأله أن يرزقنا شهادة أن لا إله إلا الله، وأن يرزقنا شهادة أن محمدا رسول الله. فبمنته تقوم الشهادة بوحدانيته، وبرحمته تقوم الشهادة برسالته، وبرسول رحمته. لا إله غيره ولا معبود سواه.

نسأله أن يدفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما هو به أعلم. نسأله أن يولي أمورنا خيارنا وأن لا يولى أمورنا شرارنا بما كسبنا.

نسأله العفو والعافية في الدين والدنيا، لنا ولأمرائنا، ولأهل الرأي فينا، وإن ضل منهم ضال، وشرد منهم شارد. نسأل الله أن يردنا، ويردهم جميعا إلى حظيرة رحمته، وإلى حظيرة قربه، وإلى حظيرة الرجاء فيه، وإلى ساحة كرمه.

لا إله غيره ولا معبود ســواه.

أضواء على الطريق

(إن الأجسام المادية يجب أن تكون سليمة صحيحة. يجب أن تنبني بما لها حق فيه من تملك حاجيات الحياة، تلك الحاجيات التي يجب أن تكون مجانية، وتحت تصرفها، كما يريد الروح الأعظم. كما يجب بعد ذلك أن تتحرر عقول الناس من العوائق الخرافية باسم العقائد.. تتحرر أرواحهم من سجون ذواتهم، وحتى لا تكون ولايتهم وولائهم لأشياء ليس لها قيمة حقيقية أو روحية.

إننا نبشر بأناجيل الأخوة الروحية بين كل الشعوب، وبأن الروح الأبيض الأعظم هو أب مشترك للجميع. وما يعترض ظهور الطريق، وتعميم الانتفاع بها، هو الآراء الأرضية، والكنائس، والمعاهد التي بنيت على اغتصاب المنفعة، والتجارة في الناس بالاتجار في العقائد والتعاليم لمساندة الظاهرين بالكبرياء والطغيان من الصغار الذين يمسكون بمقبض السوط...)

من هدي السيد الروح المرشد (سلفر برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: " إن لله عبادا إذا رُؤوا ذُكر الله." الراوي: الحسن البصري. صحيح ابن ماجه.

٢ حديث شريف: " النَّاسُ مَعادِنُ، خِيَارُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإسْلَامِ إذَا فَقُهُوا." أخرجه البخاري ومسلم.

٣ سورة فاطر - ٣٨
٤ سورة الزمر - ١٨
٥ سورة البقرة - ٢٨٦
٦ سورة البقرة - ٢٨٦
٧ سورة مريم - ٦٧
٨ سورة الجمعة - ١١

(١٣)

التناسخ والتواجد

حديث الجمعة

١٦ ربيع الآخر ١٣٨٠ هـ - ٧ أكتوبر ١٩٦٠ م

أستغفر الله لي ولكم ولجميع خلائقه، استغفار مظاهر الخلق لأهل الحق من حقائقه، وأحمده راعيا منعما حكيمًا، حمد أهل الحمد من محمدي عباده، ظاهريه في مظاهر خلقه من عباد حضرته وإنسانية حقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله على ما أحكم، وعلى ما أعلم، وعلى ما هدى وعلَّم، شهادته لنفسه بوحدانيته، أنه لا إله إلا هو.

عباد الله: على ما أرادكم له. وخلق الله على ما أوجدكم من كونه، ووجوه الله على ما قام بكم من إحاطته، وظاهر الله على ما أبرز من غيبه.. احرصوا على الحياة من حاضر الحياة بكم ماثل، ولا تحيوا في وهم من قديم متناقل، ولا في خيال من قابل متثاقل.

إن رسالة الله مع رسله، ما أخرجها لكم وأقامها بينكم إلا لما يحييكم. وإن الذي يحييكم إنما هو تواجدكم باسمه، وتناسخكم عن رسم كونه. تناسخوا عن محسوس قيامكم، لتتواجدوا بذكره، وبحقي قيامه في قيامكم، وبزرع كلمة الله في عباده الذين يمشون على الأرض هونا في أرض ذواتكم تحيا بها قلوبكم. واعلموا أنهم يحملون كنوز رحمته عبء ظهورهم وملء إحاطتهم يسعون إلى الناس - وهم سعيه - ويقاربون الناس - وهم تقاربه - هم أحواض ماء الحياة تنساب إلى السهول الواطئة في النفوس الطيعة، والعقول المدركة. إنهم أناس في خدمة إرادته بالناس.

إن التناسخ والتواجد أمران في الحقائق وفي الخلائق. فمن حيث الحقائق يقوم التناسخ في خلقي مجالاتها مع غيبي أصولها تصاعدا، فإذا ما تواجد الكائن البشري على هذه الأرض أو في السماء، مجالا لحقيقة قديمة من عالم الغيب من ملأ أعلى، فكان آدم إنسان قديم، أو مظهرا لوجود قديم، بمعنى موجود للحق لم يلازم جديده في آدم تواجده على هذه الأرض أو في سمائها من معاني الخلق والروح

بتواجد جديد لقديم، كان التناسخ بالنسبة له في تناسخ الحاضر من المجال البشري والروحي مع الأصل من الحقيقة.

وإذا تم هذا التناسخ بسلوك الجديد إلى القديم، أي إذا أدرك الكائن الخلقي أنه معدوم بالنسبة للكائن الحقي لوجوده، وأنه أصبح في حكم المعدوم مع هذا الوجود القديم له جسدا وروحا، وأنه أصبح ولا وجود له ولا عمل له، ولا قيام له، ولا تدبير له، مع قديمه الموجود الفاعل المدبر باسم جديده، كان هذا الموجود الخلقي قد أدى مهمته وانتهت صفته الخلقية، وارتبطت صفته بحقيقته من قديمه. وكان في هذه الحالة بمحدثه مسيحًا لقديمه، أي في حكم المعدوم مع قديمه.. وبذلك كان حاضره هو حضور قديمه، ووجوده هو وجود قديمه. وفي هذه الحالة يعتبر مظهره ظهورا لكلمة لله وروح منه، بقديمه يعبر عن معناها بمنسوخه من بنيانه، وبممسوحه من عنوانه، وبمسيحه من عقله، وبمعروشه من ذاته، وبمبعوثه من صفاته كلمة لله وروحا منه، مبرزة من غيب الله لا كثيف لها وإن تكاثفت، ولا تواجد خلقي لها وإن تواجدت، فهي عين قديمها وإن حدثت على ما هو من سابق تواجده وقد غاب. فجديدها لم يتواجد، ولكنه تناسخ فمسح وفقد. وفي هذا تواجده.

هذا هو تواجد الحقائق في حال تناسخ مجالها على أرضها أو في سمائها، وقد مثَّل هذا المعنى محدث آدم مع قديمه في حفيديه بوذا وعيسى، الأول مع آدمه في دائرة إطلاقه، والثاني مع آدمه من نقطة ذاته.

أما إذا تواجدت الحقائق على أرضنا من عالم الغيب وتركت مجالاتها من قديمها في عوالم قدمها من عالم الروح، وجاءت الأرض بنفسها وذاتها وحقيقتها وحسها بكمالها، فالتناسخ بالنسبة لها في هذه الحالة، إنما يكون بتناسخ القديم من مجالاتها في عوالم الروح والأرض مع الحاضر من قيامها من دنيا ذاتها. وبذلك يكون التناسخ من غيبها في عوالم الروح وشهادتها من البشرية مع حقيقتها في عالم الشهادة من الأرض، وبذلك تتناسخ عوالم الروح مع الحقيقة التي تدب على الأرض تدانيا من الحق. وبذلك تكون عوالم الروح من مجالات هذه الحقيقة تابعة ومتابعة لأصلها الذي يدب على الأرض.. وهذا ما كان لمحمد عليه السلام. وهو ما كان ويكون لآدم ولكلمات الله في توفيها وتدانيها بكمالها تواجدا وعملا...

فآدم وأبناؤه من كلمات الله منه، يتواجد على الأرض بمجاله في بدايته، ثم بالأصل في نهايته، يظهرون تاركين مجالاتهم في عوالم الروح تتناسخ، وهم لهم يتابعون، وبهم يُعبّدون، وعلى مثالهم يفعلون. وكما يتواجدوا يتواجدون بالسجود لهم، وتتبعهم لتواجدهم يتكاملون. وهذا ما يشير إليه الهدي السماوي في كل كتاب ومع كل رسول من أنه {جاعل في الأرض خليفة}[1] وآمر أهل النور من مجالاته

بالسجود له. وما أمرهم بالسجود له، إلا قديمهم في غنائه وكماله. يأمر بالسجود لنفسه يتجلى بها على الأرض. كما يسجد علمه الدائم لتجليه الدائم في السموات وما فوقها.

هنا تتناسخ مجالات الحقيقة في عالم الروح مع معناها في الشهادة في حال تواجدها على الأرض، وهذا ما أشار إليه كتاب الله مع محمد {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين}[٢] وهم في عالم الروح لك وأنت في عالم الأرض، لأنك أصلهم.. لأنك أصلهم في عالم النور كما أنك آدمهم في عالم الأرض. فأنت آدم من تابعك في عالم الأرض، وأنت جماع لأوادم ممن معك.. وأنت جماع حقائقهم في عوالم الحقيقة. نأخذ لك ميثاقهم ليكونوا مجالات لك أنت أصلها وإنهم لمتابعوك، وإن الله لمتمهم ومكملهم بأسوتك واقتدائهم بك إلى عين معناك في يوم هو قيامتهم في قيامهم بمعناك.

هذا هو تناسخ الحقائق بين مجالاتها في الأرض أو في السماء مع أصولها في الأرض أو في السماء. فما اجتمع الأنبياء على محمد من عالم حقه إلا بعد قيامه بذاته من هيكله الرسولي في عالم البشرية اجتمعت أرواحهم على معناه في ذاته. وما كانوا بسبق ذواتهم إلا مقدمة، أو أبعاضا لذاته، وما كانوا بأرواحهم إلا مجالات من مجالات إنسانه قامت برسالات من رسالات حقيقته. وما كان هذا التناسخ والتواجد لحقائق الأنبياء والرسل في دائرة آدمها وحقيقتها تناسخًا وتواجدًا إراديا، وإن أخذ مظهر الإرادة ولكنه كشف وإبراز لتواجد وتناسخ لا إرادي، ولكنه تناسخ وتواجد فطري في دائرة إنسان آدمية هذا الجمع المتحد من مفردات حضرة حقية واحدة قديمة...

أما تناسخ الخلائق فله شأن آخر إذ أن تناسخ الخلائق لا يكون إلا مع الحقائق. وهو تناسخ إرادي وتواجد لا إرادي. إذا أظهر الله حقا يدب على الأرض في معني الرحمن أو عبد الرحمن، أو معنى عبد الله أو ذكر الله، أو أظهر مجالا لحقيقة يدب على الأرض.. أظهر آية على مثال من عيسى، مجالا لكلمة لله في كنزيتها العلوية ما زالت، أو أظهر كلمة في كنزية ذاتها على مثال من محمد...

بذلك يكون التناسخ مع مجال الكلمة أو مع ذات الكلمة تمشي على الأرض. وهذا التناسخ قد يكون سابقا على تواجد الحقيقة المتواجدة في تواجدها على الأرض، أو سابقا لمجالها من الخليقة التي تمشي معها على الأرض بتواجده في حياة سابقة لهما في حواري أو صاحب، بمعنى أنهما تلاقيا وتحابا في تواجد سابق. وقطع المتناسخ مع نقطة الحق الثابتة شوطا في ذلك. في هذه الحالة تكون العلاقة فيهما بين معاني الحق ومعاني الخلق وثيقة نامية. وهذا ما كان في عصر عيسى بينه وبين حواريه، وما كان بين محمد في عصر محمد وصحبةٍ من أصحابه، وما هو كائن معه ومع متابعيه على التباعد

الزمني. وهو ما يكون دائما كلما أبرز الله داعيا، وأخرج للناس على الأرض عبدا للرحمن أظهره أو عبدا لله قدره...

وبذلك يكون التناسخ بين اثنين.. بين موجودين.. بين كائنين يدبان على الأرض في حال واحد، وهذا معنى المجاهد، والمتابع، والأسوة، والاقتداء. أما التناسخ في حال الحقائق كما أسلفنا فإنه يكون بين الشخصية الواحدة بين محدثها الظاهر وقديمها الغيبي أو قديمها الظاهر ومحدثها الغيبي. أما ما بين الهداة والأئمة من الظاهرين ومتابعيهم والمقتدين بهم من الناس فهو ما يشير إليه الكتاب في قوله {قل إني أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[٣] وهو ما يشير إليه الكتاب {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}[٤] وهو ما يأمر به الكتاب {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته}[٥] وهو ما يشير إليه الأثر بقول الرسول المؤمن مرآة المؤمن والمرء على دين خليله. وقول المحيط {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}[٦] ...

فالتناسخ والتواجد أمران هما أمر واحد، وهو أمر روحي ملحق بالروح، ولا علاقة له بالأجساد، سواء كانت الأجساد المادية الكثيفة أو الأجساد الروحية اللطيفة، وإن كانت الأرواح في أجسادها اللطيفة أكثر إدراكا له وفهما فيه، وهو ما يكاد أن يكون غيبا على الأرواح المحرمة في ثياب الأجساد الأرضية الكثيفة، اللهم إلا من وضُع عنه وزره، وتكشف له أمره، وكشف عنه غطاؤه...

هذا الذي أجملت يسير موجز عن التناسخ، وهو موضوع يحتاج إلى كثير من التفكير والتدبر والاهتمام والوعي لأنه عليه يقوم معنى الإسلام.. بأسلم يسلم أي إذا قبل المتناسخ ورضي وأحب أن يكون منسوخا إلى وجود ناسخه، معدومًا إلى وجود قائمه ومبعوثه من الحق المعروف عنده. فرسول الله وهو معاني الحق من الله هو الحق من رب الناس، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٧]. إن في تقلبك في الساجدين نسخ لهم وقيام لك. وفي هذا سعادة الخلق المنسوخ ورحمة الحق الناسخ بقيام الحق في الخلق بعثا...

إن الله إذ يقول {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها}[٨] يعني أنه ما ينسخ من آية أبرزها للناس بعبد له بين الناس أي ما عطل العمل بهذه الآية، وقد نسخها لأنها كانت مجالا لقديمه من الحق، فنسخها في قديمها من الحق بإيجادها قديمها من الحق يدب على الأرض بخير منها، أو جددها بمثالها بعد نسيانها تحت اسم وعنوان مجدد لها...

وإن هذا الذي فعل الله ويفعل الله وهو فعل الله في سرمدي قيامه وناموس فعله، هو ما أراد أن يشير إليه في أمر عيسى ومحمد من أن محمدا بمعناه في حقيقته روح قدس مع سائر النبيين، كان بحقيقته معاني الحق لهم وكانوا في معاني المجال له. تناسخوا معه في وجودهم هداة ودعاة، وهو غيبهم وروح قدس الله لهم، فلما تواجد على الأرض تناسخوا معه بدورهم مرة أخرى، تناسخوا مع معنى وجوده الذاتي على الأرض على سابق فعلهم معه وهو في وجوده الغيبي عن الأرض.. فكان طبيعتهم وفطرتهم فيتناسخوا معه متابعين سواء تواجدوا على الأرض لهم شاهدين، أو تواجد هو على الأرض مشهودا منها لهم في عوالم أمرهم.

ولما كان في غيبه مشهودهم وهم شهوده من الناس كانوا هم مشهوده إلى الناس برسالاتهم، وكان على الناس أن يتابعوا الأنبياء. وهذه حقيقته في الحق من الله بوصفه عبدا ورسولا له، طلبا للحقيقة وطلبا للحق في عبودية قديمة له. فلما جاء الحق وزهق الباطل بمجيء الحق معه، بما أنزل عليه من الله، وبما انفطر به من الحق له عبدا لله كانت ذاته منسوخ خلقه في قائم حقه، بقيام قديم معناه من الحق على الأرض بعين قيامه. فصلى بالنبيين إمامًا وتابعوه مدانيا للناس أواني للحق، كما تابعوه متعاليا عن الناس أواني للخلق فعلمهم مما عُلِّم وعلموا مما عَلِم، فعرفوه عبدا لله كما عَرَّف نفسه عبدا لله. كما عَرَّفه ربه عبدا لله.. عبدا ورفيقا لربه من العبودية لله ومن الحقيقة بالله. فكانت به العبودية لله حقيقة كبرى تتناسخ معها الحقائق فضلا عن تناسخ الخلائق، وكان تناسخ الحقائق والخلائق في هذه الحقيقة الكبرى هو معاني التواجد لهذا الكيان المتناسخ على صورة الدوام. فتناسخ الموقوت في السرمدي يعطيه الدوام، وتناسخ الفاني في الباقي يعطيه البقاء، وتناسخ المعدوم في الموجود يعطيه الوجود، وتناسخ الضعيف في القادر يعطيه القدرة، وتناسخ الأعمى في المبصر يعطيه البصيرة، وتناسخ الجاهل في العالم يعطيه العلم، وتناسخ الضال في المهتدي يعطيه الهداية، وتناسخ المجتهد في الحكيم يعطيه الحكمة، وتناسخ الخلق في الحق يعطي الحياة...

هذا عن تناسخ الخلائق مع الحقائق، والحقائق مع الحقائق من عباد الله، ومجالات العبودية لله. فبالتناسخ يبدأ التواجد بتواجد المنسوخ بالناسخ في متابعته، فإذا ما تواجد تناسخه وُجِد ناسخه فقام بناسخه حقا، بدأ تواجده فبدأت عبوديته. بدأ حقه بدأت حياته، بدأ في حكمته بدأ في علمه، بدأت رسالته بدأ وقام كتابه، وصح إلى الله إيابه، فقام بيته، ونصب منبره، وتحددت قبلته، فتناسخت معه الخلائق والحقائق، وبذلك يكون التواجد ثمرة للتناسخ، ويكون التناسخ هو العدم والموت في الحي القيوم. وبذلك يكون التناسخ سبيل التواجد وهو الحياة والبعث بالحي القيوم. وهذا ما يشير إليه كتاب الله.. خلق الموت أي خلق النسخ {ما ننسخ من آية}[٩]، والحياة أي خلق

التواجد. وفي ذلك يقول الحق لرسوله في محكم كتابه {إنك ميت وإنهم ميتون}[١٠]. إن الحي هو الله، إن الحي هو الحي القيوم، إنك ميت، إنك منسوخ، إنك معدوم، إنك غير موجود، وإنهم على مثال منك لا وجود لهم. و (الناس نيام)[١١] فإذا تم لهم العدم، إذا جاءهم النسخ {وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد}[١٢]، إذا ماتوا انتبهوا، بعثوا، استيقظوا، ماتوا، حيوا، تواجدوا، إذا نسخوا تواجدوا، إذا ماتوا حيوا، إذا نحروا أنفسهم كان لهم في ذلك الحياة، ومعاني الحياة...

هذا هو التناسخ والتواجد، وإنه ليدرك على ما يُدرِك الله، وليست المسألة مسألة ألفاظ تلاك بالألسن، ولكنها مسألة معانٍ تدرك، وتقوم في النفوس، تحيط بها العقول، وتقوم بها القلوب، وهي من صميم المعرفة، وهي من صميم السلوك، وهي من صميم الإسلام والتسليم لله. صلِّ عليهم فإن صلاتك سكن لهم، انسخهم، أسكنهم، أقم بهم، أسجدهم لله، اسجد أيها العبد الساجد لله، في أوانيهم، في معانيهم، في عقولهم، في قلوبهم، في نفوسهم، في ذواتهم، في قديم وجودهم، في حاضر وجودهم، في قابل وجودهم...

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، يتناسخون معه عن البعد عنه إلى التواجد في القرب منه فيكونون بتناسخهم مع أبنائه أبناء له...

هذه هي معاني التناسخ والتواجد، لا تنفروا وراء النافرين من لفظ التناسخ، ولا تصموا آذانكم وراء المصمين من لفظ التواجد أو التناسخ، فالتناسخ والتواجد إنما هو من فعلكم أنتم، كما هو من فعل الله في فعلكم، تتناسخون وتتواجدون، تتناسخون عما يقوم بكم من مجفو صفاتكم ومجفو معانيكم بتجاهلكم لها إلى ما تحبون من صفات ومن معان في عباد الله، ترون فيهم ما تحبون من صفات ومن معان، تريدون أن تكون لكم من الله. إنكم بمتابعة هؤلاء الرجال تتواجدون بصفاتهم، فتنسخون المجفو من صفاتكم...

فأنتم تتناسخون وتتواجدون في وقت واحد، وبمعدل واحد، وفي ظل قانون ثابت في قديم الإنسان، وحاضر الإنسان، وسرمدي الإنسان. إن التناسخ والتواجد إنما هو مسيركم بقدميكم، تسيرون بقدم بالتناسخ، وبأخرى بالتواجد، تبعثون بالتواجد بما تحبون، وتموتون بالتناسخ عما تكرهون. إنه الحياة.. إنه السلوك.. إنه الطريق.. إنه الدنيا والآخرة، وما الدنيا إلا تواجد لكم نسخ قديما كان لكم، في تواجد من حاضر دنياكم بفنائكم عن قديمكم يشهد في شهودكم لأنفسكم، {ووجدوا ما عملوا حاضرا}[١٣]. إن دنياكم هي الآن تواجدكم، وإن أخراكم هي تواجدكم الناسخ لتواجدكم الحاضر بما عملتم في دنياكم هذه. إن الآخرة ما وصفت بأنها دار الحق إلا لأنها نسخ لحاضركم بما قدمتم في دنياكم من دنيا العمل...

إن دنياكم هي دار كسبكم وعملكم باسم الله، وأخراكم هي دار حصادكم عبادا لله، وهي مآلكم إلى سكينتكم أو قلقكم. فالدنيا وهي دار عملكم باسمه لا تضيعوها. ولا تقولوا إن الآخرة هي دار الحق فانتظروها، فلمن تكون دار الدنيا إن لم تك دارا للحق أيضا؟ فلله الآخرة والأولى، والدنيا أكثر تميزا به، والآخرة أكثر ظهورا به. إنكم الآن أقلام قدرته، وألواح كتبه، ومصابيح هديه. إن كسبتم هذه المعاني لأنفسكم، فأنتم مُظهروه لأنفسكم وهو القائم عليكم بما كسبتم {قد أفلح من زكاها}[١٤]. إن كسبتم وجهه لأنفسكم وهو من ورائكم محيط أشرقتم باسمه إن كسبتموه، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد فعلتم بقدرته، {والذي قدر فهدى}[١٥] وكنتم عباده...

إن العبودية لله أمر خطير وإن الربوبية على الناس من دون الله لا تساوي شيئًا. إن العبودية عطاء واعتبار، أما الربوبية على الناس فهي مشقة وابتلاء واختبار، فلا تطلبوا العبودية لله بطلبكم بها ربوبية على الناس، ولا تشرئب نفوسكم إلى الربوبية على الناس، فإنها مضيعة لطالبها، وإن الله لمعطيها لمن يطلبها، ولكني أنصحكم بما نصحت به نفسي وأنا لها مجاف ولا أطلبه لها، ولكن اطلبوا العبودية لله خالصة في بيوتكم، كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته، خيركم خيركم لأهله والرسول خيركم لأهله، الرسول رب بيته وأنتم أرباب لبيوتكم، ابدأوا بنفوسكم أولا لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قد خاب من دساها، حتى يتم لكم ذلك لا تبدأوا بالناس لأنكم لا تعرفون عنهم شيئا، لأنكم لا تعرفون عن أنفسكم شيئا، فإن بدأتم بأنفسكم فانتشروا بنوركم فيمن تعولون، فإن كان لكم ذلك كان لكم في الناس سبحا طويلا، وإن الله يخرجكم إلى الناس من باطنكم، في حاضركم بقيامكم به فيه. إن الله لا يخرجكم إلى الناس حتى تعلموا، وتشهدوا، وتوقنوا حقيقة الله في الناس. إن الله لا يخرج عبدا له أو ربا على الناس به إلا إذا عرفه أن الناس هم هو، وهو هم، وليس إلا إياهم، وليسوا إلا إياه. فإن خرج لهم خارج باسم التعريف عنه لا يملك هذا المعنى، فعن نفسه خرج لا عن الحق. فإن الله للكل ومن وراء الكل ومع الكل محيط، وللكل أقرب إليهم من حبل الوريد، وللكل وعلى الكل القائم على كل نفس، وإن الكل له وجوه نضرت أو غبرت، فالعباد لله من رأوا الكل مختبر فيه وفي فتنة من نفسه بالناس مع نفسه، من رأوا وجه ربهم في الناس، وعلموا أن حقيقة الناس من حقيقة الله، وأن الله بحقيقته يتسربل في جلباب الخلق باسم عبوديته، وعباده يبحثون عن ربوبيتهم في الناس، كما يبحث هو بحقيقته عن عبوديته في الناس.. إن العبد حق الرب، وإن الرب حق العبد، وإن الرب يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه تماما. يتلاقى العبد والرب وهما يتسربلان في حجاب الخلق باسم الإنسان، سبحان الله الذي يجمع البحرين الزاخرين بالحياة والعدم يلتقيان في برزخ الحياة البدئية من شجرة البشرية الأرضية...

في هذا الخلق الصغير من عالم الحق الكبير يتواجد ويتكامل إنسان الله بدءا وانتهاء في دورة منتظمة، مع كل ابن لآدم. له المثل الأعلى في السموات والأرض، لا إله إلا الله، هو في السماء إله كما هو في الأرض إله جل على المنال وعز على المثال. نسأله ونستغفره ونتوب إليه ونستهديه ونسترحمه، ونسأله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، ونسأله أن لا يولِ أمورنا شرارنا، وأن يوليها خيارنا...

وأن يعافينا برحمته من عدله، وأن يدركنا لفضله بحكمته، وأن يقيمنا فيما يحب ويرضي، وأن يلقانا على ما يحب ويرضى ممن أحب ورضي من عباده، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين. لا إله غيره ولا معبود سواه...

أضواء على الطريق

عن هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش):

(إن هذه البشرية الخالدة تسكن هذه الدار الباقية من الأرض، ما هي إلا انعكاسة واحدة لعوالم الروح على اختلاف مستوياتها من روح الحياة الأعظم، يتكون منها دائما عالم الروح الأول المتصاعد عن أرضها إلى سمواتها، كما تجعل منها بعوالمها صورة معبرة ومجسمة للوحدانية لعالم الروح الأكبر).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ٣٠
٢ سورة آل عمران - ٨١
٣ سورة سبأ - ٤٦
٤ سورة الأحزاب - ٦
٥ سورة الحديد - ٢٨
٦ سورة الإسراء - ٧١
٧ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
٨ سورة البقرة - ١٠٦
٩ سورة البقرة - ١٠٦
١٠ سورة الزمر - ٣٠
١١ من مقولة للإمام علي "النَّاسُ نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا". المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.
١٢ سورة ق - ١٩
١٣ سورة الكهف - ٤٩
١٤ سورة الشمس - ٩

١٥ سورة الأعلى - ٣

(١٤)

كلمة الله

تعرفها فترضاها وتحبها فتحياها

حديث الجمعة

٢٣ ربيع الآخر ١٣٨٠ هـ - ١٤ أكتوبر ١٩٦٠ م

من أسلم.. من سالم.. من سَلِم..

إن قلوبنا في حاجة إلينا ونحن في حاجة لعقولنا. وعقولنا في حاجة لقلوبنا. إنها دورة الحياة فينا، منا وإلينا وبنا. إذا لم تتحرك دورة الحياة فينا فما حيينا. وإذا لم تنتظم دورة الحياة فينا فما سلمنا. وإذا لم تتكشف معانينا لنا فما علمنا. وإذا لم نحرص علينا فما أمنا. وإذا لم نرنا فما شهدنا، وإذا لم نسر إلينا فما وحدنا، وما في حصن لا إله إلا الله دخلنا، وما بحسبنا الله ونعم الوكيل قمنا، ولا بالحي القيوم تحققنا.

نحن أبناء الأرض بذواتنا، وأبناء السماء بقلوبنا، وأبناء الحق بمعانينا. إن الأرض أنبتتنا بأجسادنا وذواتنا، والسماء لقحت نباتها من ذواتنا بقلوبنا، لقاحا لأبداننا، وبعثا لمعانينا. فقلوبنا من معدن السماء وأهلها، وذواتنا من معدن الأرض وأهلها، وعقولنا من نور الحق وأهله.

فإن حرصنا على إحياء قلوبنا - وهي في حاجة لنا - بتهيئة أسباب الحياة لها لبعث معانيها، بتغذيتها، بكلمة الله تبحث عنها فتلقاها، وتحبها فتحياها، تفنى فيها فتبقاها.

إذا ما حيا القلب فعقل، وإذا ما حيا العقل فحكم، وإذا ما حيا الحس فعمل، تحررت الإرادة من عبء تدبير النفس، وعبء تدبير الذات، فانطلق العقل في ملكوت الله الذي منه جاء، والذي منه تواجد، والذي فيه وجد، والذي به ينمو، والذي به يتحرر، فيعود للسبح في داره، ويتحرر من سجن اضطراره بإرادته، في حرية كاملة، وإرادة طليقة شاملة لا يعوقه عن مراده عائق، ولا يحول بينه وبين حريته حائل. لا تحبسه السموات ولا تقهره الأرض. يتبادل مع القلب وظيفة الرب الراعي لبيته، وذاته، وعلميته. فإذا ما حيا به القلب كانت له عينان، ولسانا، وشفتان، وأنف، وأذنان. يحيا

القلب فيقوم في معنى الإنسان، مع العقل في معنى الديان، ربا خلقه وأحياه وأحبه فتبناه، فيصبحان خليلين وحبيبين يتخلقان في الله باسم الله، وبإرادة الله علمان عليه بعلمية أحدهما على أخيه، مؤمنان به كلاهما مرآة أخيه بين ظاهر لباطن وباطن لظاهر. روحان يواصلان الحياة ويواصلان الدورة في الحياة دورات ودورات. ما بين ذات وروح يتواجدان، متعارفان في عالم الذات أو في عالم الروح، أو أحدهما في عالم الذات والآخر في عالم الروح. يواصلان هذه الحياة النامية المترنمة باسم الله، مواصلة لا نهاية لها، ولا انقطاع لها، ولا توقف لها.

هذا هو معنى الإنسان. إذا ما أصبح الكائن البشرى في معنى الإنسان. وهو ما عالجته - ليكون على ما هو كائن - رسالات السماء وحكمة السماء، ورسالات الأرض وحكمة الأرض، دواليك، في قديم من الزمان لا تدرك بدايته، وفى دائم من الزمان لا تدرك نهايته...

فكل رسالة قامت في البشرية نبعت من صدر حكيم أو من قلب مستقيم، أو أرسلها قلب حكيم وإنسان في الله مستقيم، فنطق بها نبي كريم، إنما قامت على ما يتناسب وقابلية الجنس بشقيه من عالمي الجسد والروح.. إنما قامت لتعالج أمر الجنس بشقيه من عالمي الروح والجسد ليستقيما في طريق الحياة، وليعرفا عن طريق الحياة التي بها يحيا الإنسان، والتي يقوم عليها وعلى حياته بها قديم الإنسان، والتي إن صلح بها الإنسان كان مصدرا للحياة، وكان مصدرا لشرائع الحياة.

فالإنسان بجسده وذاته تحت قوانين الطبيعة عبد لهذه القوانين، وعبد لمقننها من الإنسان محجوبا عنه. والإنسان في كماله فوق قوانين الطبيعة وهو مصدرها ومقننها. إن الإنسان تحت الطبيعة ووطأتها وسلطانها إنما هو عبد الطبيعة ومخلوقها ووقودها. والإنسان الذي اقتحم عقبة الطبيعة، فتحرر من سلطانها، ومن قابلية استهلاكه بها لها منها فيها، فانطلق لا تحجزه سماء ولا تمسك به أرض، اقتحم العقبة، فتحررت رقبته من سلطان الطبيعة، وانطلق في ملكوت ربه، في ملكوت الله، في ملكوت الحقيقة، في ملكوت المطلق. وقام بهذا الملكوت سيدا على الطبيعة حيا بنفسه حرا بإرادته، قادرا بقيامه. أُعطي خلقَه، لقيَ هديه، عرف ربه في وجوده منزها عن الإطلاق بالتقييد يحياه، ومنزها عن التقييد بالإطلاق يحياه. فكان عبدا بتقييده لمطلق ربه، وعبدا بإطلاقه لذات ربه.

عرف ربه في نفسه، وعرف نفسه في ربه. عرف عقله في قلبه، وعرف قلبه في عقله. عرف قلبه في ذاته، وعرف ذاته في قلبه. عرف نفسه فعرف قيامه على نفسه. عرف القيوم من ربه على نفسه، فإذا هو وعيه وحكمته. عرف القائم من ربه في قيامه، فإذا هو وجهه وطلعته. عرف الله في وحدانية الله معه. فَرقَه وجَمعَه. وفَرطَه وجمَّعه. جمعَه إليه وجمع به عليه.

هذا هو عبده.. هذا هو الرسول العبد.. وهذا هو العبد الرسول.. هذا هو النبي المُنبئ الجامع للنبأ، المَحمِل للنبأ، والمرسل بالنبأ.. هذا هو الرسول النبأ هو عين النبأ.. هذا هو الإنسان.. هذا هو ابن الإنسان.. هذا هو خليل الإنسان يتعدد به معنى الإنسان.. هذا هو أخوة الأبناء في تعدد الأبناء في وحدة الأب.. هذا هو الأب مظهر الآباء من وحدة الآباء.

إن الإنسان في إطلاقه وتقييده، هو المعروف، هو الموجود، هو الحاضر، بل هو الحاضر الغائب، هو المعروف المجهول، هو الموجود المعدوم، هو اسم الله، وهو وجه الله، هو طلعة الله، هو صفة الله، هو عبد الله.

إن وجودكم على معناه من الأرض، إنما هو بيان، إنما هو كتاب، إنما هو حجاب، إنما هو حقيقة. فإذا قرأتم أنفسكم بأنفسكم، كتابا مبينا، وعبدا أمينا، وإماما رشيدا، كفاكم ذلك لقيام وصلة بينكم، وبين قديم معناكم. بين قديم معناكم من أمكم وأبيكم، من أمكم وأبيكم وأصولكم وبنيكم.

إن الساعة إلى ربكم منتهاها، فأنتم قيامها إذا أقمتموها. وإن الآخرة في قيامكم معناها، إذا طلبتموها، فعرفتموها، فأيقنتموها مبعوثين بقديم لكم في حاضر منكم.

إن كل رسالة بشرية بشقيها من الأرض والسماء هي وعي صاحبها وصلاح أصحابها. قامت على قابلياتهم، كما قامت في حدود معدلات وعيهم في وعي مؤسسها. أما رسالة الله السرمدية فهي رسالة الفطرة، هي قيام الفطرة، هي طبيعة الفطرة. وها هي الفطرة تؤتي أُكلها. وها هي شجرة الجنس تبلغ ذروة مرتقاها، فيسترشد أصلها بفرعها، وفرعها بأصلها بين أرضها وسمائها. ها هي السماء تتحدث بثمرات للأرض من شجرتها كما تتحدث الأرض بقديم منها مبعوث فيها. فما تكون السماء وأين السماء وما السماء؟

ليست السماء إلا ما بعد عن الأرض من تكوين، على مثال منها ومن أهلها ملأ أعلى على مثال من ملئها. فإذا ذهبنا إلى ملأ من ملأ الله في سموات الله، وطلبنا ونحن من بين أعضائه السموات لكانت الأرض مطلوبنا، لأن بها ملأ يطلب عند ملأ يطلب. إن ملأ الأرض غيب على ملأ السماء. كما أن السماء غيب على ملأ الأرض. فإذا ما اجتمع الملآن قامت خلة الرحمن.. قام الحب في الإنسان.

إنهما دنيان، وإنهما لأخريان في صعيد واحد يجتمعان في برزخ من قيام من الإنسان. إن الملأ الأعلى يجتمع علينا في ملئنا عن طريق برزخ من بين برازخ ذواتنا، فيكلمنا من وراء حجاب، ويكلمنا وحيا، ويهيئ الأسباب في ملئنا لمن كان فيه شيء من معنى الإنسان أن يتصل بأصله من ملأ الإنسان

الأعلى الذي دانى فقارب فتحدث، كما يهيئ فرصة لإنسان التواجد الأرضي، للكلام والحديث في عوالم للإنسان، على مثال مما يفعل عالم هذا الإنسان الأعلى في عالم إنسانيتنا. وإن في اجتماع العقل على القلب في برزخ الذات اجتماع الملأين.

إن الإنسان في عالمنا هو الإنسان في عوالمه من ملأ آخر. فإنسانية الأرض مع إنسانيات هذه العوالم، يتخاللان ويتحابان فهما أخوان، هما إنسانان في إنسان واحد من الأعلى من الحق. وهذا ما عناه الرسول إذ يعرف عن نفسه لأمته بأنه (خليل الرحمن، وأنه حبيب الرحمن)[1]، وأنه رفيق الرفيق الأعلى، وأنه يطلب الحق بالرفيق الأعلى. إنها رفقة. إنهم رفاق.. إنها الإنسانية.

إن الحق.. إن الإطلاق.. إن الله.. إن روح الله.. إن ذات الله في معاني وحدانيته المطلقة وانفراده اللانهائي لا تتواجد مع موجود، وإن كان في معاني العبودية له. ولكن الذي يُعرف للعباد ليقوم بهم الوعي والرشاد. إن الذي يعرف لهم إنما هو من معانيهم من الرفيق الأعلى في اللانهائي، سواء في إدراك الإطلاق بالإحساس في تقيدهم أو مشاهدة مقيده في المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن مرآة أخيه.

بهذا الوعي جاء محمد. عرف المطلق في إدراك ذاته في تقييده {ما كذب الفؤاد ما رأى}[2] فكان بذاته ومقيده هو ذات المطلق إذ يشهده بفؤاده. يشهد إطلاقه بفؤاده بمعاني وحدانية المطلق معه قاب قوسين أو أدنى. ولكنه عرف في نزلة أخرى له أنه ما عرف إلا مقيدا كان منه قاب قوسين أو أدنى لأنه شهد بعينيه (ما زاغ بصره وما طغى)، رأى رفيقا أعلى يدانيه (نزلة أخرى) فعرف أنه بين الأمرين إنما يشهد عبدا من عباد الله أرسل إليه رسولا منه، أو حقيقة من حقائق الله، أو أمرا من أمر الله، وأن هذا المرتقى له سيكون متجددا متزايدا وبلا نهاية.

فعرَّف الله غيبا لا يُشهد. وعرَّف الله شهادة لا تغيب لأنه عرف الله فيما شهد مظهر غيبه، وعرف الله فيما ظهر ظاهر غيبه، وعرف أن غيبه في ظاهر الله، وأن ظاهره في غيب الله، وأنه هكذا تكون المعرفة عن الله فناء عن نفسه إلى عبوديته للحق (مَنْ محمد!)[3].. {دينا قيما}[4] ارتضاه الله للناس كافة. وكان في ذلك كماله، {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}[5]، فكان الإسلام بذلك دين أهل الأرض كما هو دين أهل السماء. وكان محمد به الحق في الأرض كما هو بحقيقته فيه الحق في السماء. كان محمد بذلك إنسان الله ومثاليته من إنسانية الله. لا ينقطع تواجدها ولا ينقضي جديدها، ولا يدرك قديمها.. عبدا لله لا ينقضي معراجه في عبوديته، ولا ينتهي طلبه لحقيقته، فاستقام به للعقل طلبه، وللنفس مرادها، وللذات تطورها، وللنور ظهوره، وللظلام انقباره وانقشاعه.

فكان عبد الله في السموات وعبد الله في الأرض. وكان عبد الله في قديم الله وفي قديم نفسه، وفي جديد الله وفي جديد نفسه، وفي قائم الله وفي قائم نفسه.

إن العبودية لله على ما قدمها محمد تُعشق وتُحب فيها الحرية بنعمة الله، وفيها القيد بحب الله.. فيها القيد عن الزلل.. وفيها الحرية في الكون وفي العمل.. فيها المعرفة عن الله.. {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا}[٦]. كذلك كنتم {خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}[٧]، الله أقرب إليكم من حبل الوريد، معكم أينما كنتم، على ما عرفتم، وجوها له، وشهداء على الناس.. الرسول عليكم شهيد.. لكم منه القديم، ومنكم له الجديد، يقوم ويتقلب في الساجدين، فيبعث بنوره في المبعوثين، ويشهد في المشاهدين، كما يُشهد في الشَاهدين، وينام مع النائمين، ثم يقوم مع القائمين، ويموت مع الموتى، ويحيا مع المتجددين.

هذا هو رسول الله الذي تعرفون، والذي تذكرون، والذي آمنتم به وله بالرسالة والبلاغ تشهدون، وبه تقومون، وفيه تسبحون لا إله إلا الله محمد رسول الله.. لا إله إلا الله محمد عبد الله.. لا إله إلا الله محمد وجه الله.. والله أكبر. هذا هو دينكم القيم. وهذا هو إيمانكم. وهذا هو وعيكم. وهذا ما يجب أن يكون لكم. وهذا ما هو في ملك يمينكم. وهذا ما هو من الله لكم. ما طلبتموه وجدتموه.

اذكروا الله كثيرا في أنفسكم واذكروا رسوله كثيرا في أنفسكم. فأنتم بالله ورسوله، وأنتم مع الله ورسوله، وأنتم من الله ورسوله، وأنتم إلى الله ورسوله. اسألوا الله ورسوله حتى يغير ما بأنفسكم، وغيروا من جانبكم ما بأنفسكم ولا تكزوا على ما ورثتم من جهل، ولا ترفضوا ما نشر الله بينكم من علم. فإن الله هو المعلم والهادي وهو الآخذ بالنواصي الضارب على الأيادي، وهو الذي لو شاء لهدى الناس جميعا ولكن إرادته سبقت بدوام نوعكم، فريق للجنة وفريق للسعير، وما كان ليعذب الناس وفيهم رسوله، وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون.. {ما يفعل الله بعذابكم}[٨] ما أوردكم سعيرا أنتم واردوها، وقد كان عليه ذلك حتما مقضيا، إلا ليعلمكم السعير وما نفوسكم إلا معناها. وما الجنة إلا انطلاقكم في الكون بحريتكم وقدرتكم.

هذا هو الدين فاسألوا الله أن يكون لكم دين، وأن تكونوا على دين وفي دين.. هدانا الله وإياكم سواء السبيل.

اللهم ارزقنا الدين، وارزقنا اليقين، وارزقنا الإسلام، وارزقنا السلام. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. اللهم اغفر لنا، وتب علينا، وتولنا في الكبير والصغير من شأننا، وكن لنا فيما أنت كائن فيه لنا.

اللهم ارحمنا برحمتك، وولِ اللهم أمورنا خيارنا بمنتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بعدلك ونقمتك، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، وأنزل سكينتك على قلوبنا، وأنزل السلم والسلام على أرضنا، وألف بين قلوبنا، وامحُ فيك فرقتنا، ووحد فيك وجهتنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(لماذا يفضلون الظلام في حين أنه يمكنهم الحصول على الضوء؟ لماذا يفضلون الجهل في حين أنه يمكنهم الحصول على المعرفة؟ لماذا يفضلون الخرافة في حين أنه يمكنهم الحصول على الحكمة؟ لماذا يفضلون العظام الميتة للعقيدة في حين أنه يمكنهم الحصول على الصدق الروحي؟ لماذا يفضلون تراب علم اللاهوت في حين أنه يمكنهم الحصول على حياة الحكمة الروحية؟)

(ما أنا إلا جهاز لكشف النقاب عن تلك الحقائق التي كانت في قبضة عالمكم مرات كثيرة ثم افتقدها، والتي عزمنا الآن على وضعها في جبهة عالمكم المادي. ولن تضيع بعد ذلك أبدا).

(أرى أحيانا كثيرين من السادة في عالمي والدموع في مآقيهم وهم ينظرون إلى حماقات الذين سوف يعرفون يوما كيف ضيعوا الفرص الذهبية للأخذ بيد أطفال الأرض. وأرى أحيانا وجوههم مكللة بالابتسامات لأن شخصا مجهولا بينكم قد أدى خدمة تشعل شعلة جديدة للأمل في عالمكم. لا تحكموا على شيء بالنتيجة الظاهرية. أنتم ترون بالعيون المادية فقط. لو استطعتم الرؤية بعيون الروح لعرفتم أن في كل طفل عدالة كاملة).

عن هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش)

{إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[٩] (حديث قرآني)

(هذا أخوكم جبريل جاء يعلمكم دينكم)[١٠] (حديث نبوي)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ استلهاما من حديث شريف رواه الترمذي الذي فيه: "إنَّ اللهَ اتَّخَذني خليلًا كما اتَّخَذ إبراهيمَ خليلًا"، وحديث في صحيح ابن حبان: "إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر."

٢ سورة النجم- ١١

٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤ سورة الأنعام - ١٦١

٥ سورة المائدة - ٣

٦ سورة البقرة - ١٤٣

٧ سورة آل عمران - ١١٠

٨ سورة النساء - ١٤٧

٩ سورة يوسف - ٨٧

١٠ حديث شريف "هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم." رواه عمر بن الخطاب، أخرجه ابن خزيمة، والبيهقي، وابن حبان باختلاف يسير.

(١٥)

قطرات
من بحر عبد الله (محمد)

حديث الجمعة

٢١ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ - ١١ نوفمبر ١٩٦٠ م

أشهد أنه الموجود لا غيب له.. وأشهد أنه المعبود لا إحاطة به.. وأشهد أنه الأحد لا شريك له.. وأشهد أنه الواحد لا تعدد معه.. وأشهد أن الإنسان عينه وعبده ورسوله، عينه بوحدانيته، ورسوله بحكمته، وعبده بطاعته.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا ظهر بيننا وفينا بالحق إنسانا، وظهر لنا وعلينا وفينا بحكمته رسولا، وكتابا مبينا، وظهر من أنفسنا بيننا أسوة وقدوة، وعبدا له وعنوانا للعباد له، فيمن سبق، وفيمن يلحق.

عبد المثالية للعباد، وعبد المثالية للرشاد، وعبد المثالية للحق. جاءنا بالحق، وتحدث فينا بالحق، وقام بيننا بالحق، وعاملنا بالحق، وعمل لنا بالحق. أحبَّ ما خاصم، وخاصم ما ضاق بمن خاصم، ولكن حبا في خير من خاصم، وتقويما لمن خاصم، ورحمة بمن خاصم، وهديا لمن خاصم.

فما أدركناه، وما عرفناه، وما تابعناه. وألفيناه في أنفسنا لأنفسنا على ما اشتهت أنفسنا. أوجدناه في أنفسنا بوهم أنفسنا وما تواجدناه في نفسه، وما تواجدناه بنفسه، وما تواجدناه في أنفسنا.

وهو الذي بعث فينا بعثا من نفسه في قديمها، بالحق قامت، يبرزها مخلوقا على ما تخلقت. ويتخلق مبتدئا على ما فعل في قديمه، وعلى ما ينتهي في مستديمه، بدءا جديدا يسير إلى انتهاء جديد، إبرازا لفعل قديم، من فعل نفسه بالحق على ما عرفه، ومن فعل الحق به على ما شهده، ومن فعل الحق على ما قامه.

فما تابعناه محدثين، وما تابعناه فيه مجددين، وما تابعناه إلى المثل الأعلى من القديم مؤمنين، ولا في المثل الأعلى في الجديد مجاهدين، ولا في المثل الأعلى موعودا راجين. ولله المثل الأعلى في العالمين. ولن

يعرف الناس ما طلبوا الله إلا المثل الأعلى فيه في سائر العوالم، ولن يعرفوه إلا بامتداده في أنفسهم طالبين ما كان لهم توفيق طلبه، وما كانت لهم سعادة لقائه. {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض}[1]، { إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا }[2] إلا آت المثل الأعلى، وما المثل الأعلى إلا عباده.

إن المثل الأعلى حيث يتواجد تتواجد السماء، وحيث يُفقد يُفقد وصف السماء، ووصف السمو، ووصف الحياة، وتتواجد الأرض، ويتواجد الظلام، ويتواجد معنى الخلق. ويوم يبدل الله الأرض غير الأرض ما هو بمبدلها في طبيعة، أو قيام، أو نظام، ولكنه يوم يبرز على سطحها أو سمائها الدنيا المثل الأعلى بعبد له من العباد.

ويوم أبرز الله محمدا مثلا أعلى يدب على الأرض فقد تواجدت الحياة على الأرض، وتواجد الحق من الله على الأرض دابا بقدميه يطأها رحمة بأهلها. {أولم يروا أنا نأتي الأرض...}[3] وما أتى الأرض إلا في مجيء المثل الأعلى في الناس من معنى الإنسان ومن معنى العبودية للرحمن، فما الرحمن إلا باطن عبده، وما العبد إلا ظاهر ربه. فإذا مشى عبد الرحمن على الأرض فقد مشى الرحمن على الأرض ظاهرا بعبده. وقد تواجد العبد على الأرض لم ينقطع عن رباطه بربه. {يسألونك عن الساعة}[4]. وهم ليسوا أهلا للسؤال فضلا عن الإجابة! {يسألونك عن الروح}[5] وهم ليسوا أهلا للسؤال فضلا عن الإجابة! هل هم أهل لمعرفة الروح حتى يجابوا عن العلم عن الروح؟

إن الروح قيام وسلام. إن الناس وهم يمشون على الأرض ما يحركهم عليها إلا الروح، فكيف يسألون عن أمر هو من خصائصهم، وهو عين وجودهم، وهو عين قيامهم؟ إنهم يجهلون أمر أنفسهم ويسألون عن أمر أنفسهم وليسوا أهلا لأن يجابوا لأنهم جاهلون بأنفسهم لأنهم ما زالوا بعد في غيب عن أنفسهم. ولكن يوم يرتد إليهم بصرهم وقد استيقظت فيهم عقولهم، فتجولت في القديم من معناهم، وتجولت في الجديد من مبناهم، فارتد النظر إليهم، فأدركوا أن الشأن شأنهم، وأن الأمر أمرهم، وأن الروح إنما هي قيامهم ووجودهم.. إن فعلوا، صلحوا لأن يتساءلوا بينهم، وأن يتواصوا بينهم، وأن يروا الله معهم وفيما دونهم وفيما أكبر منهم، وما هو معهم منه إنما هو الروح.. إنما هو الله.. إنما هو قيامهم بالروح.. إنما هو قيامهم بالله.

{يسألونك عن الساعة أيان مرساها}[6] بجهلهم! أليست الساعة في عرفهم وفي وعيهم - على نقصه - هي قيام حسابهم ولقاء ربهم؟ وأنت عبدي بينهم، وأنت برحمتي الرب الراعي لهم. قامت ساعتك، وانتصب ميزانك، وغُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. وقد عرفت ما قدمت وما أخرت نفسك من أمرك.

إن الساعة إلى ربك منتهاها. إن الساعة أنت من ذكراها هي ما تعلم أنت. إن الساعة هي ما تقوم أنت. إن الساعة هي ما يُعرف بك. أنت (عبد اجتمع على ربه). إلى ربك منتهاها على ما عرفت، وعلى ما صرت، وعلى ما بعثت، وعلى ما وعدت، وعلى ما حققت. إن أمرك أمرهم، وإن حالك هو حالهم ألست أسوة لهم؟ ألم أقل لك {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}[٧]؟ أبعد هذا وقد صرحت به، وأذنت وسمحت، ولك فعلت، يسألون عن ساعة! إنهم يستعجلون بها لأنهم لا يعلمون بها، ولا يؤمنون بها، ولا يدركون لها، ولا يفهمون ما تحمل إليهم، وما أحملك إليهم، وما يصدر عنك لهم.

لا بأس، خاطب الناس على قدر عقولهم. {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا..}[٨] والذين أدركوها، والذين استمعوا القول فاتبعوا أحسنه، والذين صدقوك فصدقوا، وصدقوا الله معهم، وصدق الله لهم، وأدركوا وآمنوا أن الساعة في أنفاسهم قيامها، وأن الساعة في قيامهم، وأن الساعة من عملهم، وأن الساعة في وجدانهم، وأنهم ما انتقلوا من رذيلة إلى فضيلة إلا كانت لهم فيه ساعة، وأنهم ما انتقلوا من عدم إلى وجود، ومن جهل إلى علم، ومن ضيق إلى سعة، ومن قنوط إلى رحمة، في أنفسهم، متطورين بفعلهم، متعرضين لنفحات الله لهم في زمانهم ما حاسبوا أنفسهم، وما أماتوا أنفسهم حاسبوا أنفسهم قبل أن تحاسبهم، وأماتوا أنفسهم قبل أن تميتهم، عملوا بما لم يُكتب عليهم ولم يلزموا به - محبة له وامتثالا لهديه - الذين سمعوا القول فاتبعوا أحسنه، هؤلاء آمنوا بالساعة تقوم في قيامهم فأشفقوا منها على أنفسهم ضئيلة أمام عظمته يلقونه في أنفسهم، وأشفقوا منها على إخوانهم من البشرية الذين يخوضون بجهلهم فيما لا يعلمون بوعيهم. أشفقوا منها وعلموا أنها الحق الذي ينتظرهم ولم يتهيأوا بعمل للقائه.

إن وطء ربك لشديد. إن لقاءه في وحدانيته والنفس لم تتأهل له يصعقها إذا لم تؤد حسابها لها، ولم تدركها بالمرصاد لأعمالها، ولم تنته من شركها إلى وحدانيتها. إن الله {قائم على كل نفس بما كسبت}[٩].

هذه قطرات مما جاء به رسول الله محمد مؤسسا في البشرية لدينه. وإن أذنت لنفسي أن أقول فإني لأقول: ما جاء على الأرض، ولا دب عليها مؤسس لدين من قبله، فقد كانت جميع الرسالات مقدمة لرسالته، وتمهيدا لقيامه بوحدانيته عبدا لربه. وآذن لنفسي فأقول: إنه بمجيئه جاء معه، ويجيء في أمته من بعده، مؤسسو الأديان، جيلا بعد جيل، وقرونا بعد قرون، ومؤسس بعد مؤسس. وإننا في انتظار لاستقبال المؤسس المجدد لهذا الدين الجامع، يجدد هذا الدين، كما يجدد العلم عن الحقيقة

الإنسانية، ويجدد المعرفة، كما يجدد التأسيس، ويجدد اليقين، كما يجدد القيام على نطاق أوسع، وأبين، وأعم، وأشمل.

إننا في انتظار لعبد من عباد الله يدب على الأرض مرة أخرى، ويخاطب الناس: ها أنا ذا عبد الله مسفرا بالعبودية له. إن السماء ترهص لقيام هذا الحق. وإن الأرض لترهص لمقدم هذا العبد. وإن الملأ الأعلى من العوالم يظاهر هذا الأمر، كما أن عالم الروح من ملأ الأرض يستجيب لهذا الكتاب. وإنه يوم يظهر هذا العبد فسوف لا يكون هناك مرية في أمره.

لن تستقبل الأرض عبدا بعد محمد تُختبر فيه. إن الأرض بعد محمد أقلت الكثير من العباد تختبر فيهم من مواصلة بداياته. لقد مشي عباد الرحمن على الأرض بعد محمد لم ينقطع لهم تواجد، ولكنهم كانوا عباد الرحمن يختبر فيهم الناس، ويختبر بهم الناس، ويُرحم بهم سعداء الناس، ويكسب بهم أصفياء الناس، امتدادا لمحمد، واختبارا في محمد، اختبارا فيمن أعطي الكوثر والتكاثر فرآه الناس بوصف أمته أبترا لا يتكاثر، وشجرة لا ظل ولا ظلال لها.. شجرة لا تثمر ولا تتكاثر.. شجرة يبست بجذعها وجفت بمائها. رأته أمته من الناس كذلك. وهو الشجرة اليانعة، المثمرة، المتكاثرة، أزهارها طيبة، وثمارها ناضجة، على وفرة في الثمار، وعلى تلون في الأزهار، وعلى امتداد بالغصون والأوراق والظلال، وعلى تنويع وتشكيل للثمار. إن أمته هم الناس جميعا، وإن شجرته هي الناس جميعا.

إن الناس لا يريدون أن يكونوا ثمارا لهذه الشجرة، ولا يريدون أن يكونوا أزهارا لهذه الشجرة، ولا يريدون أن يزرعوا في صدورهم وقلوبهم ثمارها، أو أن يقطفوا أزهارها ليشموا عبيرها. ولكنهم يريدون أن يكونوا هم بداءة أشجار، لا بل أنهم يريدون أن يتجاوزوها إلى زارعها ومتعهدها فيكونوا خالقها ومبدعها. وما منعهم محمد أن يخلقوها في أنفسهم بالله أو أن يقطفوها لأنفسهم في الله، وما منعهم محمد أن يكونوها بجهدهم في الله، وما حرمهم محمد أن يغرسوا حياتهم في أراضي قلوبهم لتزهر أشجارا لله، ولتثمر عبادا لله، فهذه مهمته وهذه رسالته.

ولكن الناس يريدون أن يزرعوا في غير مواسم الزرع بل وفي غير الأرض الطيبة، وأن يحصدوا في غير مواسم الحصاد بل ومن الأرض القاحلة الصماء. إن الناس يصفون جهلهم بالرشاد، وموتهم بالحياة، وترابهم بالنور قبل أن تشرق أرضهم وسماؤهم بنور الله فيهم أو أن تنشق عنهم أراضيهم، والله نور سمواتهم وأرضهم.. فكيف تثمر أرضهم أو أرض ذواتهم ولم ينزل عليها ماء الحياة بعد، فتهتز وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج، وقبل أن يحرثوها بمجاهدتهم، ويعرضوها لشمس رسولهم؟

إنهم يتعجلون الأمور فلا ينالون شيئا. ولا يكسبون حياتهم. لا ولا يكسبون مماتهم. فإن الإنسان لا يكسب الحياة قبل أن يكسب الموت. كيف يكسب الحياة وهو في كسب الحياة إنما يبدأها؟ وكيف يبدأ الحياة حي؟ إن الحياة العارية فيك ليست حياتك ولكنها حياة محييك. ولكن حياتك ما أحييت، وما خلقت، وما فعلت، وما أنشأت، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره...}[١٠] {ووجدوا ما عملوا حاضرا}[١١]. {إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح}[١٢]. إن الحياة في الحي لا تتكرر، كما أن الموت للميت لا يتكرر.

إذًا كيف تتواجد الحياة بعمل موصوف العبد؟ وكيف تتواجد الحياة بعمل الخلق القائم وهو ميت؟ إن عليه فعلا أن يموت. يجب أن يموت. إنه يجب أن يعلم أن الحياة التي يحيا بها إنما هي عارية وأمانة لأجل، وأنه هو الميت منه في هذه الذات وليس هو الحي فيه، وأن الحي فيه إنما هو الله. وليس هو الله. إن الله فيه هو الحي القيوم، ولكنه هو نبات الأرض الذي تذروه الرياح يوما. إنه ثمار ترابها. إنه هشيمها تذروه الرياح.. إنه لم يحيا بعد.

إذًا فليحيِ أرضه بأمانة الله فيه، فليحيِ أرضه باسم الله فيه، فليحيي أرضه بكلمة الله يزرعها في أرض ناسوته، فليحيِ أرضه باسم الله عليه، وبكلمة الله عليه، وبروح القدس فيه. فليحيِ أرضه بالتعرض لله الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد. لا يكن من الممترين. لا يكن جاهلا. لا ينشد الله في السموات. لا ينشد الله في الأراضين. لا ينشد الأغيار من غيره. لا ينشد الله في النبيين. لا ينشد الله في المرسلين. لا ينشد الله في الأولياء والصالحين. ولكن ينشد الله في نفسه. ويؤمن أن عباد الرحمن شهدوا الله في أنفسهم. وأن رسل الرحمن ما كانوا رسلا للرحمن إلا لأنهم شهدوا الرحمن في أنفسهم. وأن كل إنسان إنما يشهد الله في نفسه. وأن كل كائن ما عرف الله وما شهد الله إلا إذا عرفه في نفسه وشهده في نفسه. وأنه هكذا تكون معرفة الله فيحشر مع النبيين والصديقين رفقاء له.

ويعلم أن الموحدين لله، وأن الموحدين بالله، وأن الموحدين في الله إنما هم وحدة في الله، لا يتباغضون، ولا يتخاصمون، ولا يتنابذون، ولا يتنافرون، إنما هم وجوه، { والله من ورائهم محيط}[١٣] وأن كل من عليها ممن لم يحصل على ذلك الوعي ولا على ذلك الفهم إنما مصيره إلى فناء، وأن قيامه في فناء، وأن قديمه وحاضره ومستقبله الفناء. لا يموت ولا يحيا. إنه فان. إنه تعبير عن الفناء. كما أن الحي تعبير عن الحياة . . .

هذا جاء به محمد، وهذا قطرات مما جاء به محمد. وما جاءت الأنبياء من قبله إلا بحقائق مما جمع في صعيد واحد في نفسه، وفي رسالته، وفي قومه، وفي أمته، وفي كتابه. وما كتابه إلا قيامه ومعناه، وما

قرآنه إلا حديثه لنفسه، وحديث ضميره لذاته {لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه. وقل ربِ زدني علما}[١٤] ...

قال للناس مبعوثا بالحق، مبعوثا بكمالات الخلق، مبعوثا بالخلق الحسن، يا أيها الناس انظروا وتأملوا. ليتكم تعرفون ما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين.. لست على هيأتكم.. لست كأحدكم.. فقد انتهت قطيعتي ورجعت إلى بيتي وأسرتي. إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني. ليتكم تعلمون! ما عرف قدري غير ربي! اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قدري، (أمة مذنبة ورب غفور)[١٥]. (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[١٦].

ها أنا سأعمل على تأليف قلوبكم ما وسعني جهدي، وما مكنتني دنياي مما تحبون وتعشقون. أتألف قلوبكم بما تحبون من الدنيا؟ ها أنا سأبسط لكم السلطان على الأرض. ها أنا بما أودع الله فيَّ أفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه، وأجعل لكم عليها سلطانا به فيها تنتشرون، وإني لناظركم في أمركم فما وُسِّد الأمر فيكم إلى غير أهله فإن التوفيق لكم مفارق. الدنيا لكم في استقامتكم بجمعكم ما استقمتم وإلا فابقوا في ضلالتكم أذلاءها إلى أن تقوم لله رسالة أخرى، من ساعة أخرى، من كلمة أخرى، من أمر آخر.. وقد أُرسلت وساعة أخرى قاب قوسين.

ها أنتم في زمان إن تركتم فيه عشر ما أمرتكم به لهلكتم - وإنكم لفاعلون - ويأتي على أمتي زمان لو عملوا فيه بعشر ما أمرتكم به لنجوا - وإنه لآت - يأتي فيه أحبابي، يأتي فيه من هم على مثالي ومعناي، يأتي فيه من أدركوا رسالتي ولم يروني، يأتي فيه من لهم من الله ما لي، يأتي فيه من أدركوا ما أقول ووعوا ما قيل. احملوا إليهم ما أقول (ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[١٧]، احملوا ما أقول، إن مس قلوبكم لسعدتم، وإن مس نفوسكم لاستقمتم، وإن مس عقولكم لأدركتم، وإن حملتموه تحملون أسفارا بلغتم. رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه فلا تستكبروا على من إليه حملتم. إن قبلكم أناس حملوا التوراة على ما تحملون من حديثي ومن بلاغي ثم لم يحملوها {كمثل الحمار يحمل أسفارا}[١٨]. وإني وقد بعثت فيكم رحمة لكم ورحمة للعالمين، فإني أفيد من كل وضع، وأفيد من كل عمل، ولا فضلة في الوجود. (وجعلت الأرض لي مسجدًا وطهورًا)[١٩].

إن الله يفرق ويجمع. إن الله يجمع أهل الباطل على عنوان من الباطل ينبعث به في الأرض أشقاها، فيبعث الله أمان رسوله ينبه إلى ناقة الله وسقياها من مطايا الناس إليه في ذوات أنفسهم، يجتمع على ذلك أهل الباطل، ويجتمع على هذا أهل الحق، خصمان صنوان من الخلق والحق، يرفع أهل الحق بحقهم، ويبقى أهل الباطل بباطلهم، ثم يقذف الله بمن تحقق من أهل الحق على المتخلفين من

أهل الباطل فيفرق جمعهم مرة أخرى، ويشتت أمرهم مرة أخرى، ويبلغهم مرة أخرى، فينقسمون على ما انقسموا في قديم. ويبعث فيهم أشقاها ويقول لهم رسول الله {ناقة الله وسقياها}[٢٠].

وهكذا يفعل الله في خلقه من الناس، بحقه من الناس دواليك بلا بدء، في دوام بلا انتهاء.. فهل أدرك الناس ما جاءهم به محمد؟ إن هذا قطرات مما جاء به محمد.

إن محمدا علَّم الناس، وإن محمدا درَّك الناس. إن محمدا كشف الغطاء عن الناس. إن محمدا لم يباعد بين الناس وبين ربهم. إن محمدا لم يباعد بين الناس وبين حقهم. إن محمدا لم يباعد بين الناس وبين إلههم. إن محمدا الذي طلب من الناس أن يؤمنوا بالله غيبا، طلب منهم أن يحققوا ذلك شهادة بقيام الغيب فيهم في أنفسهم أقرب إليهم من حبل الوريد قائما على كل نفس بما كسبت.

هذا ما جاء به محمد بل قطرات مما جاء به محمد. لقد عالج محمد بسنته وبقيامه وبفعله أمر الناس جميعا، في الصغير والكبير من أمرهم. علَّمهم حتى التافه من شئون أنفسهم. علَّمهم كيف يتأدبون مع نسائهم في اجتماع. وعلَّمهم كيف يتبادلون المعاملة مع خصومهم على خلق واتساع. علَّمهم كيف يتطهرون في أجسادهم، وكيف يتطهرون في عقولهم. علَّمهم كيف ينشطون بعد غفلتهم في جماعهم. علَّمهم كيف يتوحدون مع أزواجهم لباسا لهن وهن لهم لباس. علَّمهم كيف يرتبطون بآبائهم مولودين، ويرتبطون بأبنائهم والدين. علَّمهم كيف أن أبناءهم إنما هي أصولهم إلى الحق يوم يقوم الحق فيهم، وعلَّمهم أن آباءهم هي أصولهم من الحق إذا عرفوا قديم الحق بهم، علَّمهم أن الحي القيوم لا يمتنع عن القيام في قيامهم ينشدونه ويحيطون بما شاء أن يحيطوا به من العلم عنه في أنفسهم من الآباء والأبناء.

كل هذا جاء به محمد، وهو قطرات مما جاء به محمد. فهل عرفت أمة محمد محمدا؟ حاشا لله أن يكونوا قد عرفوه. وإلا فقد سقط عند عاقل إذا هم عنده مثلوه!

هل تريدون أن نرى رسول الله فيمن يقومون في الناس باسمه أدعياء؟ أم فيمن يقومون في الله باسمه بوهم الأصفياء؟ أم فيمن يقومون في الله باسمه بزعم الحكماء وكلهم بعيد عن الحكمة والصفاء والتقوى والأتقياء؟ أو فيمن يقومون في الناس باسمه من الحاكمين الآمرين، والحكم والأمر في دينه لله رب العالمين؟

كيف يمثل هؤلاء الناس اسم أو دين محمد، أو كرامة محمد، أو مثالية محمد، أو رحمة محمد، أو معنى محمد؟ لا بل كيف يمثلون ذات محمد مثالية من تراب الأرض فضلا عن الحق من نور الله؟

إنه لم ينتفع بمحمد إلا قليل من الناس.. إلا قليل من الشاكرين.. إلا قليل من عباد الله.. إلا قليل من عباد الرحمن.. وهذه سنة الله. فإنَّا لا نطلب من الله تغيير سنته، ولا نطلب من الله تبديل أمره وكلمته، ولكنا نطلب من أنفسنا أنَّا نحاسب أنفسنا، أنَّا نقوم على أنفسنا محاسبين، وأن نعاملها لها قالين، وفعلها مجانبين، ولهديها مخالفين، ما ارتبطت بالأرض وصدت عن صوت السماء. إنها الخصم فينا لله معنا، وإنها العبد لنا والمطية لسيرنا، نبدأ بأنفسنا لها مصلحين ثم بمن نعول بها داعين.

فإذا جعل الله لنا نورا نمشي به في الناس.. إن جعل لنا ذلك فسرنا به فيمن نعول، وسرنا به في أواني ذواتنا، وسرنا به في نفوسنا مبعوثين به، كنا له حقيقة طالبين، ولرحمته متعرضين، ولنفحاته لنا في عالمنا متقدمين، مسلمين، متابعين، عن الحق لأنفسنا باحثين ساعين، والأحسن من القول به آخذين، والأتقى من الناس لهم متابعين. إن فعلنا ذلك فكنا من المسلمين لبعثنا بالإسلام، وكان الإسلام لنا دينا، وجعل الله لنا نورا نمشي به في العالمين.

هذا ما جاء به محمد أو قطرات مما جاء به محمد. إن فعلنا ذلك كنا من المسلمين، وكان الفرد منا نبيا من النبيين، (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٢١]. إن محمدا ما شرف في الناس بوصف النبوة ولا باسم النبي، ولكن محمد شُرف في الله، وشُرف في العالمين، وشُرف في الغيب، بالعبودية عبدا لربه. إنه شرَّف العبودية في السموات، كما شرَّف العبودية في الأرض، كما شرَّف العبودية في إطلاق الله. شرف بالله ربا وشرفت العبودية به عبدا، فأعلم عن الله في عبد يتعارف إلى عبد في الرفيق الأعلى. وعرَّف عن الله قيامًا بلا اسم، فلمن يتسمى معبوده وهو الصمد؟ ولمن يتسمى منشوده وهو الموجود الأحد؟ عرفه بلا موجود معه العَلَم المعروف بلا مُعرِّف عنه، الواحد في وجوده لا خلق فيه، المطلق في قيامه لا يحاط به.

إن الذي جاء به محمد تعريفا عن الحقيقة، وتعريفا عما يجب أن تكون عليه معرفة الناس عنها، أمر عجزت عنه العقول من قبله، وما زالت تعجز عنه العقول من بعده، وعجزت العقول في عصره، عِلما احتفظ به لنفسه، ولكنه أعطاه.. أعطاه لمن أدركه نفسه، وعَرَفَه نفسه، وعَرَفَه معناه، وعرفه خلقه وحقه، وعرفه آدمه وكلمته، وعرفه عبده وروح قدسه. من عرفه كذلك، عرف فكانه، عَرف ما احتفظ به الرسول لنفسه في المعرفة عن الحق له، والحق معه، والحق به والحق بالناس.

هذه قطرات مما جاء به محمد، وهو قليل من كثير مما أسفر به محمد، ومما أعجم به محمد، ومما أعطاه محمد ميسرا، ومما أعطاه مسربلا. أُعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه - فإنه لا شريك له -(أُعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[٢٢]. إنه قائم على كل نفس وأقرب إليها من حبل الوريد. أُعبد الله في نفسك {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن

من الغافلين}[٢٣]. لا تعبد الله في بيت من تراب، أو في بيت من حجر، أو في بيت من طين، ولكن اعبد الله في بيت من الحياة. إنه في نفسك، إنه في قلبك. القلب بيت الرب لمن كان ذا قلب، فكان للرب بيتا، وكان لله عبدا. وما رب العبد إلا ما شهد في نفسه من الله. إن الله هو القيوم على ربك في نفسك. وما ربك في نفسك، إلا ما أحطت به من العلم، بمعلوم عن خالقك، ومبدعك، ومحبوبك، ومعشوقك من الله.

إن الربوبية في قيام الناس لا غيب لها. وإن الألوهية في غيب الناس لا شهود لها. اذكر ربك في نفسك ولا تَذكر إلهك في نفسك، فتعالى الله عما أنت، وتعالى الله عما في نفسك، وتعالى الله بربك معك أن يكون له شريك منك. اشهد أنه لا إله إلا الله فتشهد ربك في نفسك، أو اشهد أن الله أكبر فتعرف إلهك في غيبك.

هذا ما جاء به محمد وعَلَمه وأراد أن يكون للناس من الله. وما أراد أن يكون ما منه من الله للناس من نفسه، فتجاهل نفسه مع الناس غير متجاهل لها من الله حتى لا يشرك بالله به في ذاته من تراب الأرض، وحتى يُعلّمه الناس في علمهم عن الله، وحتى يَعلم الناس الله في علمهم عنه فيعرف الناس من الله، ويعرف نفسه من الناس. وما جانب في تعريفه الصواب بل أصابه في سويدائه، فما قام بهم في حقيقتهم إلا محتجبا بذاته عن ظهوره، قائما فيهم بمعناه من الحق ومن الله، حتى يستقيم أمر الناس.

هو رجل.. هو حق.. هو نور.. هو روح.. هو عالم.. تجاهل نفسه في جميع صوره.. وتجاهل نفسه في جميع حقائقه.. تجاهل نفسه في جميع عوالمه، وظهر للناس بما يرب الناس في أنفسهم، وبما يقوم فيه الناس بذواتهم، وبجبلتهم، وبطبيعتهم، وبقيامهم، حتى يفتح لهم باب الرجاء مع الله بدء خليقتهم من عالم بدئهم فينتهوا إلى ما انتهى هو إليه من الله في قديمه ومحدثه، وبذلك يعرفون ما عرف، فإن أحسنوا البدء فقد حسن الانتهاء، وإن أحسنوا المدخل فقد استقام المسير، وإن دخلوا الباب سجدا فقد قام فيهم الدين، وطرقوا إلى ساحات الله ساحة السلام، لا ساحة المباينة والخصام.

هذا ما جاء به محمد. فهل عرفه الناس؟ هل قامه الناس؟ هل تذاكره الناس؟ هل تواصاه الناس -إلا من رحم -؟

اللهم اجعلنا ممن رحمت فقبلت، ولا تجعلنا ممن ابتليت فقلوت.. {يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون}[٢٤]. من تحسر لهم الخالق فقد أهلكهم وأفناهم. إن الحياة في رضائه عمن يرضى، وإن رضاءه في رضاء الخلق عنه. {رضي الله عنهم ورضوا عنه}[٢٥]. ورضوانهم المتحد

رضوان أكبر.. رضوان انقطع فيه وصف العبد ووصف الرب في الراضي من العبد والراضي من الرب. {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى}[٢٦] فإن فعلتم صلح أن تتفكروا وأن تعلموا، وأن تعرفوا - هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٢٧]. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٢٨]. لا ينقطع من أمته الداعي إلى الله على بصيرة، (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)[٢٩]. {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[٣٠]. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٣١].

كل هذا عرَّفه محمد. هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تفرق بكم السبل فتضلوا عن سبيل الله. هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني.

هذا ما جاء به محمد أو جانب مما جاء به محمد، وكثير مما جاء به محمد نحن في أشد الحاجة إليه اليوم. نحن أحوج ما نكون إلي معرفته، ونحن أحوج ما نكون إليه وقد اضطرب أمرنا، وضل سعينا، وأظلمت عقولنا، وران على قلوبنا ما كسبنا. نحن أحوج ما نكون إلى أن تتكشف لنا رسالة محمد وعيا، حتى يتواجد فيها من يتواجد عملا. فإذا تواجد الناس فيها عملا وسلوكا انتظم جمعهم وتجمعوا على معارفهم وعلى مختلف معانيهم من خلق الله، متخلقين بخلق الله، وكان الله في جماع ذواتهم قائما على جمعهم في سرهم ونجواهم، فإن انتظم جمعهم انتظمت تشريعاتهم، وانتظم حكمهم، وانتظم أمرهم، وانتظم حكامهم، وانتظمت دساتيرهم، وانتظمت أممهم، فكانوا عنوانا عليه أمة مثالية لأمم الخلق من البشرية، وقد أرادها على ما أرادها عليه شعوبا وقبائل ليتعارفوا، من منهم أدرك لله، ومن منهم أتقاهم في الله، ومن منهم المتخلف عن ركب مدنية النفس وصلاة الروح. والناس كلهم في حقيقة أمرهم ما يطلبون إلا الله، فإن ظهر ذلك في الناس ظهرت أمة محمد، وبظهور أمة محمد يستقيم أمر الناس لأنه رسول الله المرسل إلى الناس كافة. {وما أرسلناك إلا كافة للناس}[٣٢] لا يخرج من وصف أمته لا شرقي، ولا غربي، ولا عربي، ولا أعجمي. ولكن الناس يختلفون في أمر كتابه والانتساب إليه، ولكنهم لا يختلفون في أمر أمته والانتساب إليها، كل مولود يولد على الفطرة، والإسلام دين الفطرة...

ومحمد عبد الفطرة، ونبي الفطرة، ورسول الفطرة، وحق الفطرة، ووجه الفطرة، وكتاب الفطرة. فالناس جميعا أمته. أما من آمن به كتابا، أما من آمن به قياما، أما من آمن به رسلا وأنبياء، أما من آمن به رفعا وإيابا، أما من آمن به جزاء وثوابا، فكل آمن بالله، وكل آمن برسول الله على درجة وتفاوت في الدرجات في وعيهم وفي استقامة أمرهم.

هذا جاء به محمد أو ما فصله محمد، أو جانب مما جاء به محمد. فهل عمل الناس فكانوا أمة محمد؟ هل نشهد اليوم أمة محمد؟ هل يقوم الناس اليوم أمة لمحمد؟ إنهم يتوارثون من الآباء الغفلات ولا

يتوارثون من الآباء اليقظات. إنهم يقولون السلف والخلف الصالح ويشهدون في أنفسهم خلفا صالحا، ويشهدون في أسلافهم سلفا صالحا، وما شهدوا من أسلافهم إلا من تلف، وما ذكروا من أسلافهم من عن الحق صدق. فهل ذكروا من أسلافهم من اعترف، ومع أسلافهم فعلا من اغترف، فكانوا لهم أسوأ خلف، فهل أدركوهم لهم مثلا؟ نعم أدركوهم مثالا في المقابر، أدركوهم مثالا فيما أسموه مساجد وحرم، وما عرفوا أصحاب المساجد ولا ساحة الحرم. كلما ذهب ذاهب بحق ذكروه بعد ذهابه. وكلما جاءهم آتٍ بحق سخروا منه إلى يوم غيابه، فما قدروه رسول الله إليهم وقد بعثه الله إليهم مواصلة لرسالة محمد، ولدين محمد، ولحق محمد. فهل أدرك الناس شيئا من ذلك فأدركوا أنفسهم صحفا في كتاب الله، ومصابيح في أمة رسول الله، وجوارح في نفس عبد الله؟ إنكم تعرفون أمر قيامكم، وأمر نفوسكم، وأمر جماعتكم، وأمر دينكم، فهل هناك شيء من ذلك؟ فلنكن أبناء يومنا، وأبناء سمعنا. فمن عرف شيئا من دين محمد فليقم فيه وليوغل فيه برفق، فإن أدركه في نفسه فليدركه لأهل بيته، فإن أدرك في نفسه مزيدا من معرفة وقياما من حق، صح له أن يعمل بما أمر به رسول الله)لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٣٣]، فليتواصى مع الناس بالحق، وليتواصى معهم بالصبر لعل الله أن يهدي به أحدا، وإن هدى به أحدا كان في ذلك الخير كله له، من خير الدنيا والآخرة، (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك خير لك من الدنيا وما فيها)[٣٤].

فنرجو ونسأل الله، ونتشفع إليه بوسيلته محمد وآله أن يحقق لنا ذلك، ونستغفره ونتوب إليه ونستهديه ونسترحمه.

اللهم إن حالنا بين يديك على ما تعلم من عجز في أنفسنا، ومن إيمان بقدرة فيك. اللهم وقد وعدت فكن عند ظننا بك. اللهم غير أحوالنا إلى أحسن حال. وادفع عنا شرورنا وشرور الأشرار من خلقك. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا. اللهم هيئ لهذه البشرية وهذه الأرض السلم والسلام مع نفسها ومعك. اللهم أنزل سلمك عليها رحمة منك. اللهم ارزقنا رضوانا من رضائك، ولا تعاملنا من حضرة جزائك، وأقلنا من إقامة عدلك. اللهم ألحقنا بمحمد وبمن ألحقت بمحمد. لاحقين في ذلك بك، قوامين به وجها لك، وطلعة علينا منك، تقوم فينا وتُشهدنا طلعتك فيه، عبادا لك لا شريك لك.

اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. وزكي اللهم فيك نفوسنا، وقوم فيك جوارحنا وسبيلنا، وأطلق من سجن ذواتنا أرواحنا، وأشرق بنورك في معاني عقولنا حتى نتواصى فيك بحقك لا إله غيرك ولا معبود سواك، حتى نتواصى فيك بحقك، لا موجود سواك. اللهم عاملنا ببرك وبرحمتك غلبت رحمتك جزاءك. اللهم عاملنا ببرك راجين رحمتك فمن ذا الذي له قيام مع قيامك، أو له شأن

مع شأنك أو أمر مع أمرك. اللهم إنا نعلم أنك بالإنسان عبرت عن نفسك، وجعلته كتابا لك، وجعلته نور السموات والأرض تهدي إليه وتهدي به.. تهدي به إلى نفسك.

اللهم إنا آمنا بعظمتك في قربك كما هي في بعدك. اللهم إنا شهدنا قيامك على نفوسنا أقرب إلينا من حبل الوريد. اللهم حقق لنا ذلك واجعل إسلامنا لك إسلاما لوجهك الكريم في كل ما أبرزت من عبادك ومن أصفيائك. اللهم أنزل على أرضنا السلم والسلام وجنبنا الفرقة والخصام برحمتك يا أمان ويا سلام. لا إله إلا أنت ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(سيوجد ما يخيل إليكم أنه ظلام وحرج. ستقولون إن الأمور أصبحت أسوأ. ولكن خلف كل شيء توجد قدرة عاملة على تقدم العالم)

(سيأتي يوم ينهض فيه شعب جديد يعرف أن السياسة والدين والعلم والمعرفة، كلها أجزاء من شيء واحد. إن أعظم معلم لعالمكم سوف يكون إنسانا قادرا على إزالة أحزان الآخرين، والوصول بهم إلى حياة أفضل).

(إن ما نحاول تعليمه لكم إنما هي الحقائق التي علمكم إياها من رأوا بعيون الروح منذ الأزل، وكلما أهملتموها أصبح من الضروري تعليمها لكم مرة أخرى).

من هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النحل - ٦٠
٢ سورة مريم - ٩٣
٣ سورة الرعد ٤١
٤ سورة النازعات - ٤٢ ، سورة الأعراف - ١٨٧
٥ سورة الإسراء - ٨٥
٦ سورة النازعات - ٤٢ ، سورة الأعراف - ١٨٧
٧ سورة البقرة - ١٨٦
٨ سورة الشورى - ١٨
٩ سورة الرعد - ٣٣
١٠ سورة الزلزلة - ٧
١١ سورة الكهف - ٤٩

١٢ سورة هود - ٤٦

١٣ سورة البروج - ٢٠

١٤ سورة طه - ١١٤

١٥ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةً أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك.

١٦ من حديث شريف، رواه ابن إسحاق، كما في "سيرة ابن هشام": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يوم فتح مكة، قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ... إلى أن قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ.

١٧ حديث شريف: "نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ مقالتي، فبلَّغَها، فربَّ حاملِ فِقهٍ، غيرُ فَقيهٍ، وربَّ حاملِ فِقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصَّحيحَيْنِ من حَديثِ أبي بَكرَةَ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "فليُبلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فربَّ مُبلَّغٍ أوْعى مِن سامع".

١٨ سورة الجمعة - ٥

١٩ من حديث شريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٢٠ سورة الشمس - ١٣

٢١ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٢٢ من حديث شريف مجمع على صحته جاء به جبريل عليه السلام عن معنى الإحسان. أخرجه البخاري في صحيحه.

٢٣ سورة الأعراف - ٢٠٥

٢٤ سورة يس - ٣٠

٢٥ سورة المائدة - ١١٩

٢٦ سورة سبأ - ٤٦

٢٧ سورة الفرقان - ٥٩

٢٨ سورة يوسف - ١٠٨

٢٩ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٣٠ سورة الحجر - ٩

٣١ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

٣٢ سورة سبأ - ٢٨

٣٣ حديث شريف. صحيح البخاري. جاء أيضا بلفظ: "والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخيرِ." أخرجه النسائي ومسلم.

٣٤ إشارة إلى حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم الإمام علي بن أبي طالب. " فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لكَ حُمْرُ النعم." أخرجه البخاري ومسلم.

(١٦)

عبد الله

حيا يوما فكان الحياة قبل مبناه وقبل معناه

حديث الجمعة

٢٨ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ - ١٨ نوفمبر ١٩٦٠ م

أقرأه وأنساه. وذكَّره فأفناه. وعبَّده فأبقاه. وجدَّده فأحياه. أحياه يوما! فأدرك الحياة. وذَكَر الحياة، وذكَّر بالحياة. وعرَّف الحياة، وأحيا بالحياة. كان الحياة فأفاض الحياة.. فماذا يعنيه - وهو الحياة - ما غير الحياة؟ ماذا يعنيه من دنا الناس أو من دنياه - إن كانت أو لم تكن له دناه -؟ ماذا يعنيه من آخرة الناس أو من أخراه - إن كانت أو لم تكن له أخراه -؟ ماذا يعنيه من خلق الناس أو مبناه؟ ماذا يعنيه من دنيا الناس أو ملهاه؟ ماذا يعنيه من جنة الناس أو نعماه؟ ماذا يعنيه من نار الناس أو مرماه؟

إنه الحياة. إنه حيا يوما كما يرضاه. ماذا يعنيه إن كانت له أرضه أو سماه، أو لم تكن له ولا لمعناه وقد حيا بمن أحياه وأحيا بمن ارتضاه؟

ماذا يعنيه إن كان نبيا قبل آدم أو نبيا بعد آدم، أو عين آدم أو آدما لآدم؟ ماذا يعنيه طريقا للحياة طالت هذه الطريق أو قصرت.. انتشرت هذه الطريق أو تضاءلت.. تأبدت هذه الطريق أو توقفت.. انتفعت النفوس بهذه الطريق أو تغافلت؟ ماذا يعنيه من ذلك كله وقد حيا يوما فكان الحياة؟ حيا يوما فكان أبد الحياة، وأزل الحياة، وسرمدي الحياة. حيا بحياة من أحياه. رضيه فارتضاه. شَرُفَه حيا فشرَّف معناه، فكان منه له عين معناه. شرَّف مجلاه طلعة للأقدس من مجلاه والأعلى من مرتقاه.

كان في ثياب الخلق وتجدد في ثياب الخلق متجردا من ثياب صنعه إلى ثياب صانعه. أيكون مرة أخرى في ثياب صنعه ويتجرد مرة أخرى إلى ثياب صانعه؟! قد يفعل وقد لا يفعل! ماذا يعنيه وماذا يهم؟ إن كان قد فعل، أو إن كان قد يفعل، أو إن كان فاعلا بالفعل؟ لقد حيا يوما فكان الحياة...

إنه الحياة. إنه حيا يوما لا يدرك مداه. إنه عبد الله. أماته فأحياه وبعثه بالحياة. بعثه بمعناه، بعثه بالحق من طلعته ومجلاه. أحياه المثل الأعلى يضربه لمن ارتضاه، فعرف فيه مولاه، فذكره في نفسه. ذكر ربه في نفسه. ذكره في حسه. ذكر ربه في إدراكه وحسه.

الإنسان هو الذكر القديم الحامل للعلمية على الموجود المطلق. وآدم هو الذكر المحدث من هذا الذكر القديم للعلمية على الذكر القديم أو الذات الأقدس.

أول كائن بشري حمل خصائص آدم من العلمية على الذكر القديم أو أول آدم عرف للبشرية حاملا معنى الإنسان الكامل من حياة البشرية القائمة على الأرض، أو أول ابن لآدم تكامل لخصائص أبيه هو الذات المحمدية بما حملت من معاني وخصائص وشرف الإنسان الآدم، ظاهرا بالآدمية باطنها الحقيقة الإنسانية في علميتها على الموجود المطلق أو الوجود السرمدي. إنه عبد الله الظاهر لعبد الله القديم. إنه عبد الله جلَّ شأنه، وعز جاره، وعَلا أمره، وعُرف خبره. قام بالله، وبلا إله إلا الله، وبالله أكبر. فمن ذا الذي يرتقي مرتقاه؟ ومن ذا الذي يشاركه في وجوده بمعناه؟

إنه لا إله إلا الله لمن طلب الله. إنه الله أكبر لمن عبد الله. إنه القريب لمن أدرك القريب، قريبا في معناه، قيوما على مبناه.

ذاك من تذكرونه ولا تعرفونه، باسم عبد الله، وباسم محمد الله، وباسم رسول الله، وباسم آدم الله، وباسم إنسان الله، ولا تشهدون فيه وجه الله، ولا تقومون به عبادا لله، وبغيره لستم عبادا لله، وبغيره لا تعبدون الله، ولكنكم في عبادة أنفسكم. تعبدون الله خيالا من وضعكم. وتؤمنون برسول الله وهما من أوهامكم. تُسوفون الله فتبعدونه عن القرب معكم. وتسوفون رسول الله فتبعدونه عن القيام بينكم. فتعمى قلوبكم، وتعمى عيونكم عن نظره منظورا لنواظركم حاضرا لقوالبكم. ما كانها ولا يكونها، إلا إذا طلبتم. فهو في غنية عنكم وعن أمثالكم. لا يأبه لكم ولا لملايينكم. إنه لا يدخل بيتا غير بيته ولا قلبا غير قلبه. فهل بايعتم الله بمبايعته على قوالبكم، وعبدتم له بيوتكم وقلوبكم حتى يرى فيكم مِلكا له يدخله لأن البيت الفارغ منه مفتقر إليه؟ إنه لا يفتقر إليكم ولكنكم تفتقرون إليه. إنه غني بنفسه وغني بربه. ولستم بأغنياء عنه أو عن ربه. إنكم الفقراء إليه وإلى ما في يده لكم.

إنه من ربه باب ربه لمن طلبه. إنه باب المعرفة لمن طرقه.. إنه سلم الحياة لمن ارتقاه. ظهر الحق به خلقا، وظهر البعيد به قربا، وظهر القوي به تواضعا في مظهر ضعف، وظهر المتكبر به مدانيا في لطف.

إن لم يكن بكم إليه غاية، فلستم له، وله إليكم غاية. أنتم الفقراء إليه وهو الفقير لربه، وأنتم المستغنون بدنياكم وهو الغني الحميد بمولاه. إنكم تذكرون محمدا مُحدثين من بعده، وهو البريء ممن أحدث بعده.. إنكم تذكرون محمدا اسما وكتابا، ولا تذكرونه لقوالبكم قلبا، ولا لحيرتكم أمرا، ولا لفقركم غنى، ولا لجهلكم معرفة، ولا لظلامكم نورا. إنكم تذكرونه في المقابر. إنكم تذكرونه في الأوراق والمحابر. إنكم تذكرونه أمام غلبة طاغوت عالمكم المكر والدساكر. إنكم لا تذكرونه عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، فتخاطبون بجهلكم مخاصمين، وتجابون من رحمته بالسلام عليكم مجانبين، وتضمرون بين جوانحكم الكراهية والخصام قالين، وتبدون الود منافقين، الحقد في نفوسكم، والمقارنة والاستعلاء في عقولكم، والمغاضبة للحرمان، والمفاضلة بالبهتان صفتكم، تحكمون على الله وتحاكمون بجهلكم، وتعاملون رسول الله بأوهامكم.

ما ذكرتموه متوجهين، وما ذكرتموه في القربى وُدًّا ولا علمًا، ولا فضلا، ولا مائدة، ولا نورا، ولا روحا، ولا سفينة ولا معراجا، ولا بابا. ولكنكم تذكرونه رياء ونفاقا. تلوكون اسمه بألسنتكم وألسنتكم تتأذى من فعلكم وطويتكم، وتود لو أن تسكت عن النطق باسمه من لغوكم لما تشهد من رياء قلوبكم، ومن خداع عقولكم، ومن التواء نفوسكم.

أالله تذكرون وأنتم مظاهروه! ورسول الله تذكرون باسم الصلاة وأنتم في صلاتكم قالوه؟

إذا لم يكن رسول الله قوام الحياة وقيامها فما ذكر، وما وُصل، لا يُدرك إلا بموت النفس وهدمها، فيُبعث في النفس عنوانا له، ولا عنوان لها، وقياما له ولا قيام لها، حياة له ولا حياة لها، وجودا له ولا وجود لها. النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم. آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته. لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب لديه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه.

من هو هذا الذي به يتم الإيمان ويتواجد الإنسان؟ أغيب هو عن العيان؟ أغيب هو بين هذه العوالم من أوادم الإنسان؟ إن كان غيبا فهو الله في غيبه. وإن كان حاضرا فهو الله في حاضره. وإن كان قريبا فهو الله في قربه. وإن كان بعيدا فهو الله في بعده.

إنه عبد الله الذي به يَعرف سيده ومولاه والذي بدونه لا يُدرك الله، ولا يعرف الله، ولا يُعبد الله، لا ولا يوجد الله عند واجده. فالله في عظمته ووجوده في وجود عبده. وظهوره في ظهور عبده. وقربه في قرب عبده. وإن الذي حال بينكم وبين عبده أن تكونوه أنكم بخيالكم تخيلتم أنكم لله عباد.

سبحان الله! أمثلكم لله عباد؟ إنه وصفكم بذلك إكراما لعبده. المتواجد بكم. المتواجدين فيه. فإن كنتموه فعبده أنتم، ولا تعدد للعبد عنده. كل من في السموات والأرض يأتيه عبدا واحدا. أما ما فيها إن بقي فيهما حي وللحياة مدرك فهو منه، وهو هو، وهو عبده.

أمتابعة لرسول الله تزعمون وأنتم بأقدامكم رأسه تدوسون ولا تسجدون فبها تستحيون؟ إنه سر الحياة في الأرض التي ولدتكم، والتي رحمة من الله به أقلتكم، والتي بقدرة الله ويدا له أمسكتكم.. وإلا ففي الفضاء تناثرتم فما تواجدتم.

إن الأرض التي تدوسونها بأقدامكم وُلج فيها نور الله يوم دخلها رسول الله. كانت ميتا فأحياها. وكانت ظلاما فأضاءها. وكانت خلوا من عوالم الحياة فملأها بعوالم الحياة. كانته فكانها وعرفته فعرفها، وشرفته فشرفها.

يوم تنشق عنه عيونا تملأ الأرض ريا، وتصير الكافر وليا. يوم تنشق عنه فتبدل الأرض غير الأرض، وتنشق السموات بانشقاق الأرض مبدلة عن ثمار شجرة الجنس، تنشق عن كلمات الله المرفوعة من أقباس نوره أرواح الحياة إلى بيوت موضوعة يوم لا وزر، يوم يجتمع الشمس والقمر. يوم يظهر السراج المنير للجنس بأقماره وليالي الجنس على أرض شجرة الجنس. يوم تتخلى معاني الإنسان عن أوزارها من أثقال الأرض وتخرج إلى بحار الحياة عارية مسفرة. {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[1]. علمت نفس ما ارتقت. علمت نفس ما تواضعت. علمت نفس ما رُفعت، وعلمت نفس ما وُضعت. وأخذ الناس منازلهم في وجود الناس، فكان محمد فيهم للحق عنوانا، وانقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر، إلا نسبه وحسبه وسببه وصهره. وكان نسبه حسن الخلق. وكان حسبه تقوى الله. وكان سببه الراحمون يرحمهم الرحمن. وكان صهره ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء.

كان هو الحياة ونبعها. وكان هو الدائرة ومركزها. وكان هو الكرسي ومستويه. وكان هو العرش وما يحتويه. كان كل شيء للإنسان بعبوديته للرحمن. صفه بما شئت، واعرفه كما شئت، واعتقده كيفما شئت، إلا أن تقول إنه لا رب له. قل إنه لك رب ولكن له رب. قل إنه لك إله ولكن عليه إله. قل إنه فوقك عبد لله ولكن فوقه عبد لله. قل إنه كون ولكن قبله كون. قل إنه وجود. قل إنه كل شيء ولكن قبله من هو له كل شيء.

به يعرف ربه، ويدرك وصفه، وينال علمه، ويقام قيامه، وتدرك وحدانيته. إنه عبد الله الذي حيا يوما. لا تعرفه ولا تستطيع معرفته، ولا تقدره ولا تستطيع تقديره. كما أنه هو لا يعرفه ولا يستطيع معرفته، ولا يقدره ولا يستطيع تقديره. ألم يقل لنا (ما عرفني غير ربي)[2]؟ ما عرفه غير ربه حتى

ولا نفسه. فما عرف نفسه وما أحاط بنفسه، وما قَدَر نفسه وما أدرك نفسه. عجز عن ذلك كله في أمر نفسه، وبعجزه في فهم نفسه استطاع أن يعرف ربه - وما زال - في عجزه عن معرفة ربه بعجزه عن معرفة نفسه طالبا المزيد من المعرفة عن نفسه ليزداد معرفة عن ربه في المزيد من إدراك عجزه.

على هذا قامت رسالته، وبه قامت ملته، وبه شَرُفت ذاته ونفسه، وكونه، وعقله، ومعناه، وعبوديته. به استقامت طريقه. وبه حيا صِدِّيقه. وبه تابع فاروقه. وبه سما ودانى معناه.

إنه عبد الله. هلا عبَّدنا أنفسنا لله في تعبيدها له؟ هلا شرَّفنا أنفسنا بالله في تشريفها به؟ هلا آمنا في أنفسنا بالله بإيماننا به في قيامنا؟ وطلبناه لنا في قيامنا ووجودنا؟

إن رسالة الله من قبله - إن كان لرسالته قبل- من بدء الجنس في شقيها من الحكمة والنبوة -إن كان للجنس بدء أو قبل - إنما هي في تجول نفس الإنسان لطلب معرفة الخالق، في طلب معرفة الحق، أو الحق الخالق المبدع.

أما الرسالة من بعد هيكله الرسولي وقد تمت رسالته عن التعريف بالخالق، وكشف سبيل البحث عن معرفته والاجتماع عليه، فقد بدأت بالقيام بمحمد عبده وجماع رسالته. وبقيت رسالة الله عن التعريف بعبده، والجمع عليه. بقيت رسالة التعريف عن معاني العبودية في التعريف عن معاني العبد له، يقوم بشرف الوحدانية به. وهذا ما عناه عبده يوم قال للناس (خلَّفت الله عليكم)[٣]، وهذا ما عناه كتابه وهو يقول: هذا خاتم النبيين، وهذا أول العابدين. هذا أول بيت وضع للناس مظهرا لبيت رفع من الناس.

ولن يعرف من الله ولن يظهر من الله إلا المثل الأعلى في بيت يذكر فيه اسمه، سواء في الأرض أو في السماء، وما المثل الأعلى في السموات أو في الأرض إلا عباد له يدبون في السموات كما يدبون في الأرض، وإنه على جمعهم إذ يشاء قدير، وإنه جامعهم على دوام ومظهر جمعهم يوم تشقق السموات والأرض عنهم على أمر معلوم.

وإنهم على قديم عبده اجتمعوا، وبه اجتمعوا، وعليه اجتمعوا، وفيه اجتمعوا. وكانوا للناس ملأ الأرض، من المثل العليا من عباد الرحمن يتواجدون عليها آدما بعد آدم، وإنسانا بعد إنسان، وشهيدا بعد شهيد، وإماما بعد إمام، حتى استكمل الجمع أمره، وبلغ محدث الذكر بمحمد رشده على مثال من قديمه. ما أحدث محدثه بالتخلق بأخلاق ربه إلا آدم قيام لباطن بآدم في إنسان الله. أوجده قديمه لنفسه على صورته.. في الحي القيوم.. في اللانهائي الموجود.. في الصمد الخالق.. في الواحد الأحد، في

الفرد الصمد الذي لا يعرف إلا بقيام وحدانيته عند موحده، والذي هو عين عارفه في عين معروفه. هو العارف والمعروف في إنسان عبده، وإنسان رحمته، وإنسان ذكره.

إن الصلاة كصلة مقامة لذكره، من ذكر محدث بأمره لذكر قديم في سرمدي قيامه.. رفيقا أدنى لرفيق أعلى.. ظاهرا لباطن. إنهم عباد مكرمون دبوا على الأرض، أو دبوا على السماء.

هذا دين محمد وهذا ما جاء به محمد، فهل بحث الناس بينهم على قبلة الرشاد لهم أو على حوض الحياة يردونه بينهم؟ هل بحث الناس عن محمد فيهم، وفي أنفسهم، وفي قيامهم، وفي مجتمعهم؟ هل بحثوا عن الله ومثله العليا بينهم وبين جوانحهم في مرضي صفاتهم؟ هل بحثوا عن الشيطان في أنفسهم، في مرذول قيامهم ومجفو صفاتهم؟ إنهم يبحثون عن الله خارجهم فيباعدوه بوهم ذكره وبوهم مقاربته. إنهم يبحثون عن رسول الله بعيدا عنهم فيباعدوه. إنهم يبحثون عن الحياة وعن الجنة مسوفة بعيدا عن قيامهم، والحياة في قيامهم أقرب من حبل الوريد، والجنة هم في قيامها،عرضها السموات والأرض مُعدة للمتقين لم تخرج أرضهم منها، ويبحثون عن النار بعيدة عن تواجدهم وهي لهم مبرزة لمن ألقى السمع لناقل وهو شهيد بناظر. هم اليوم واردوها تحت شمسها وزمهريرها لمن لم يتابع مقولة بوهم ولكن يتابع منظورا بفهم.

أين هو الدين عند أدعيائه؟ أين هو الإسلام عند من يدعونه باسم الغيورين وهم عين قيام ووصف أعدائه؟ إن الدين والإسلام يتجدد عند الإنسان المؤمن المسلم، عند كل لمحة، وفي كل يوم، وفي كل مجال، وفي كل فرصة، وفي كل حياة. إن المؤمن لا يتوقف عن الترقي، وعن التطور، وعن المزيد، وعن النمو، وعن الحياة، وعن التواجد. أين هذا كله يا من يدعون الإسلام؟! أو ينسبون إليه!

هذا هو دين الإسلام. لا جنة فيه لخيال، ولا نار فيه لوهم، ولا حساب عنده في الانتظار، ولا ربا في قطيعة، ولا رسولا في بعد عن العمل والاتصال.

إنكم تسمعون، وإنكم تشهدون. وإن هذه فرصتكم فصدقوا لما تسمعونه. فما قال الرسول قولا إلا بعد أن قام فيه. ولن يقول صادق مقالة قبل أن يقوم فيها.

افهموا القاعدة تتعلموا الدرس. إن الذي قال لكم إن الله أقرب إليكم من حبل الوريد.. إن الذي حمل لكم ما زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت يده ورجله وعينه إذا أحببته كنته...

ما قال مقالته لكم إلا بعد أن تحققت له. وما عرفها إلا من تحققها له. حاشا لله! أن يقول الرسول مقالة عن وهم أو هو بها حالم أو واهم! فما كان إلا إياه وجها ويدا لكم. إنه يقول لكم في كتابه عن

لسان ربه إن الذين آمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم. فما كان محمد إلا الحق من ربهم. ما كان إلا وجه ربهم. ما كان إلا وجهه وطلعته. ما كان إلا نوره ورحمته. ما كان إلا روحه وظهوره وطلعته. ما كان إلا قرب وجوده وسر ذاته.

هل أدركتم شيئا من ذلك؟ إنكم تتكلمون فقط ألف وأربعمائة سنة تتكلمون فقط ولا تدركون. وإذا ظهر بينكم مُدرك تَقْلُون، وتخاصمون، وتباعدون، حتى إذا غاب عنكم كنتم تراب قبره تُقبلون، وأعتاب قبلته تسجدون. والله خلق لكم من بينكم من مثلكم من تقدرون، فلا الربوبية في أنفسكم تذكرون، ولا بالله تقومون، وأربابا منكم من دونه تتخذون ولا تستحيون. فإذا قيل لكم كونوا ربانيين وليتم مدبرين. وساحة الله، ورحمة الله، وعناية الله، لا يساق الناس إليها، ولا تسقى كدواء - النفس له كارهة - ولكنها توهب كجزاء - النفس له طالبة، وبه راضية، وإليه ساعية.

إن الله لا يدخل الناس إلى ساحته كرها، {لا إكراه في الدين تبين الرشد من الغي}[٤] ولكن الناس يطلبون أن يكونوا المكرهين لا الأحرار العابدين. فلا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين. اللهم اغفر لنا وللناس أجمعين.

اللهم بخُلقك الكريم نخلِقنا. وبفطرتك فاصبغنا. وبأمرك أقمنا. وفي رحمتك أدخلنا. اللهم إنا بك آمنا، وبعبدك قمنا، وفي دنيانا على ضيق بها أقمنا، وإلى آخرتنا فيك استشرفنا، وحريتنا بك طلبنا، وعتق رقابنا سألنا، وعتيق أمرك له أنفسنا هيأنا، فبفضلك له عبدنا، وبه فاصبغنا، وبالعبودية لك حققنا.

اللهم إنا علمنا أنه لا مكان لك، فأنت المكان وأنت المحيط بالمكان. اللهم منك فينا فأشهدنا، وفضلا منك فمكنا، وقدرة بها نقدر على خَلق أنفسنا قدِّرنا، والطريق المستقيم إليك أسلكنا، وأخذًا بنواصينا في الطريق قومنا، وبالحق قربنا، ومن كل كائن لك حققنا، وفي معراج رُقِينا لفضلك فاعرج بنا، وفيك طورنا، في الأرض أقمنا، أو إلى السماء صَعِّدنا، فنحن عبادك فبَمنِّك عبِّدنا، وزدنا فيك عبودية وعبودية.. وعبودية.. ومن عبوديتك لا تحرمنا ما أحييت وما أبقيت وما بك بقينا.. لا إله إلا أنت ولا معبود سواك.

(لن يكون سلام في عالمكم قبل أن تندمج ألوان البشر سويا، وقبل أن يتعلم الناس ألا ينظروا إلى الجلود وإنما إلى النفوس التي وراءها)

(إن قوة الروح من مصدر الحياة في انسيابها إلى الكائنات البشرية تتجاهل كل التمييزات الأرضية، ولا تهتم بطبقة، ولا بلقب أو بدرجة في مجتمع، ولا تهتم بلون لشعب أو تمييز لجنس، أو سلطان لقوم أو دولة. إنها تتجه فقط لهؤلاء الذين يستجيبون لنداء الحق، أينما كانوا أو إلى من كانوا، فتملؤهم بقوتها

آتية من مصدر كل صدق، فتضيء عقولهم، وتتحرك نفوسهم، ويصبحون من العاملين في الأيكة العظيمة للروح الأعظم).

(إن الحب هو العامل الأول لتحقيق ذلك. والحب الصادق هو الذي يخلص من الخوف. ولكن الناس يبدأون وفي قلوبهم وجل. وثقتهم بأنفسهم مزعزعة إذ يخشون أن لا يحصلوا على نتائج لمجاهدتهم. والخوف عنصر مفسد لعملهم إذ يفسد عليهم اتحاد الذبذبة مع باطنهم من الأرواح المرشدة لهم والعاملة معهم. اعرفوا قبل كل شيء عن ملكوت الله، وعن عدالته، وعن ضرورة المعرفة بينكم، وكل المواهب سوف تنهال عليكم)

(لقد جاءكم العلم منذ سنين كثيرة عن طريق إنسان عرف القانون، بين لكم أنه إذا ما جربه مجرب جاءت النتائج دائما وحتما، وأنكم إذا ما سمحتم للقانون أن يعمل، فعلى النتائج أن تأتي) ... من هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش)

وإنه يقصد بالإنسان الذي عرف القانون وعرفه رسول الفطرة وعبدها من رددنا له اسما (محمدا عبد الله ورسوله).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الانفطار - ٥

٢ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكّاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي."

٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤ سورة البقرة - ٢٥٦

(١٧)

بيت القبلة
ومقيمو الصلة والصلاة

حديث الجمعة

١٣ جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ - ٢ ديسمبر ١٩٦٠ م

أشهد أن لا إله إلا من هو معنا.. أشهد أنه لا إله إلا من هو لنا.. أشهد أن لا إله إلا من فيه جَمعَنا، ومنه قديما أوجدنا، ومن قديم وجودنا فَرقَنا، وفي قديم فَرْقنا كان لنا، والذي إليه مردنا، وعليه دواما اجتماعنا.

لا إله إلا هو، موجودا منفردا لا يتعدد، خالقا موجدًا لا يتجدد، صمد في ذاته، صمد في صفاته، لا شريك له.. الحي القيوم...

ظهر بعبوديته، واختفى بربوبيته، وتنزه بألوهيته، ورحم بوحدانيته، فهو الواحد في ظهوره، والأحد في بطونه - الكائنات مظهره، والعلم مخبره، والقدس كرمه، والحرية رحمته، والعدل شيمته، والعوالم تجلياته، والكائنات آياته، والخلق للعلم بالمعروف كتبه.

إن الإنسان في خلقيته إنما هو كبداية ونواة للعوالم والكائنات والأكوان، وفي حقيته قديم الذكر ووجه الرحمن. فبشريته بداية آدم والآدمية، فيها بداية الكون والكونية، ونهايتها الساجد والمسجد والسجود للإنسان في الإنسان.

إن الإنسان هو الكينونة المعجزة للإنسان نفسه، وغير معناها ومبناها لا يعجزه، إذا قرأها قرأ القرآن، وإن أنطقها علَّم البيان، وإن أوجدها خلق الإنسان.. خلق الإنسان في جديده في الإنسان في قديمه في الإنسان في مستديمه.. دواليك.

فالإنسان هو الكائن الخالق، والإنسان هو الكائن المخلوق، هو الكائن الحق الخالق في وحدانيته مع الحق الخالق، فيه يقوم وبه يفعل، وهو الكائن المخلوق، والكائن الخلق بوحدانيته مع الكون، مخلوقا من وحدانيته مع الكائنات والعوالم المخلوقة.

فالإنسان حق بوحدانيته مع الحق. والإنسان خلق بوحدانيته مع الخلق.

فالإنسان خلق وخالق، إنما هو مربوب ورب. مربوب بوصفه إنسانا ورب بوصفه إنسانا. يقوم الرب فيه، حياة العبد فيه، ظاهراً بكونه، في كائن البشرية من وجوده، غائبا بمعناه من الربوبية في معناه.

إذا عرف الإنسان خصوصيته كإنسان، في هذا المعنى فطلبها فوجدها فقد تخلق بأخلاق الله. وإذا لم يتنبه إلى خصوصيته هذه فلم يعمل لها، ولم يتواجدها، فإنه في قابل له لا يجدها، ويعلم أنها كانت به وكانت له وأنه فقدها، بغفلته عنها،وبجهله بها. تأتيه الأيام بما كان منه يحيد، بما كان له كائنا، وكان في مكنته أن يكونه.. ولكنه حاد عن الطريق.. حاد عن السبيل.. أغمض العيون عما حوله من آيات الله.. وأغمض البصيرة عن أن تنعكس إلى ما فيه من آيات الله. فما نظر بخارجه متأملا فيفيق، ولا نظر بداخله مؤمنا فيصحو. وهو إن أفاق طلب الصحو، وإن صحا طلب الإفاقة، فطلب البعث، فبعث بما ملك، فيما يملك.. ومن أدرك البعث وطلبه، فقد طلب الحياة، وأدرك الحياة، فلحقته الحياة، بماء الحياة قطرة بعد قطرة، من ينابيع الأرض، من سلسبيل مدكر، من نهر صدق مصطبر، وأمدته ميازيب السماء بماء منهمر، فارتشف من عيون الأرض، وقد نظرته فعرفته، فأضافته فتواجدها وتواجدته، فخلقها وخلقته، وأحياها وأحيته، وجددها وجددته، فالحق عرفها والحق عرفته، فتعارف الحق إلى نفسه بنفسه في نفسه من الناس. وقع تحت نظر السماء فأعجبها فاصطفته، وبهرها فاختارته، ورضيها فاختبرته، فوفاها فارتضته، فمن حضرته رفعته، وإلى السماء أضافته وبأرجائها نشرته، فحنت الأرض إليه فبكته، وذكرته وما عرفته، وعرفته وما أكرمته، وذكره في أبنائها نشرته فطلبوه وطلبته، فتجدد في الأرض عيونا، وقام فيها أشجارا وغصونا، بذكره أزهر بستانها، وبذكره ارتفع بنيانها، وبذكره حيا وجدانها، وسماء ارتفع عنوانها، فتجدد شأنه ذكرا لله وضع، عن قديم ذكر بها لله رفع، وهكذا.. دواليك.. تقادم وتقادم المحدث، وتجدد وتجدد القديم. فكان الإنسان بسرمده أولية للخلق، وأولية للحق.

أما كيف يكون الإنسان نواة وأولية للحق؟ فإنه يعرف ذلك ويتحققه يوم يكون الإنسان نواة وأولية للخلق! ومتى يعرف الإنسان أنه أصبح نواة وأولية للخلق؟ يوم يتحقق الإنسان أنه كائن، وأنه نواة وأولية للكينونة. ومتى وكيف يتحقق الإنسان أنه كائن ويؤمن أنه نواة وأولية للكينونة؟ يوم يعرف الإنسان أنه في الله شيء، ويعرف أن الشيء حر في مشيئته، قادر بما أودع الله فيه من قدرته، سالك مسالك الطريق، إما إلى استقامة، وإما لما يقتضي الملامة. عرف نفسه فعرف أنه هُدي النجدين، وعَرف السبيلين.. إما شاكرا وإما كفورا.. إما باقيا وباقيا وباقيا إلى بقاء، أو فانيا وفانيا وفانيا إلى فناء.. وعلم أنه بقي إن بقي بقدر ما فني، وأنه فني إن فني بقدر ما بقي وأحسن الظن بربه فعلم أن

طريق الفناء في ربه وحقه هي طريق البقاء بربه وحقه، أما إذا لم يسر ولم يتحرك في طريق التطور فإنه لم يوجد بعد، ولم يدخل الحياة بعد.

أما حسن الظن الذي هداه النجدين إما شاكرا وإما كفورا، فيه يعرف أنه ما كان في طريق شكره وطريق كفره إلا في طريق واحد مآله إليه. عرف نعمة الله عليه فشكر وعرف جحود نفسه لله فكفر.. كفر بنفسه جاحدة لله وشكر لنفسه ذاكرة لله.. فشكر بقدر ما كفر وكفر بقدر ما شكر.

وبذلك كان الإنسان نواة للمعرفة وللعلم وللكتاب وللحياة. وعرف أن الله بعظمته لا يكفر به، وأن الله بوحدانيته لا يشكر له. إنما الإنسان هو فيه شكره وكفره. {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[1]. من شاء فليؤمن بنفسه ومن شاء فليكفر بنفسه.

هذا هو الدين وهذه هي الطريق إلى الدين، أو هذا هو لب الدين وهذا هو جوهر طريق الدين والسبيل إلى عين اليقين. من سمعه فوعاه فطلبه فداناه، فوجده فكان معناه. فهو في جنة الله وإلى جنان الله. ومن سمعه فقلاه، وأبعد عن المعنى معناه، وجانب بالمبتغى مبتغاه، فقد كفره فما تولاه، ولا كان له في دائم معناه، فله دينه وما ارتضاه.. وما كان هيكله ومعبده إلا مبناه، وما كان الشيطان إلا إياه، وما كان الجحود والكفر إلا معناه.

إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، كما أن الرحمن يسلك من الإنسان مسالك الروح منه. هو له أقرب من حبل الوريد، إنه معه الدم وما يجري فيه. إنه دمه وخلاياه وجوارحه وأوانيه، إنه ذاته ومبانيه، إنه عينه وغيبه وما يرضيه، إنه شهادته وما يستقيم فيه، إنه عبد الرحمن وما كان الرحمن ربا إلا به. وما كان العبد عبدا إلا بربه. فليس بعبد من لا رب له، وليس برب من لا عبد له. والله من ورائهما محيط وبوحدانيتهما قائم. إن الله قائم معروف بألوهيته بوحدانية الرب والعبد فيه، كما هو قائم معروف في ظهوره بوحدانية العبد بالرب فيه.

ليس وجها لله، وليس قائما بالله، وليس محلا لقيوم الله، وليس قائما في الحياة، من لم تكن معاني العبد والرب فيه، إلا معناه وإلا إياه.

هذا هو التوحيد ووحدته على ما جاء به محمد وأمته، وعلى ما عرَّفه محمد وشرعته، وعلى ما قامه محمد وبيته، وعلى ما قامته ذاته وكتابه، وعلى ما قامه كتابه وجمعه، وعلى ما قامه جمعه وأصحابه، وعلى ما قامه أصحابه وأمته، وعلى ما قامته أمته وإنسانيته، وعلى ما قامته إنسانيته ووجوده.

إن محمدا وربه على ما بينه وبين ربه من المعارج، إنما هو وربه ليسا إلا يدا رحمة الله، يدا رحمة إلهه. يحمل إلهه الكون بيد عبوديته ويُظل الكون بيد ربوبيته. إن محمدا بظاهره من حقيقته يد الله المقلة للكائنات والكون. وإن محمدا بباطنه من ربه يد الله المظلة للكائنات والكون. فهو رسول رحمته كما هو يد بطشته وظل عدالته.

هذا هو محمد عبده ورسوله الذي به نأتَمُّ وعليه نجتمع، وشتاته في أنفسنا بتجمعنا نجمع ونلتئم، فنتذاكره في أنفسنا لله ذاكرين، ونتواصاه في أنفسنا لله طالبين، ونتحققه في أنفسنا بالله مؤمنين، ونقومه بأنفسنا كتابا لله محيين متحققين. إنه الدين وأصل الدين، وبداية الدين، ونهاية الدين، وقيام الدين، وعين اليقين.

تلوك اسمه ألسنتنا ولا تقوم به عقولنا، ولا تتجدد به قلوبنا، ولا تتزكى به نفوسنا، ولا تحيا به جوارحنا، ولا تقوم به ذواتنا، ولا يتمثل به في الله رجاؤنا، فقد أصبح وربه ألفاظا لنا، وألفاظا عندنا، بعيدة كل البعد عن رغبتنا وآمالنا، في دنيا حياتنا.

إنا نتواصى معكم بالحق، في تواصينا بالحق فيه، وبحقه فينا، وبحق وجودنا فيه. نحن فيه على ما نحن، راجين أن يكون فينا على ما هو. إننا إن دخلنا في نفوس امتداده من بيننا، قبلة لصلاتنا، وبيتا لمآلنا، ورجاء لعملنا، ومنشودا من رحمة الله لنا، دخلنا هذه النفوس، من سفن نوح قيامه، ومن بيوت وضعه من موضوع بيوته، تعرضنا في زماننا لنفحات الله، ولنفحة رحمة الله لنا به.

إن فعلنا ودخلنا، فإن روح القدس، إن روح الله، إن الله يصطفي ممن دخل بيته. وروح قدس الله إنما تمتد فيمن اصطفي الله ممن دخل بيته. وما أمر بالصلاة في معناها من صلة العبد بربه إلا من كان من أهله، ومن كان في بيته ممن دخله من طائفيه.

إن من كان أهله ممن دخل بيته كان ولده، ومن كان ولده فقد انقضى يتمه وقام بدخول البيت إيواؤه نخرج من ضلال طريقه ونفسي مسعاه، إلى دار مستقره ونعيم مرتضاه. {وَأْمُرْ أهلك بالصلاة}[٢]، فما صلى من لم يكن له أهل. وما اهتدى من لم يدخل له بيت. وما سار من لم يركب له سفين. وما وصل من لم يتصل به. وما اتصل به من جهله. وما جهله من تجدد به وولد منه، ولذاته وروحه نسب. (المهدي ولدي)[٣]، فكان محمد آدمه أسوة، وكان محمد كلمة الله منه إليه فيه.

إن الدين في الارتباط باليتيم آواه الله، يتيما على معناه، يأويه يتيم الله. {أرأيت الذي يكذب بالدين}[٤] أعرفت أنه {ذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين}[٥]؟ إن الناس لا يزدادون بصلاتهم من الله إلا بعدا إن لم يكن لهم قبلة، فويل للمصلين لغير قبلة فما كانت الصلاة إلا صلة بين العبد

وربه، ولكن هؤلاء عن ذلك ساهون. إنهم عن صلاتهم ساهون. عن صلتهم ساهون. عن طلبها ساهون. عن العمل بها ساهون. عن السعي إليها ساهون. عن ضرورة قيامها ساهون. وهم مع ذلك لم يخرجوا عن نظر الشهيد فيهم. فالإنسان على نفسه بصيرة وإن أبدى معاذيره. ولكنهم يجهلون أو يتجاهلون وإن أدوا أشكالها فهم المراؤون. إنهم يراؤون أنفسهم، ويراؤون الناس، ويراؤون الله، وإن الله مرائيهم بفتنته، وإن المؤمنين مرائيهم بحكمته، وإن الله صابر عليهم، حليم بهم، والمؤمنون صابرون مع صبره. يمكرون على الله ويمكرون بالناس، والله يمكر بهم يمدهم في طغيانهم يعمهون عنه فيهم، فيكونون العماء فيه فيعمهون.. يمد لهم في الضلالة مدا فيمنعون الماعون، وعن سبيل الله يصدون، وبالضلالة يعملون، وعن موائد مساكين الله ممدودة يحولون. يضلون أنفسهم ويضلون بها الناس من الضالين. ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة لأن الله أضل أعمالهم، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا، ومن يضلل الله فما له من هاد، فمن يهديه غير الله وبعد الله وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ولو شاء لهدى الناس جميعا ولكن سبقت كلمته، فريق للجنة وفريق للسعير لقيام ناموس الوجود.

اللهم لا تجعلنا من أهل الضلالة، واجعلنا من أهل الهدى والهداية. اللهم إنا إليك فوضنا أمرنا فاجعله اللهم بك ميسرا. اللهم إنا عليك توكلنا فأقلنا من عثرات أنفسنا. اللهم إنا بك آمنا فأفننا اللهم عنا، وأبقنا اللهم بك لنا عبادا لك لا شريك لك.

اللهم إن محمدا تابعنا وحيينا، وأسوته وكتابه أقمنا وابتلينا. اللهم فاهدنا به وقومنا. فإن محمدا كتابه تواصينا فما عرفناه إلا عبدك فابعثه فينا وجددنا فيه فما آمناه إلا كتابك، وما عرفناه إلا وجهك، وما وردناه إلا حوضك، وما طعمناه إلا رزقك، وما رويناه إلا ماءك، وما سعدناه إلا رحمتك، وما قمناه إلا حقك.

اللهم فيه فأدخلنا - اللهم فينا فأدخله، اللهم بك فينا فأقمه، وفيه بك فأقمنا. اللهم إنا قد علمنا به عنك وحدانيتك فوحدناك عبادا لك. لا نحن ولا هو ولا أنت.. إنما أنت هو نحن وهو وأنت.. لا إله إلا إيانا ولا موجود إلا أنت. لا معبود غيرك ولا موجود سواك. قائما على أنفسنا أقرب إلينا من حبل الوريد.

اللهم إنا رأينا أنفسنا على ما أنشأت.. وأقمناها فيما أردت.. ووجهناها إلى ما هديت. اللهم فتقبلها على ما وعدت. وارحمها على ما بمحمد أظهرت. واجمعها على ما قدرت. وانشرها على ما به أكرمت ومننت.

اللهم إنا منك. اللهم فاجعلنا منك وإليك. اللهم ارزقنا وحدانيتك وعلمنا وحدانيتك، وأسلكنا وحدانيتك، وقومنا وحدانيتك، واهدنا وحدانيتك.

نشهد أنه لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك.

هذا هو الدين نسأل الله أن يجعل لنا ولكم به اليقين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الكهف - ٢٩

٢ سورة طه - ١٣٢

٣ حديث شريف: "المهدِيَّ رجلٌ مِنْ ولَدِي، وجْهُهُ كالكوْكَبِ الدِّرِّيِّ". أخرجه الطبراني.

٤ سورة الماعون - ١

٥ سورة الماعون – ٣:٢

(١٨)

الأحد الصمد

عبده وإنسانه

حديث الجمعة

٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ - ١٦ ديسمبر ١٩٦٠ م

إلى الأحد.. إلى الفرد الصمد.. إلى الواحد المنفرد.. إلى اللانهائي الأبد.. إلى المعروف السرمد.. إلى الموجود الأزل.. نتوجه.. وباسمكم فيه نهتدي.. وباسمكم منه نستعين.. وبمعناكم له نرتضي.. وبقديمه للإنسان نرتجي. منه نتواجد، وفيه نسير، وبه نرتقي، وله معنا نعتقد، وبنا له نرتقب، وعلينا منه نحيا، وكتابه فينا نهتدي، وعبده به نقوم.

باسمـــــه هـــــو..

باسمـــــه الله..

باسمـــــه الرحمـــن..

باسمـــــه الرحيـــم..

باسمـــــه اللهم..

نتواصى بالحق راجين أن نقوم بالحق راضين.

سأل سائل رسول الله يوما: (صف لنا ربك)[١]. فتوقف الرسول عن الجواب واستمهل حتى ينزل عليه الوحي بالإجابة. هذه واقعة يسجلها الأثر، ويسجل ملحقاتها التاريخ.. ولكن هذاالأثر لم يكن عند فقهاء المسلمين وفرقهم موضع دراسة، ولا موضع تعمق، ولا موضع تساؤل، ولا موضع تأمل.. لم يعطه فقهاء المسلمين وأئمة الفرق ما أعطوا لماء الوضوء الطهور والطاهر من فلسفة ومن عمق في البحث.. أو ما أعطوا مقعد الحكم من قدسية في النظر.. لم يعطه فقهاء المسلمين ما أعطوا مسح الرأس، أو غسل القدمين، أو تحديد الوجه، أو وضع الشعر في الطهارة من جسد المتطهر، من تتبع ونظر واختلاف أو إجماع.

كيف لا يجيب وهو عبده ورسوله؟! وباسم من كان يتحدث إذن إذا كان لا يعرفه، ولا وصف له عنده، ولا علم له به؟!

لقد أفاض المسلمون على الفقه في الإسلام بالجدل حول توافه الأمور وقصر النظر عليها، حتى إذا ما اتجهوا بالتأمل بعيدا عن توافه الأمور لجوا فيما هو ليس من شأنهم، وما لم يدخل في دائرة وعيهم وأفتوا فيه كأنهم محيطين به. دخلوا مثلا في عذاب القبر، وفي جنة القبر، وفي نار القبر، وليس هذا من اختصاصهم لأنه لم يدخل في وعيهم ولم يدخلوا في قيامه حتى يدخل في قيامهم، منكرين على أهله إدراكهم ووعيهم وهم مصابيحهم. هم ومن يتبعهم لم يحيوا مع الموتى كما أمروا، فهم ما بين تافه عند الله وعند الناس، ومجهول من الأمر عليهم معلوم عند أهله.

أما ما يعني العقيدة، أما ما يعني استقامة الإنسان في العقيدة، وما يعني استقامة المجتمع في العقيدة، فقد كان بعيدا عن تلقيهم واجتهادهم وعلمهم وفقههم لأنه بعيد عن مشغوليتهم واهتمامهم، بعيد عن عقولهم وعلومهم وهم بعيدون عن أهله بينهم.

ومع ذلك فهم أئمة الناس وهم نبراس الناس. نُسي بهم رسول الله وعترته وهديه. ونُسي بهم بيت رسول الله وكتابه ودوامه. أكبروا أصحاب رسول الله أسماء وأوصافا إكبارا بعيدا عن منازلهم مما جعل أصحاب رسول الله أسوة للناس في قيامهم مقام الرسول وما جعلوا إلا قدوة للناس في متابعتهم للرسول. وما جُعلت الأسوة إلا للرسول ومن واصله بمعناه ممن جدده وخلَّفه وأظهره وظهره.. وأحياه وحييه.

لم يجعل الله ولا كتاب الله ولا رسول الله ولا سنة رسول الله من أصحابه قياما يتأسى بذاته أو حقا يُرتضى بصفاته، أو وجوها تبارك بدوامها في تكاثر، أو أمورا تطاع بصلتها في تواصل، ولكن جُعل فيهم مثالية للمقتدي فيما اقتدوا فيه رسول الله فكانوا معنى فيما يفاض من رسول الله. كما جُعل بهم مثالية للملتوي منهم معه في التوائهم عما شهدوا من رسول الله، أو عما عرفوا عن رسول الله بالملتوين منهم معه أو من بعده عن ذلك كله أو بعضه بما أحدثوا بعيدين عن عترته بينهم في تواصل.

لقد كانوا مثالية مبرزة من قانون قدرة الله، وفعل الله، وحكمة الله، ليمثلوا النفس البشرية كيف تهتدي في اقتدائها إذا ما وجدت مهدي الله.. إذا ما تابعت عبد الله.. إذا ما أحبت وأكبرت وجه الله.. إذا ما استمعت وتفتحت آذانها لصوت الله من كلمة الله في عباد الله وكتب الله في أئمة الله لخلق الله.. إذا ما مدت يدها إلى يد الله الممتدة من قلوب عباد الله في دوام وجود عباد الله بدوام

الله.. مثالية للعطشى إذا ما تقدموا لأحواض ماء الحياة، في محبة حكمة الله من حكماء الله إذا ما أبرزهم الله في وجودهم الدائم في وجوده القائم.

هذه كانت مثالية أصحاب رسول الله، على قدر ما عرفوا وعلى قدر ما اجتهدوا لأنفسهم مكتفين بحصيلتهم، متخليين عن مصاحبتهم ومتابعتهم، مختبرين فيما حصلوا. فتقديرهم بقدر ما أصابوا من الخير مقبولا لعقولهم، قائما بقلوبهم على تفاوت بينهم، وعلى قدر ما التوت به نفوسهم بعد غيبة رسول الله منظورا لعيونهم، موجودا لعقائدهم بعيدا عن بصائرهم، مختبرين فيه بعد أن كانوا به المؤمنين وفيه القائمين.. هذه هي مثالية أصحاب رسول الله للمتأخرين.

أما أسوة رسول الله في قيامها وفي دوامها فأمر آخر، وشأن آخر، ووضع آخر. لقد مَثَّل محمد ببشريته للناس رسول الله. وما كان في الواقع رسولا لله مباشرة ببشريته ولكنه كان رسولا من رسول الله ظاهرا لباطن. وما كان في الحقيقة عبدا لله مباشرة ولكن كان في الحقيقة عبدا لعبد الله ظاهرا لباطن. كان مثالية كريمة دقيقة عميقة للإنسان وربه عبدا وحقا في أحدية الله.

إن العبودية في وعيها لمعبودها.. إن الرسول في حمله لأمانة مرسله.. إن العارف في تعريفه عن معروفه.. إن الظاهر في ظهوره من غيبه، لا يتكامل أمره، ولا يستقيم فعله، ولا يُبين وصفه، ولا ينفع علمه، ما لم يتوحد مع مصدره. فالعارف مع المعروف، والرسول مع المرسل، والعبد مع المعبود، والظاهر مع الباطن.. تواحدا تواجدا، بما لا يجعل هناك فرقا بينهما، ولا يجعل هناك وجودا متعددا لهما. فإذا قلنا عن عبد عبد الله: هو عبد الله فما أخطأنا.. وإذا قلنا عن رسول رسول الله: هو رسول الله فما كذبنا.. وإذا قلنا عن الظاهر من الباطن في الله: أنت وجه الله فما انحرفنا.. وإذا قلنا للعالم عن العالم بالله: أنت العالم والمعلوم والعلم فما كفرنا. إن الإنسان في خلقه هو عبد للإنسان في حقه.

إن محمدا كان عبدا لعبد الله الذي هو بدوره عبد لعبد لله. وكان رسولا لرسول لله الذي كان بدوره رسولا لرسول لله. إن محمدا كان ظاهرا لباطن في الله الذي كان هو بدوره، ظاهرا لباطن في الله.

هكذا عرف محمد عبوديته ورسالته في الله. وما عرفها على ما عرفها إلا وقد تواجد له منه ومن قومه ما كان له فيه، على ما كان هو بصلته ووصلته في معلمه، ومربيه، وربه، وإلهه، فقرأ نفسه أسوة للناس. فعرَّفها على ما عرف، وبشرهم بما به شَرُف.

فهل وعى الصحابة من المصاحبين؟ وهل فقه ذلك الفقهاء من المسلمين؟ هل تأدب بذلك المجاهدون من المتابعين؟ هل جعلوه نبراسا لهم ولدعوتهم، بقيامهم الأئمة الداعين؟ هل جدده العلماء من العارفين؟ هل قام به أسوة لدعوة المجاهدين من المصلحين؟ أم أن الناس هم الناس على ما كانوا في عهده عليه الصلوات، التووا من بعده بنو التوائهم في حضرته احتفاظا بالتوائهم في نشأتهم على مخاصمته، بجالهم من أن الإنسان لربه لكنود، ومجالهم أن الإنسان لربه خصيم مبين.

ما بدلوا أنفسهم تبديلا على ما أرادهم وأراد لهم، وإن قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم (أيها المبعوث فينا)[٢] - وما بعثوه -! (جئت بالأمر المطاع)[٣] - وما أطاعوه - ! فما خرجوا من دار ذواتهم بنفوسهم، وما قتلوا أنفسهم بعقولهم، وما حرروا عقولهم بأرواحهم. طغت عليهم دنياهم فأضافوا معانيهم تبعث وتحشر مع أهل الدنيا لا مع رسوله أو الأنبياء، وهم الموتى في عرفهم وعليهم أن يستجيبوا لنداء الرسول لهم أن يعدوا أنفسهم من الموتى ليكونوا من المؤمنين. ولكنهم نصبوا أنفسهم هداة داعين دون أن يواصلوا جهاد أنفسهم مع ذات تكاثر الرسول بينهم سفين نجاة وطريق حياة.

لقد بدأوا له مخاصمين، ثم حدة المخاصمة خففوا مخذولين، فدخلوا الدين طامعين أو مخذولين، وقَلَّ من بينهم الراجون، ثم جاءوا على الدنيا مبايعين، وعلى الآخرة معاملين، فبادلوا على دنياهم بدين، وما لبثوا أن بادلوا على دينهم بدنيا الآخرين. فهم في جهادهم إحدى الحسنيين يطلبون. هذه هي معاملتهم مع رب العالمين في رسول رب العالمين، فوجه الله فيه لا ينظرون فيكشفون جمال الغني عن العالمين، ولا ينتظرون وإليه يهدفون فيرجون، فيصلحون ويعرفون فيرقون، ويحبون فيصفون ويشفون. فدعاة لله بحق يقومون، ووجوها له يَشهدون ويُشهدون.

هذا كان عندهم الدين.. هل كان محمد عاجزا عن أن يجيب السائلين يوم سألوه صف لنا ربك رب العالمين؟! وما وجه ربهم إلا ما يشهدون.. وما ربهم إلا من يسألون.. وما ربهم إلا من يخاصمون ويتجاهلون.. فكيف يصف لهم ربه؟! وقد عرفه يوم وحَده.. ما جهله وما عدده.. ولكنه على الناس في نفسه ما أشهده وفي الناس ما جحده. فإذا هو نشر أمره وكشف خبره على ما عرفه من ورائه ووراءهم محيط لكان هو السائل الذي سأله، وهو ما عرف أنه السائل الذي سأله إلا لأنه المجيب المطلوب أن يجيب على ما سُئِلَه، والسائلون عليه وعلى أنفسهم ينكرونه وكتابهم لا يدركونه.

سئل عليّ ابن أبي طالب عين السؤال.. أوَ رأيت ربك؟ فقال كيف أعبد ما لا أرى! قالوا كيف رأيته؟ سأله سائلون من المؤمنين للمعرفة طالبين وبرسول الله مؤمنين وله مُسلمين، فقال لهم كان رسول الله فانيا فيه باقيا بيننا به فأفنيت نفسي بعقيدة فنائي في فناء رسول الله، فكنت فناء في فناء، فعرفت الموجود الذي لا يلحقه الفناء، عرفته آدم الناس رب الناس من هو من ورائهم محيط، عرفته

أنت وجهه من ورائك محيط، لأني أيقنته وأدركته من ورائي محيطا، ولا وجود لغيره، فردد عبارته المأثورة عنه (وفي فنائي فنى فنائي.. وفي فنائي وجدت أنت)[٤]، نعم أليس الله من ورائهم محيط؟ إني مؤمن بكم وجها لله يا إخواني، فهل آمن الإخوان بجماعتهم وبالناس وجوها له عندهم حتى يكونوا وجها لوجه فيه، والله من ورائهم محيط، فتستقيم طريقهم ونجواهم، وتغدق عليهم من مائها فتفيض عيونهم وقلوبهم بماء الحياة من روح الحياة فيهم؟!

سُئل رسول الله.. كيف عرف ربه؟ فقال لهم ما جاء في الأثر (انعكس بصري في بصيرتي فرأيت من ليس كمثله شيء)[٥]، كما قال (ما عرفني غير ربي)[٦]. إذن ما رأى رسول الله في معاني ربه إلا فناءه في شديد القوى.. إلا في عبد لله أو حق لله رآه نزلة أخرى في مجال من رفيق أعلى أو في مجال له أعلى، رأى بفنائه فيه معناه مرة أخرى فشهد بذلك ربه. ولم يحط وهو الفاني بهذا العبد أو هذا الحق المحيط به، إذ رأى من ليس كمثله شيء. وما ضرب بذلك إلا مثلا لما يكون لمتابعيه معه بمعناه عبدا لله حال فنائهم فيه بدوره وبدورهم.

إن الذي أريد أن أخلص إليه من ذلك كله هو أن أدب الله مع الإنسان، وأدب الإنسان مع الله قديم بقدم الله، وما قدم الله إلا قدم الإنسان فيه. فالإنسان في الله هو من يعرف الله. والإنسان في الله هو ظهور الله. والإنسان في الله هو ظاهر الله. والإنسان في الله هو من يعرف غيب نفسه، وما غيب نفسه إلا إنسان في الله. الإنسان في الله هو قدم الله. والإنسان في الله هو أبد الله. والإنسان في الله هو سرمدية الله. والله في الإنسان هو قرب الله. والإنسان في الله هو بعد الله. وإنسان الله هو عظمة الله. فما عبد الله إلا عبد لعبد لله.. في قانون وجود الله.. في أحد الله.. في صمد الله.. في أزل الله.. في أبد الله.. في سرمد الله.

إن هذا القانون قديم باق قائم لا ينقطع فعله ولا يختفي أثره أبدا. {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها}[٧]، (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[٨]، وظهوره قديم سرمدي.

يا أيها الناس.. ما أصابكم من حسنة وما أصابكم من سيئة.. ما أصابكم من رحمته وما أصابكم من أنفسكم إنما هو من تدبير الله، ومن قدرة الله، ومن إرادة الله، ومن حكمة الله. يا أيها الناس قدروا الله حق قدره، {وما قدروا الله حق قدره}[٩]. يا أيها الناس: اعلموا أن الله بأحديته له شأن، وأن الله بإنسانيته له شأن، وأن الله بملائكته له شأن، وأن الله بشياطينه له شأن، وأن الله بجنته له شأن، وأن الله بناره له شأن، وأن الله بدناه وبأخرياته له شأن، وأن الله بحاضركم من حاضره له شأن، وأن الله بماضيكم من ماضيه له شأن، وأن الله في قابلكم من قابله له شأن.

قل: هو أحد.. قل: هو غيب السموات والأرض.. قل: هو باطن السموات والأرض.. قل: الله ظاهر إنما هو السموات والأرض.. قل: تعرفه السماء في أرضه مخلفا، وتعرفه الأرض في سمائه مشرفا.. قل: هو المعروف بال لا هو، والمطلوب بال هو.. قل: ال لا هو الموصوف.. قل: الهو المنزه عن الوصف.. قل: الله الوجود.. قل: هو قانون الوجود، وما قبل الوجود، وما بعد الوجود، وما الوجود، وما نشأ من إرادته ووجوده الوجود، وما ينشأ في الوجود من موجود.. قل: الله أحد.. قل: إنه اللانهائي في كل أمره، وفي كل شأنه، وفي كل وضع، وفي كل معروفه، وفي كل موجوده، وفي كل مجهوله.. قل: هو اللانهائي عند المفكر فيه والمدبر به.. قل: إن لا نهائيته تجعلكم معناه كما تجعل رمال الصحراء من وجوده ومعناه.. قل: {الله الصمد}[١٠].

قل على ما عرفت، وقل بما شرُفت.. قل بكلك وقل بجزئك.. قل بكلك جزءا. وقل بجزئك كلا. قل بما علمت. قل بما اتصفت. قل بما اتسعت. قل بما توحدت. قل لا وجود إلا للأحد. قل إنك فيه فان والكل فيه فان. قل إنك به باقٍ والكل به باقٍ. قل إنك فيه ميت والكل فيه ميت. قل إنك به حي والكل به حي. قل الكل للأحد والأحد للكل. {قل هو الله أحد}[١١]

قل بما أدركت من أن حاضرك عين قديمك وعين مثاله، وأن قابلك عين حاضرك وعين مثاله. قل هو {الله الصمد}[١٢]. قل إن الأحدية للصمد وأن الصمدية للأحد، قل إن الله عند عارفه هو عين معروفه، وأن عارفه من معروفه هو عين معرفته. قل الله أحد. قل هو عندك فيك بفنائك عنك. قل الله الصمد. قل إن الله الذي هو أحد هو وحده الله الذي هو صمد. قل إن الله الذي لا يقبل التعدد والعدد قبل الإنسان قبلة عبده فيه، وقبلة ذاته منه، وقبلة نفسه، وقبلة حكمته لأمره ولوعيه. قبل الإنسان علما على علمه، وجعل معرفته بنفسه كتاب ربه. قبل الإنسان عنوان فعله وقدرته. قبل الإنسان عنوان جوده ووجوده. قبل الإنسان له روح عوالمه. قبل الإنسان لنفسه عند نفسه. وقبل الإنسان لمعناه عند معناه لا يتعدد به ولا يتعدد معه. قل هو الله أحد الله للإنسان القيام الصمد الله للإنسان الفرد الأحد.

إن أحدية الله لا تعرف إلا للإنسان الذي عَلَّمه الأسماء كلها، واصطفاه واجتباه لنفسه عند نفسه، وخلَّفه قديما على أرض نشأته. علمه في خلافته وأفناه في وحدته، واصطفاه بمحبته، وقربه بأحديته ووحدته بإرادته، وأعلمه بوجوده، وفاض منه برحمته وجوده، فكان الإنسان في الأحد وجه أحديته، وفي الصمد عين وجوده ووحدته. توالد وما وَلد، به الوالد عين الولد، وفيه الوالد وما ولد. وتواجد بما أوجد، به الموجد عين الوجود، وفيه الموجد وما أوجد.

تعارف بعارفه إلى معروفه وما عُرف. وتقادم بموجوده عند وجوده وما قدم. وأحدث بوجوده موجوده وما حدث. خلق فيه الإنسان والإنسان على صورته أمشاجا يبتليه، ثم صبغه بصبغته عبدا يصطفيه، ثم أرسله بوحدته رسولا يرتضيه، ثم رفعه بمنته سريرا يعتليه، فصار قديما يتقادم فيه، وعرشا وملكا كبيرا وما يحتويه، وحقا ونعيما لمن يرتضيه.

الإنسان وهو الإنسان.. هو الإنسان.. هو الإنسان.. والإنسان هو ال لا هو. لا ظهور للحق إلا فيما خلف من إنسان، وفيما أوجد من إنسان، وفيما علَّم من إنسان، وفيما خلق من إنسان، وفيما اختبر من إنسان، وفيما أحكم من أمر الإنسان، وفيما حقق من إنسان. فما عرف الإنسان فيه إلا الإنسان فيه.

إن الإنسانية هي الإنسان. والإنسان هو الإنسانية. والإنسان والإنسانية أسماء وصفات الله، وذكر الله من الله رفيع الدرجات إلى الله ذي المعارج. إن الأحد للإنسان وإلى الإنسان. إن الإنسان بمعنى قدمه قديم الله، وبمعنى وجوده ظهور الله لموجود الله.

فالإنسان في الأحدية لم يولد ولم يلد ولم يكن له كفوا أحد. إن الذي ولد إنما هو آدم ابن السماء والأرض، ابن الطبيعة وثمرتها، ابن المادة وصفوتها، ابن الوجود وعترته. وما تواجد آدم في تواجده، إلا من تواجدكم أنتم. فأنتم أصل لآدم كما أنكم فرع لآدم. إن في تجمعكم وتوادكم وتآلفكم وتحابكم يتواجد آدم. إنكم ذرات صحرائه، والصحراء هي أصل آدم. إنكم لبنات البناء، والبناء هو آدم. إنكم طينة آدم، وآدم بدأ في تعثر هذه الطينة بين يدي ربه، بين يدي الله، بين يدي إنسان إنشائه، بين يدي آدم وجوده.. على ما أنتم.

إن آدم الذي عنه صدرتم ومنه تواجدتم يضمكم الآن بين يديه وإلى صدره ليوجد من نفسه، ليوجد فيكم مرة أخرى من هو على مثاله ومن هو عين حاله، ليخرج منكم مرة أخرى كلمة لله وروحا منه، ليخرج منكم محمدا آخر.. ليخرج منكم عبدا له يكون عبدا لربه على مثال من عبوديته هو لعبد لله، كان به عبدا لله. إنه يحب أن يُعرف فيُعرف به ربه. لا تُغيبوا آدم عن وجوده في وجودكم، ولا عن شهوده في شهودكم. وتعاونوا لتتواجدوه. وعاونوه أن يتواجدكم.

إن هكذا قبلتم، وإن هكذا فعلتم، فالأحد عرفتم، فكان الله أحد، وعرَّفتم على ما عرفتم، فمن عرف الله أحدا في عبوديته بعبد الأحد، بعبد الصمد، بعبد الواحد الفرد، بعبد الواحد القديم الجد، بعبد الله، كان الرسول مولاه.. كان عبدًا لعبد الله وابنا لعبد الله وعبدا لله.. فكان محمدا اسمه، ومحمدا رسمه، وكان في طبيعته وحقيقته عبدا هو عين مولاه.

{قل هو الله أحد. الله الصمد}[١٣]. {لم يلد}[١٤] لأن الموجد ما رآه إلا عين ما أوجد. {ولم يولد}[١٥] لأن ما أوجد لم يرَ إلا أنه عين وجود من أوجد.

إن الوجود هو تعبير الموجد عند الموجود عن وجوده بإدراكه لوجوده.

إن كل موجود لله هو رسول معانيه بالعبودية له. إن كل قائم بالله هو وجه قيومه وقبلة عارفه وأمل طالبه. فإن نادى لبى، وإن ظهر عشق، وإن تحجب طلب، وإن تحدث علَّم، وإن أحب أعلم، وإن خوصم فلنفسه مخاصمه أهلك.

إن الإنسان إذا أصبح إنسانا وعرف معنى الإنسان، فعرف أزلية الإنسان وأبدية الإنسان وسرمدية الإنسان، كان في نفسه لم يلد ولم يولد. وإنه في هذا يدرك عظمة الأحد بفنائه في الأحد بإدراكه عن الأحد، وفي بقائه بالأحد كتابا منه وعبدا له يدرك أن لا شريك ولا كفء للأحد.. وكيف يتواجد كفء للأحد ولم يوجد معه أحد؟!

ما هي أنانية الإنسان؟ أو أين الإنسان فانيا في الأحد قائما به عند نفسه؟ وما هي أنانيته عند مشاهده أو سامعه أو مخاطبه؟ شتان بين الأنانيتين! وإن كانتا وجهين لحق واحد.

{قل هو الله أحد}[١٦]، هذه مرحلة النهاية في القيام بالله. {قل هو الله الصمد} هذه المرحلة النهائية في الوعي عن الله، لا تعبرهما الألفاظ إلى إحاطة، ولا تعبِّر عنهما الموسوعات عن سعة، ولا تدركهما المواجيد في ثياب القيود من العوالم والأكوان. ولا تحيطهما الحياة الفرعية أو الجزئية في كليات الحياة. ولا تلحق بسمائهما الحقائق المتابعة لمشهود من الحق. ولا يتسع لهما العلم بوصفه محيطا بالمعلوم. ولا ينتهي فيهما المرتقى لذكر لا يقنع بمعانيه من الذكر عن المذكور. ولا يتسع لهما الفهم حتى عند طالبي المذكور بقيام الذكر. وهما مع كل ذلك أساس العبودية عند محمد، وأساس رسالته عند الناس، وأساس كتاب الفطرة معه، وخصوصية دين الفطرة به، وأساس قيام الإسلام كلما قامت له قيامة.

إذا قلنا {هو الله أحد} داعين، أو موجهين، أو عاملين، أو قائمين، أو مخاصمين، أمسكنا عن التفصيل والتطبيق. هو الأحد وكفى. ولكن إذا قلنا {هو الله أحد} معلمين كان للأحدية شأن آخر، وللألوهية شأن آخر، وللهو شأن آخر ولـ ال لا هو شأن آخر. وهنا ينصح الرسول عوام المسلمين بالإمساك عن الحديث في ذات الله ويوجههم إلى التفكير في آلاء الله. ويعطي مفتاحا للإدراك المستنير في قوله (الظاهر مرآة الباطن)[١٧] بإسباغ القدسية على الظاهر من وجه أحدية الله ورؤيته مرآة للأقدس من ذات الله في باطن الله، أو غيب الله، أو لانهائي الله بظاهر الله.

إن النظر في آلاء الله من ذات الله يقي من الكبرياء بذات الله في ذات الكينونة للكائنات. وهي عزة الاختبار التي إذا ما قامت في المغرور لفتنته انتهت بصاحبها إلى الندامة، وإلى فقدان معناها، أو إلى اليأس منه. بينما رؤية الآلاء في معاني العبد على الكينونة، وطلب الأكبر والأقدس من الذات بوصف الرب أمر ينتهي إلى المعارج، والاحتفاظ بمعاني القدس للذات العارجة للأقدس بشرف الروح من الروح الأعظم، أمران في ظاهر الإنسان لتعريفهما في باطن الإنسان.

قل هو.. الله.. أحد.. هذا ثالوث من الأسماء، يحملنا التأمل والإدراك في آلائه إلى القول بأنها أسماء لمسمى في حقيقة أمره ولانتفاء غيره. لم يتسمَ ولا يسمى ولا اسم له. لأنه هو. ولأنه ال لا هو.. ولأنه الأحد الذي لا موجود معه، فلمن يتسمى؟ هذا وعي نقف عنده لا يتسع له العلم، ولا يترجمه اللفظ. هو الله أحد وكفى. اللانهائي وكفي!

أما عن علمية الإنسان عليه فمن دائرة آلائه، سواء كذكر قديم أو كذكر محدث، وعلمية الإنسان عنه حقا مرسلا، وعلمية الإنسان فيه خلقا متواجدا، وعلم الإنسان به عن نفسه عَلما عليه بوجوده لوجوده عبدا وكتابا له عليه بحقه جمعه وقرآنه.. فهذا أمر آخر وشأن آخر، وهذا ما يدور فيه الدين قياما، وتأسيسا، واتباعا، وبيانا.

(الله الصمد - لم يلد ولم يولد - ولم يكن له كفوا أحد).

إن صدر هذه الكلمات {الصمد} هو تعريف لوصف في المعروف الأحد بالثبات وعدم القابلية للتغير، وعجزها إنما هو نفي علم عن المعلوم الموصوف عند الإنسان المخلوق بأوصافه فيه، بسبب الروح المداني، المقارب، المترفع المتعالي، روح الحياة فيه من الأحد. تعالى روح الله عما يصفون، وإن تدانى به لله لطيفا إلى ما ينكرون ويجحدون من أمر أنفسهم في ذواتهم، الله معهم أينما كانوا وأقرب إليهم من حبل الوريد ما وجدوا، ومن ورائهم محيط ما تواجدوا في دوام قيام لا يتوقف ولا يتعطل، ولا يحدث ولا ينقضي. صورته الثبات والصمدية بروحه بلطيفه.

هذا ال الله الذي أتى الأرض فقدر فيها أقواتها في يومين، والذي استوى إلى السموات فسواهن في أربعة أيام ثم استوى إلى العرش إنما هو الإنسان في علميته عليه في أحديته. {أوَلم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[١٨].

إن الله يصطفي لذكره وفعله من عباده من يشاء، في بيوت أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه هي قلوب رجال.. يتكونون من لبنات البشرية ليكونوا أوادم استوائه، وعروش ممالكه، لبنة لبنة في دورة لآدم

صعودا وهبوطا، وإن الله يهدي بالإنسان من يشاء إلى الإنسان، بيوتا أذن أن توضع، بها يهدي، ومنها ترفع لبنات البيوت التي أذن أن ترفع، وإليها يهدي شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

الله الصمد في فعله. الله الصمد في قيامه. الله الأزل في وصفه. الله الأبد في اعتقاده. الله السرمد في قدسه. الله الصمد. (ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[١٩]، وهو الظاهر في وصفه عنده على ما اتصفه. فالإنسان فيه بمعنى الإنسانية لم يولد لأنه قديم بقدمه، ولم يلد لأنه باق ببقائه، ولم يكن له كفوا أحد لأنه وجود ملتئم متحد مع وجوده. الإنسان فيه عينه.. الإنسان فيه وجهه.. الإنسان فيه قيامه.. الإنسان فيه وصفه.. الإنسان فيه يده.. الإنسان فيه بصره.. الإنسان فيه سمعه.. الإنسان فيه قديمه وجده.. الإنسان فيه أنفه وإدراكه وحساسيته.. الإنسان فيه ظهوره له.. الإنسان فيه بطونه عنه.. الإنسان فيه كل شيء.. الإنسان فيه حضراته وجماع حضراته.. الإنسان فيه الصمد الذي اتصف بوصفه أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. الإنسان فيه أوجد نفسه بنفسه - إذ هو عمل نفسه - فلم يولد.. وأفنى من أحب في نفسه، أو فنى فيمن أحب نفسه فتواجد ولم يلد وتواجد ولم يولد. الإنسان فيه أخرج نفسه من العدم إلى الحياة، ومن الفناء إلى البقاء، ومن التقييد إلى الإطلاق، ومن العجز إلى القدرة بصلته وتكاثره بصلاته لا يتوالد وإن ولد.. الإنسان بوحدته فيه ليس له كفوا أحد.

عرَّف الإنسان أخاه الإنسان عن ربه الإنسان، وتأدب الإنسان الرسول مع ربه الإنسان المرسل إذ أنكر على نفسه وصف ربه عند أخيه المرسل إليه، وذلك أبدا وأزلا. فتأدب معه ربه وزاحمه على أدبه فزحمه متزاحما عند المرسل إليه من الإنسان على إبرازه لنفسه. لقد عرف الإنسان الرسول نفسه عبدا للإنسان المرسل، كما عرف عبودية ربه في الأحد للإنسان الأكبر، فعرف أن العبودية فيه إنما هي ربوبية الرحمة للمرسل إليه، وأن الربوبية عليه هي عبودية لعلام الغيوب فيه، فرغب عن الربوبية فيه إلى معاني العبودية له يرجوها لعلام الغيوب.

إن الإنسان هو الله، ولكن الله ليس هو الإنسان. الإنسان يفنى في الله موجودا ليكونه، والله يفنيه عنه ليظهره. ولكن الله لا يفنى في الإنسان ولا يتواجد به. ولذلك أنكر الرسول وهو الإنسان على نفسه وصف ربه فقال {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا}[٢٠].. أخرجني من الخصام إلى السلام معه وعنون بي معاني السلام منه في السلم معه، فالسلام عليَّ منه، والسلام مني على من دخل فيَّ. وعنون السلام وأوصاني بالصلاة صلة بيني وبينه، وبيني وبين من دخل مسجده في قلبي. وهكذا كانت كلمة الله بادئة بعيسى حتى

تمت بحمد الله.. كلمة تمت بين الناس ببيت موضوع على مثال من قديم في أزل الله بالبيت المرفوع لآدم.

فكان العبد عبدا لعبد، والعبد عبدا لعبد في إنسان ال لا هو. وبذلك عرف الله في تعريف عبد الله عن ربه وهو عبد لله ورفيقا أعلى معرفة تتواصل ولا انتهاء لها، فتزاحم العبدان أو تزاحم الربان أو تزاحم الحقان على التواضع، أحدهما للآخر عند عباد خلقه. فقال العبد الرسول آمنوا بمرسلي فهو ربي وربكم. ولم يذكر أنه عين وصفه ومعناه، وأنه وجهه ومجلاه، فنزهه بوصفه عن نفسه بوصفها، وما عرفه إلا في معرفته لنفسه عين نفسه قاب قوسين أو أدنى، فتحدث ربه عن طريقه إذ حمَّله أن يحمل أدبه وتواضعه بدوره لعباد خلقه. ({يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته}[٢١]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}[٢٢]، {هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢٣]. إنك الكل والكل لي ساجد وأنت المتقلب فيما أشهد في كل من سجد. {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[٢٤] وأنت عبدي، أنت كل من في السموات والأرض.. كنت منك قاب قوسين لا بل كنت منك أدني من ذلك (لا فرق بيني وبينك)[٢٥].

قل لهم بلساني- وقولك قولي وبياني - لا معرفة بي، ولا علم عني، ولا قيام بي، ولا وصلة معي، ولا وجود في وجودي، إلا لمن آواه اليتيم الذي أرسلت رحمة مني، فآوى يتيمي في نفسه، وجدده بنفسه فكانه، فكان يتيما عن الدنيا وعن الآخرة، وعن التراب وعن النور، فآويته إلى نفسي ونفخت فيه من روحي، فكان ذا مقربة. وكان الدين والقرآن، وكان اليقين. {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}[٢٦]، يوم نقرب كل قوم ببيتهم كما فعلنا بإبراهيم فجعلناه أمة قانتا لله حنيفا. وهو ما لمحمد عندنا إمام أمة من الشهداء على الناس، على سنن من سبق بآدم تكاثر بنا إلى عديد من الأوادم بكلماتنا، وعلى سنن من لحاق نفعله بالناس.. فأمم خلت بهذا السنن لها ما كسبت، وبكم أمم تتجدد لها ما كسبتم، ومن بعدكم أمم تقوم بسننكم وبسنن سبقكم سوف يكون لها منا ما كان لكم، وهو ما كان لمن كان من قبلكم.

فيا عبدي.. ذكر خلقي بقربي وأسمعهم وأبصرهم بما صنعتك على عيني وخلقتك بخلقي. درِّكهم فيك بعظمتي وقد جعلتك لهذه الأرض راعيا، ولأهلها معلما، ولأبنائها أبًا، وجعلتها لك مسجدا. أسرِ فيها بنوري الذي أنزلت معك، وابعث أوادمك بها من قبورك، خالدين بك بما جعلت لك مما لم أجعل لأهلها من قبلك بغيرك. فقد غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ووضعت عنك وزرك، وأظهرت بك أمري في أمرك، وجهري في جهرك، وسري في سرك وحقي في حقك. {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٢٧]، فقد طهرت الأرض لك، فأنت بي صاحب القعدة، بها تتكاثر وفي أهلها

تتناثر، فإليك حجيجها وأنت قبلة صلاتها. خلالك يبعث أوادمك من الآباء ليكونوا في بيتك أوادمك من الأبناء، بيتا موضوعا للناس، منه ترفع بيوت بأوادم للناس، شجرة طيبة أصلها بك ثابت، وفرعها بك في السماء متصاعد.. بك تتخلص أوادم سبقك من أوزارها، ببعثها من بيتك، أوادم بنوة بأرواحها.

ها أنت تدب على الأرض عبدا وحقا في عالم البدء والظلام بين عوالم من الأشباح في نوم الغفلة والقطيعة عن عوالم الأرواح، بينهم تبقي متكاثرا وقد غفرت لك ما تقدم من تواجد لك بالآباء والأمهات، وما تأخر من تواجد لك بالأبناء والأحفاد، وما هو قائم لك من تكاثر بالأزواج والأبناء في بيتك بالمؤمنين والمؤمنات. رفعت لك ذكرك في العالمين، ورفعت لك ذكرك بين أهل حضرتي من حقائقي، ورفعت لك ذكرك في عوالم الناس من خلائقي، ورفعت لك ذكرك ما ذكرت عندك من ذاكر، ورفعت لك ذكرك ما ذكَّرت بي عند طالب. إني بك أسمع للناس وبك أُسمعهم. إني بك أُلبي الدعاء من الناس وادعوني إليهم. وإني بك أُجيب النداء من الناس وناديني منهم. وإني بك امتد بنوري معك في الناس وأحياهم. إنك ذكري ولست غيري. لا وجود فيك لغيري. إني لأمتك كلك ولست كلي فاستقم كما أمرت عبدي ورحمة مني.

هكذا يتكلم رب محمد محملا محمدا أمانة إيصال حديثه إلى الناس حتى يعلم الناس حكمة رب محمد في إظهار محمد عبدًا له ورحمة منه. وما كان محمد إلا عبدا لعبد لله في أحديته، ولكن محمدا إذا لم يكن في أحاديثه مفصحا إلى أن عبوديته لعبد في أحدية الله فقد أشار لهذا بأخوة جبريل وخلة الرفيق الأعلى قاصدا الأحدية بلفظ الله، لأنه علم أن العبودية لله لا تُعدد الله، ولا تُعدد العباد له في المقصود الأحد، ولا يَغيب تعددها عبده عن الموجود المنفرد، ولا يخط بها عن مظهر الغيب عباده. فهي الهو.. وهي ال لا هو، وهي وجه الأحد. إنها ظاهرة بكتاب الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لاستحالة الكفء باعتقاد الوجود الأحد.

إن محمدا عرف ذلك فقال إنه رسول الله لأنه يستحي أن يعدد ربه برب له، وهو مظهر الأحدية له فيه، وتأدب مع الأحدية عن وصفها بالإنسان وهو وجه الأحدية - عند الإدراك وعند العيان -فكان هو معنى أدب الإنسان مع إنسان ربه من الأحدية. وكان القرآن بما كشف من أمره هو عين أدب إنسان الله مع إنسان عبده. إن من أدب إنسان الله مع عبده الإنسان وصفه لنفسه بأوصاف الإنسان، ومن ذلك قوله {الرحمن على العرش استوى}[٢٨]، وهو يقول {وسع كرسيه السموات والأرض}[٢٩]. فما هذه إلا أوصاف صمدية فعله بإنسان الربوبية على إنسان العبودية، في إنسان الله بإنسان الله إلى إنسانية الله من إنسان الله إلى ما لا نهاية.

إن الذي ننتهي إليه من ذلك أن الدين هو أدب الإنسان مع ربه.. وأن اليقين هو إدراك أدب الرب مع عبده. وإذا تأدب الرب مع عبده عجز العبد عن الأدب مع ربه.

{إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري}[٣٠]. إن الذي خاطَب موسى بهذا إنما هو عبد الله وإنسان الله الذي يخاطب كائنا أو شيئا لم يستقم بعد على مراد الله به، لم يدرك أحدية الله، لم يقدر الله حق قدره. فلما درَّكه الأحدية وأعده لها بقوله اُنظر إلى الجبل، قال تبت إليك وأنا أول المؤمنين.. فما كان أول العابدين. ولكنه كان أول المؤمنين لعبد من الحقائق في معاني الأول بوصفه إنسانا لله، وذكرا له.

ما خاطب موسى وهو ذكر محدث إلا إنسانه القديم، إلا الذكر القديم فصبغه بصبغته الإنسانية فأدرك الوحدانية فقال: تبت إليك، تخليت عني إليك، وأنا أول المؤمنين. تزاحم الرب والعبد على الأدب لله في أحديته فزاحم الرب عبده فنطق به فقال إنني أنا.. وما هو إلا العبد الناطق بربه فكان حال الرب ما أنا إلا عبدي، وكان حال العبد ما أنا إلا ربي. إنني أنا الله. وإن العبد لي إن صحت عبوديته كان في أحديتي وجهي، وكان للناس عين معناي. فلما أفاق موسي من صعق وحدانيته معه قال: نعم آمنت بك يا وجه الله.. آمنت بك يا عبد الله.. وشرف لي أن أكون أول المؤمنين. آمنت بك يا إنسان الله وأنا أول من آمن بك يا أحدية الله.

هذه هي معاني العبودية لله ومعاني الإيمان بالله في الإيمان بعباده. إنها معانٍ راقية سامية. هذا ما جاء به دين محمد. وهذا ما جاء به محمد. فهل عرفنا محمدا فعرفنا ربه؟ هل عرفنا أنفسنا في محمد فعرفنا أنفسنا بمحمد فعرفنا محمدا؟ إنا نجهل محمدا فنجهل أنفسنا، وبجهل أنفسنا نزداد جهلا بمحمد وبرب محمد.

إننا إذا أردنا أن نكون عبيدا لمن كان له محمد عبدا، فلن نكون كذلك إلا إذا طلبنا أن نكون لمحمد عبد الله عبادا مؤمنين لوجه الحق به، فنكون مُحدث عبد لقديم عبد، ومحدث ذكر لقديم ذكر، وحاضر أمر لسابق أمر. إن عرفنا ذلك، وتعارفنا عليه، وتواضعناه، وتواصيناه، وتحابيناه، وتطالبناه، وتعارفناه، كان منا أمة لمحمد يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله ويدعون إلى الله.

نسأل الله أن يهيئ لنا السبيل، وأن يحيينا بهذا الأمر الجميل، وأن يجعل محمدا فينا نعم الدليل، وأن يجعل محمدا لنا قياما، وأن يجعلنا به رحمة وسلاما يكفر به سيئاتنا، ويصلح به بالنا.. أمة لمحمد كلها محمد.

عباد الله.. إنكم تشهدون في هذه الأيام قسوة الإنسان على الإنسان بجهل الإنسان بنفسه، وجهل الإنسان بالإنسان. إن الإنسان بوضعه يقوم باسم العدل، وهو ظالم يقتل أخاه الإنسان الذي يطلب الحرية وهو متظلم. ألا استجاب لشكواه.. ألا عالجه بحكمته إن كان حاكما حكيما، وبإجابته إلى ما له إن كان حاكما عادلا، فإذا تعجل أمره عالجه باستمهاله إذا كان حاكما رشيدا حكيما.

إن الله جعل من الإنسان ربا للإنسان بأبوة علم أو سلطان، وجعل من الإنسان عبدا للإنسان في عبوديته للرحمن، وجعل من أحديته من ورائهما محيطا لكل منهما الأمان والضمان. وطلب إلى الوجه الأعلى أن يرى الله في الوجه الأدنى وما دون الوجه الأدنى. وطلب إلى الوجه الأدنى أن يرى الله في الوجه الأعلى وفيما فوق وجه الأعلى، وأنه بذلك يستقيم الإنسان في حاضره، وتستقيم الحرية في مجتمعاته، ويستقيم الأمن في أمته، ويستقيم التعاون والتراحم في إنسانيته، ويستقيم التعاون والتراحم في إنسانيته، وتتزين به وبعدله وبرحمته ربوع أرضه لتبدل سماء لعوالمه.

هذا هو الإنسان في هذه الأرض وعلى هذه الأرض يعالجه الله حكيما من بدء نشأته، ويعامله رحيما في كل أوقاته وفي جميع حالاته، ويأخذ بيده في كل غاياته عادلا أو ظالما أو مظلوما حتى يعلمه الحكمة، حتى يعلمه الحياة، حتى يعلمه القدس، حتى يوجده النور من الظلام، وحتى يوجده الروح من القبر، وحتى يوجده الحياة من الوجود.

هذا هو الإنسان، وإن الله لظاهر له فيه يوما، وإن الله لمتقلب فيه عليه يوما. وإنه لمفيق لنفسه في إفاقته إلى ربه له في نفسه يوما. إنه ليس غير الله. إن الله لا يخاصمه أبدا ولكنه هو الذي يخاصم الله بغفلته ما ظل غافلا. إن الله يسالمه ويعالجه ولكنه لا يسالم الله. إن الله لا يحاربه ولكنه يحارب الله. إنه يحارب الله في حربه مع الإنسان، ويخرج عن مسالمة الله في خروجه عن مسالمته للإنسان. إن الإنسان هو المتصف بذلك كله ظالما أو مظلوما، عادلا أو عادلا عن العدل، حكيما أو منحرفا عن الحكمة. وإنه متطور في مفرداته، ومتطور في جماعاته، ومتطور في إنسانيته، ومتطور في قيامه، ومتطور في وحدته وأحديته.

نسأل الله أن يدخلنا في لا إله إلا الله وأن لا يخرجنا من لا إله إلا الله، فنحن بلا إله إلا الله نقوم ونحن بها ننجو. نسأل الله لنا ولكم جميعا ذلك ببركة الرسول وسائر الرسل، وببركة مرشدنا وسائر المرشدين فيه في معاني عينه، ومعاني أصله في لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(أو تظنون أن الفرق بين أتقى رجل في عالمكم ومن ترونه أفسد رجل فيه له وجود جسيم في روح الحياة العظيم اللانهائي؟ إنه معهما، وإنه يرعاهما، وإنه لهما، وكلاهما لم يخرج عن قيادته ولم يقم خارج حكمته، ولم يعبث بمحيط إرادته).

عن هدي السيد المرشد سلفر برش

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" أنَّ اليهود جاءوا رسول الله اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ وسألوه "صف لنا ربك"، فأَنزلَ اللَّهُ تعالى سورة الإخلاص. كما جاء الحديث بلفظ : "انسب لنا ربك." أخرجه أحمد مختصرا، والترمذي باختلاف يسير.

٢ من النشيد المعروف الذي استقبل به الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة.

٣ نفس التعليق السابق.

٤ من أبيات شعر للإمام عليّ بن أبي طالب:أَحَطتَ عِلماً بِكُلِّ شَيءٍ فَكُلُ شَيءٍ أَراهُ أَنتاوَفي فَنائي فَنا فَنائي وَفي فَنائي وَجَدت أَنتا

٥ حديث شريف يذكره الصوفية وبعض العلماء: لَيْلَةَ عُرِجَ بِي اِنْتَسَخَ بَصَرِي فِي بَصِيرَتِي، فَرَأَيْتُ اللهَ! رَأَيْتُهُ فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدَ فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كَتِفَيَّ، فَشَعُرْتُ بِبُرُودَتِهَا عَلَى ثَدْيِي، فَقَالَ: " يَا مُحَمَّدُ: أَلاَ تَرَى فِيمَا يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ " قُلْتُ: " أَنْتَ رَبِّي أَعْلَمُ، فَعَلَّمَنِي عِلْمَ الأَوَائِلِ وَالأَوَاخِرِ وَأُوتِيتُ ثَلاَثَ عُلُومٍ: عِلْمًا أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ، وَعِلْمًا خُيِّرْتُ فِي تَبْلِيغِهِ، وَعِلْمًا نُهِيتُ عَنْ تَبْلِيغِهِ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُطِيقُهُ أَحَدٌ غَيْرِي". وهو حديث يوصف من جانب علماء الحديث بأنه موضوع.

٦ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتّاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي."

٧ سورة البقرة - ١٠٦

٨ مقولة صوفية.

٩ سورة الأنعام - ٩١ ، سورة الزمر-٦٧

١٠ سورة الإخلاص - ٢

١١ سورة الإخلاص - ١

١٢ سورة الإخلاص – ٢

١٣ سورة الإخلاص - ١:٢

١٤ سورة الإخلاص - ٣

١٥ سورة الإخلاص - ٣

١٦ سورة الإخلاص - ١

١٧ إشارة إلى مقولة من خطبة للإمام عليّ ـ كرم الله وجهه ـ:"...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

١٨ سورة الرعد - ٤١

١٩ مقولة صوفية.

٢٠ سورة مريم - ٣٠ - ٣١

٢١ سورة الحديد - ٢٨

٢٢ سورة الأحزاب - ٦

٢٣ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

٢٤ سورة مريم - ٩٣

٢٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٦ سورة الإسراء - ٧١

٢٧ سورة الإسراء - ٨١

٢٨ سورة طه - ٥

٢٩ سورة البقرة - ٢٥٥

٣٠ سورة طه - ١٤

(١٩)

لا أنا ولا أنت ولا هو
ولكنها الحياة وذكر الله

حديث الجمعة

٥ رجب ١٣٨٠ هـ - ٢٣ ديسمبر ١٩٦٠ م

أنا.. أنتَ.. هـو.. أنا.. أبي.. جـدي

أنا.. أنتِ.. هـي.. أنا.. أمي.. أبـي

ثلاث ضمائر في ثلاث ضمائر.. ثلاث خلائق لثلاث حقائق.

هذا الثالوث من الضمائر ومن الخلائق ومن الحقائق يجتمع في كائن واحد هو الإنسان، هو عبد ورب وغيب. عبد في المتحدث بأنا، رب في مخاطب بأنت، غيب لمعروف بهو.

أنا.. أنت هو.. هـو.. أنت أنا.. أنت.. هو أنا.. {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك}[١]، إن فنى مما عليها كل ما غيره وبقي عليها كل ما وجهه. تخاطب من عليها أنا هو أنت. وأنت هو أنا. وأنا وأنت هو. وهو أنا وأنت. تعارفت القلوب إلى القلوب وتعارفت الضمائر إلى الضمائر، وعنون الناس رب الناس، وقام الناس برب الناس، وكان الناس إله الناس. إلى ربك منتهاها. توحد الناس فتوحد الله، إن توحدوه فوحدوه، فقام ما جاء من الحق {قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس}[٢]..

ما عرف الناس من ربهم مجهولا، وما عرف الناس من ملكهم مجهولا، وما عرف الناس عن قدسهم مجهولا، فرب الناس بين الناس وفي الناس، وملك الناس على الناس ومن الناس، وإله الناس في الناس وفوق الناس وبين الناس.

يا من نسوا أنهم الناس، وعرفوا أنهم في رب الناس ومن رب الناس.. يا من عرفوا أنه الناس وأن فيهم رب الناس.. احمدوا الله رب العالمين مالك يوم الدين، واعلموا أنه يأتي الأرض ينقصها من أطرافها، وأنه يرفع إلى معانيه بيوتا منها. خاطبوه في أنفسكم حاضرا لا غائبا. قولوا له إياك نعبد وإياك

نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. فهو قائم على كل نفس بما كسبت، ومن وراء كل نفس محيط، وأقرب إليكم من حبل الوريد. إنه يلحقكم ويتخللكم بلطيفه ويستخلفكم بتنزيهه وتشريفه.

ليس في داركم ظاهر معنى للنعيم. فما أنعم في داركم بنعمة إلا في القلب.. لا تدرك، وعلى القالب لا تظهر، وبه لا تقوم، فكيف نشهد منحة الله في المنعم عليهم من الله إلا في تحسس وتلمس ما في الناس من تخلق بأخلاق الله. أخفاهم في الناس؟

إن رسول الله ما كان أسوة للناس يتأسون بها وقدوة للناس يقتدونها لأنه في ظاهره من الجسد، أو فيما يظهر على جسده مما في قلبه، ظاهرا بما يغاير الناس، وبما يميزه عن الناس بين الناس. ولكن الذي ظهر به إنما هو حسن الخلق.

فأنت في حاضرك إنما تقوم في هذا الحاضر بأنانيتك. فأنا منك هو حاضرك وأنت منك هو ماضيك، وهو منك هو مستقبلك.. إن الرحلة من ماضيك إلى مستقبلك عبر حاضرك. فإذا لم يسجد ماضيك لحاضرك ما سجد حاضرك لمستقبلك.

لقد تحدثت إليكم كثيرا أن الإنسان عبد ورب في نفسه، وشرف عبده في نفسه لا يقل أبدا عن شرف ربه في نفسه - إن لم يزد -. إن العبد والرب فيك يجمعهما أنا واحد هو معاني الإنسان إذا كانت لك في أنانيتك. إذا كان ماضيك حقيقة، هو الرب في الحقيقة كان حاضرك هو العبد. وإذا كان ماضيك حقيقة هو العبد في الحقيقة كان حاضرك هو الرب. فإذا كنت بحاضرك وماضيك عبد ورب، أو رب وعبد كان مستقبلك هو الإنسان الذي يجمع معاني العبد والرب.

أما إذا كان ماضيك لم يقم فيه معاني الرب أو العبد وطلبت معنى الإنسان المستقيم لمستقبلك، فيجب أن تُسجد هذا الماضي لأنانية الحاضر المقيم المقوم حتى تهيئ السبيل لبعثه في المستقبل بمعان في الإنسان الجامع الذي ترجو بمعاني العبد، وتهيئ للحاضر ارتقاء السلم بمعاني الرب.

هذا الذي أقول ما يُدَرِّكه لنا القرآن في عبارات صريحة وهو يقول {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[٣]. ويضرب مثلا لفعله وهديه فيقول لرسوله: {واتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق}[٤]. إن آدم بالحق أحاط بآدمين نشآ منه، وقام بآدمين أنشأهما له. وأنشأهما فيه ليعلم وليتعلم وليُعلم بما عَلم. اضرب لهم مثل ابني آدم بالحق.. إن آدم تُوفى بالحق، وقام في الحق، إنه تلقى من ربه كلمات فتاب عليه ثم اجتباه إليه ربه وهدى، فأصبح آدم بالحق.. وقام فيه كلمتان.. قام فيه شجرتان.. كانا فيه ولدان.. كانا فيه آدمان قدما لربهما قربانا.. قدما لأبيهما من العمل ما يرونه صالحا، فرآه من أحدهما صالحا مقبولا بما هو متكشف له من طويته محيطا به، ولم يره من الآخر صالحا وقد كان عين العمل وصورته. فكتم

حكمه وأضاف الحكم إلى غيبه فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر لأنه وإن أظهر ما أظهر أخوه إلا أنه أبطن غير ما أبطن أخوه.

كلنا يريد أن يكون آدم الحق.. ألسنا أولادا لآدم؟! وقد كرم الله أبناء آدم وبشرهم أنه آخذ من ظهورهم ذريتهم ومشهدهم على أنفسهم وجاعل منهم العبد والرب، ولكن الآن من أي الولدين نبتنا؟ وفي أي الولدين تجددنا؟ كلنا أحفاد لآدم ولكننا أبناء لمن لم يتقبل منه.. ألم يتصارع الولدان! ألم يتشاجر الآدمان! ألم يقل أحدهما لأخيه: إن مددت يدك إليَّ لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين؟ وامتدت يد أبينا إلى أخيه فقتله. أمر قامت به فطرة القتل بين أحفاد آدم حتى يبعث لهم أبوهم بالسلام بينهم. بقي القاتل يتزوج ويلد، وذهب المقتول إلى عالم جديد.. في لباس من خلق جديد. ذهب المقتول وهو المرضي عنه إلى الراضي عنه.. إلى أبيه، لجدده فيه. فتجدد آدما فيه، آدم بالحق، فكان بذلك قانون الحياة من الموت. كل من ثكل نفسه، كل من قتل نفسه فقد أحيا الناس جميعا. كل من قتله أخوه في صراع على الحق، ذهب فيه شهيد الحق. رجع لآدم بالحق، فتواجدت الأرواح في آدم الحق أوادم حق، وتكاثرت الأشباح على الأرض في عالم الظلام أهل ظلام.. لا يغير الله ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وبذلك كانت الأرض دار عمل واختبار وتغيير لقتل النفس وإحياء القلب، وتطوير الذات، لمن لا دار له، ولمن لا مال له، ولمن لا رب له.

وبذلك قال رسول الله، (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)°مشيرا إلى أنكم بذواتكم التي تدبون بها على الأرض ما أنتم إلا تكاثر هذا الابن العاق الذي لم يقبل عمله وولده، ولم يحسن في الله أصله وأنتم عمله وأصله. اقتلوا أنفسكم ليتوب عليكم وعليه بكم، موتوا قبل أن تموتوا، موتوا عن أنانيتكم لتتحرر أرواحكم وتترمل نفوسكم، فتعودوا إلى أبيكم بالحق متحررين طلقاء من أوزار ذواتكم. إن سوءتكم إنما هي أنانية نفوسكم فداروا سوءتكم بقتلها في مقبرة ذواتكم.

إن الذين لا يقتلون أنفسهم ولو كانوا الأنبياء لا يعرفون طريقهم إلى الحقيقة، ولا يعرفون طريقهم إلى الإنسان، ولا يعرفون طريقهم إلى آدم بالحق. وما هي أنفسهم التي يقتلون؟ أذواتهم التي بها يكسبون؟ ونارهم التي بها يتحركون؟ وعقولهم التي بها يدبرون؟ لا يا سيدي.. إن نفوسهم التي يطلب منهم أن يقتلوا إنما هي ماضيهم، إنما هي نسبة أنفسهم في حاضرهم إلى أنفسهم من ماضيهم وهم مواليد الفطرة اليوم. فما كان ماضيهم إلا الشيطان، وما كان ماضيهم إلا الغفلة والنسيان، وما كان ماضيهم إلا الزور والبهتان. ما كان ماضيهم من العرفان، ما كان ماضيهم إلا النكران. لم يكن ماضيهم كمال الإحسان أو شيئا من الإحسان. أليسوا هم عمل ذلك الابن الذي لم يقبل منه عمله؟ أليسوا

هم أبناء ذلك الابن أصل الأسرة في بني الإنسان والقاتل لأصل الفدية في أبنائه؟! أليس أبوهم مصدر الأثرة القاتل لمصدر الغيرية؟

أليس هذا مدركا لهم في غرائزهم، وفي صفاتهم، وفي أحوالهم، وفي بصيرتهم، وكل نفس على نفسها بصيرة وإن أبدت عن سوءاتها معاذير؟ إن الماضي يشعر بملكيته للحاضر ويراه عمله، وهذا ما عناه عيسى من عبارته: هذه الدار مملكة الفتان أو مملكة الشيطان، وقد تمثل الماضي في العاق من الولدين، ولكن هذا الماضي له ماض كان هو عمله أيضا. إن الحق لا يتصف بصفات الماضي ولا بصفات الحاضر أو المستقبل. وبذلك كانت دعوى الماضي بملكيته الحاضر نقصا في الوعي، كماله إدراك استمرار الماضي في عالم الحاضر لمواصلة العمل أو تجديده لإعطاء الفرصة للجديد لتحقيق ما فات القديم.

إن قتل النفس إنما هو قطع حاضر النفس من شجرة ماضيها بمولد الفطرة اقتلوا أنفسكم، {فصلِ لربك وانحر}[٦]، لا تواصلوا التواجد مرتبطين بالشجرة الخبيثة التي ستجتث من فوق الأرض يوما فما لها من قرار. ازرعوا أنفسكم في الشجرة الطيبة المباركة التي لها البقاء على الأرض والتي فرعها في السماء. تابعوا رسل الله، لبوا نداء الله من أنفسكم، اقرأوهم كتب الله بينكم، اقرأوها كلما جاءتكم في ذكر محدث من ربكم، رسولا من أنفسكم قتل نفسه وزرع نفسه.. قتلها وقطعها من ماضيها من سوءة أصله المادي وإن صلح، وزرعها في الشجرة الطيبة رآها في الروح المستشهد فأمسك بها، وتعلق بها، وزرع نفسه فيها، فكان غصنا منها امتد إلى السماء، قطوفها له دانية وارتد إلى الأرض قطوفها به دانية...

رأى الحياة جنتان، رأى الحياة جنانا في جنان من جنان.. ورأى العذاب والفناء والعدم في الحرمان. استيقظ فأذَّن لليقظة وصَلَّى بالصلة فأذَّن للصلاة. لبى النداء فعرف المنادي، فنادى. نادى للصلاح. نادى للفلاح. نادى للحجيج.

أذن في الناس بالحج.. فلبته السموات، واستجابت لندائه الأرواح قبل الأشباح. إنه ابن الروح، وابن روح الروح قبل أن يكون ابنا للأرض. إنه ابن الحياة، وابن حياة الحياة. إنه الحياة. إنه الإنسان وابن الإنسان. إنه آدم وابن آدم. إنه إنسان آدم وآدم الإنسان. إنه الآدمية. إنه الإنسانية. إنه الروحية. إنه الروح. إنه السبوح. إنه الإنسان. إنه ابن الإنسان. إنه عبد الرحمن. إنه وجه الرحمن. إنه عبد الله. إنه ذكر الله. إنه خلق الله. إنه وجه الله. إنه الحق من الله. إنه روح الوجود. إنه سر الوجود. إنه رسول المعروف الموجود...

هل أدركت طلعته؟ هل دخلت مدينته؟ هل عرفت رسالته؟ هل استقبلت قبلته؟ هل طرقت منه فيك بابك؟ هل كشفت عنك منك عنه حجابك؟

إنه أنت.. إنك هو.. إنه أناك.. إنك أناه.. إنه عبد الله.. أنا.. هو.. أنت. أنت.. هو.. أنا.. هو.. أنا.. أنت. هو وأنا فيك أنت. أنا وأنت فيه هو. هو وأنت في أنا. أنا وهو فيك أنت. لا أنا ولا أنت ولا هو، ولكنه ذكر الله فينا، وذكر الله لنا، وذكر الله بنا. ولن يُعرف ذكر الله لنا ما دام فينا أنا وهو وأنت...

فلا حاضري، ولا ماضي، ولا مستقبلي.. ولكنها الحياة..... تناسى ماضيك بأنت، وتناسى حاضرك بأنا، وتناس قابلك بهو، واذكر الحياة. إن الحياة تجمعك بماضيك وحاضرك وقابلك. اعرف الحياة تعرف ماضيك وحاضرك ومستقبلك. اعرف الحياة تعرفك الحياة. وإن عرفتك الحياة عرفت الحياة. فلا حاضر ولا ماضي ولا مستقبل لك.

إنك يا أخي. إنك يا أنا. إنك يا هو. إنك في هذه الدار وفي هذه الحياة، تحيا وأنا معك وهو معنا فيما قبل الحياة.. ولا أقول نحيا أو أحيا أو يحيا، بل أقول نتواجد فيما قبل الحياة.. لا ولا أقول نتواجد بل أقول نحيا فيما قبل التواجد. لا أدري ماذا أقول إلا أن الحياة في التواجد وأن التواجد في الحياة. فما حيا من لم يتواجد وما تواجد من لم يحيا.

إننا في هذه الدار نرسم لأنفسنا الحياة والتواجد يوم تسدد خطانا، ونوفق إلى سبيل الحياة والتواجد، ونطرق طريق الحياة والتواجد. وما الحياة والتواجد على ما علَّمنا رسول الله إلا أن نقف أمام معناه بابا نطرقه لطريق الله.. بابا لمدينة العلم عن الله. لا نعلم عن الله ما لم ندخلها. إذا لم ندخلها فلن نعلم عن الله. وإن دخلناها فلن نجهل عن الله.

هذه هي الحياة، وهذا هو التواجد، وهذه هي طريق الحياة والتواجد. فأين رسول الله؟ وكيف رسول الله؟ ومتى رسول الله؟ ومن رسول الله؟ هذا هو فقه دين الله. إذا لم نفقه في رسول الله، فإنا لا نعرف الطريق إلى طريق الله. وإذا لم نعرف الطريق إلى سبيل الله فقد ضللنا السبيل وما دخلنا في دين الله، ما دخلنا في دين كتاب الله، وما كنا في دين رسول الله.

يقولون إن محمدا خاتم النبيين. نعم هو خاتم النبيين وجماع الدين. ولكن هل عرفتم لماذا وصف محمد بخاتم النبيين؟ نعم عرفنا لأنه لا نبي بعده. وهل عرفتم لماذا لا يكون هناك نبيون بعده؟ إنه لا نبيون بعده حقا لأن الله قال له {إنا أعطيناك الكوثر}[٧] {إن شانئك هو الأبتر}[٨] كيف يكون هناك نبيون بعده وهو نبي متكاثر لا يغيب؟ وهو متكاثر لا ينقطع تكاثره في الساجدين، ولا يختفي عن الطالبين؟

إن شانئه هو الأبتر! إنه يتكاثر بذاته، إنه يتكاثر بمعناه، إنه يتكاثر بروحه، إنه يتكاثر بعلمه، إنه يتكاثر بأسمائه، إنه يتكاثر بصفاته، إنه يتكاثر بآلاء الله، إنه يتكاثر بنعمة الله، إنه يتكاثر بحق الله، إنه يتكاثر بانتشار نور الله، إنه يتكاثر بقدرة الله، إنه يتكاثر بعزة الله، إنه يتكاثر بعباد الله، فكيف يكون هناك نبي من بعده، وهو هذا كله؟ وهو بهذا كله قائم عامل لا يغيب ولا يهدأ. فإن كنتم قد جهلتم فيه هذا كله ثم تقولون لا نبي بعده وأنتم المسلمون! فسبحان الله! ألكم عقول أنتم؟! ألكم وأنتم المسلمون قلوب؟! ألكم نفوس؟! ألكم وجود؟! ألا ينبض فيكم عرق بالحياة فقدتموها؟! ألا تتأسفون على فقدان الحياة وأنتم تسمعون أخبارها وتتناقلونها جيلا بعد جيل؟! ألا تدركون ما لحقكم من الموت، وقد كنتم أمواتا فأحياكم؟!

كيف لا يكون نبي بعده وهو كل الأنبياء؟ كيف يكون لا نبي بعده والأنبياء يبعثون في أمته من بعده علماء؟ وقد آمنوا به أرواحا لذاته أتباعا، وكل طالب لله من عهد آدمه يبعث في قومه من إنسانيته على طلبه من الله، وما قومه وإنسانيته إلا الناس جميعا من بعد ظهوره بينهم بالحق في شبحيته ذاتا من الخلق. كيف لا يكون نبي من بعده والأنبياء من بعده لا عد لهم، ولا حصر لهم؟

أين هم الأنبياء من قبله أمام قيم الأنبياء من بعده؟ ماذا حَصل الأنبياء من قبله، أمام حصيلة الأنبياء من بعده؟ ألم يقل لكم (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[9] ؟ إذا كان الأنبياء في بني إسرائيل لم ينقطع خبرهم وتواجدهم، فكذلك العلماء في أمته من بعده لا ينقطع خبرهم وتواجدهم. ولكن الأنبياء في بني إسرائيل دونهم، لقد خاض العلماء من بعده بحرا وقفت الأنبياء بساحله. ما قال الله "شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة، والأنبياء أو الرسل، أو الأولياء"، ولكن قال {شَهد الله أنه لا إله إلا هو وأُلو العلم...}[10]...

إن أولي العلم عند الله فوق مقامات النبوة أيها الناس. إن مقام العبودية لله وهو العلم والقرب فوق مقام الرسالة أيها الناس.

(يجادلون في الله بغير علم)[11]. لقد جعل الجدل في الله بالعلم أرقى مراتب البلاغ والإنباء والوعي، ودونها الهدي والاستقامة ودون الهدي الكتاب المنير. والرسول يقول علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل لأن الناس أكبروا معاني الأنبياء، وجاراهم الرسول على الخطأ المشهور رغبة في اليقظة لهم حتى تستيقظ نفوسهم وتتنبه عقولهم. فإذا استيقظت ولحقها من الله لاحق فقد عرفت وشرفت. ألم يقل لهم النبي ما أعطيته فلأمتي!

إن محمدا بلغ علما، واختار أناسا لعلم، واحتفظ لنفسه بعلم في ظاهر فعل الرسول، وفي ظاهر قيام الرسول. ولكن الله ورسوله ما رفضا طلب طالب لهما، ولا أيأسا راجي فيهما منهما. ولكن الرسول أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، فخاطب الناس على قدر عقولهم، وأمر بدوره مدركيه لأنفسهم بمخاطبة الناس على قدر عقولهم عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا.

إن الرسول كان خاتم النبيين وأول العابدين، فأين النبيء من العبد عم ينبئ النبي؟ ولمن يقوم العبد؟ وهل انحدر النبي من النبوة إلى العبودية أم ارتفع من النبوة إلى العبودية؟ هل مسخ على مكانة من النبوة وهو خاتمها إلى العبودية وهو أولها فكان أول الانحدار بأول العابدين؟ أم محيت النبوة بوجوده وهو خاتمها إلى مرتقاها من العبودية وهو أولها؟

أين النبوة من العبودية؟! إن الأنبياء ما حملوا إلا عن العباد وما عرفوا إلا العباد. إن العباد كانوا لربهم في قربهم وبعدهم. إن العباد في حال تواجدهم مع الخلائق وهم لهم الحقائق احتفظوا بعلمهم لأنفسهم. إن الأنبياء تكلموا عن العباد بقسطهم من معروفهم عن الحق بهم في إدراك العبودية لهم وهم حقائق لهم من الله. إن العباد لهم علوم القرب والبعد، والوحدانية والتنزيه، وقيام العلم وعلم القيام.

إن العبودية حقيقة أما النبوة فخليقة في عالم كسب. فمحمد حق بعبوديته وخلق بنبوته. إنه بحقيته يجدد خلقيته، ويكثرها علماء عن حقيته، أنبياء بالعلمية عليه معلوما لهم بحقيته من عبوديته.

إن آدم عند الله عبودية بظاهره وبباطنه وقد تلقى ظاهره من باطنه كلمات هي الكتب والرسالات والأنبياء، وهذا أمر فيه ينفعل به هو من صفاته ومميزاته. فظاهره عبودية باطنه، وباطنه عبودية الله وربوبية ظاهره. فإذا تكاثر ظاهره إلى قديم معناه تكنز بجديد معناه، والتحق المتكنز بقديم معناه من العبودية لله متوحدا مع قديمه، فهو عبودية الله الصمدية بلا تعدد وبلا توقف. وإلى هذا سار محمد فصار خاتم النبيين ليكون أول العابدين في عالم الظاهر من الخلق، ظاهرا لباطن من العبد من الحق، فهو بذلك الحق جاء الخلق، ليصبغوا به يوم يدعون باسمه ظاهرا له من باطنه باطنا لهم، ووجودا له.

ولكن الناس التووا حتى في خطاب الرسول لهم على قدر عقولهم، كما التووا في خطاب الله موجَّها إلى قلوبهم وعقولهم ونفوسهم، ففيه ما وجه إلى قلوبهم وفيه ما وجه إلى عقولهم وفيه ما وجه إلى نفوسهم. فأخذوا ما وجه إلى قلوبهم بعقولهم، وأخذوا ما وجه لعقولهم بنفوسهم، وأخذوا ما وجه لنفوسهم بمعانيهم، وأخذوا ما وجه لمعانيهم بذواتهم، وتركوا ما وجه لقلوبهم بقلوبهم. أساءوا السبيل وما سألوا الدليل - وما قطعه عنهم - ما طلبوا العلم به. فما حرمهم العالم به أبدا دلهم عليه ما طلبوا

الباب. وما جهله أبدا ولكنهم ما طرقوه. وما أغلقه أبدا ولكنهم ما ولجوه. ما فرقه دونهم أبدا ولكنهم في أنفسهم ما أحسوه.

إن الله هو الله. وصفات الله هي صفات الله. ولكن الناس أيضا هم الناس. خلقهم على ما خلقهم من النسيان بحكمته، وأرادهم لما أرادهم عبادا بمنته. وخيرهم على ما خيرهم رضوانا بقدرته.. وهداهم على ما هداهم كتابا بفضله ورحمته.

الناس يتواصون، ويتعادون، ويتخاصمون، ويتجادلون، ويتواءمون، ويتوادون، ويتآلفون، ويتوحدون، ويتفرقون، بحكمة الله وبمراد الله. ويتأدبون ويكفرون بحكمة الله على مراد الله. خلقهم منهم، وهديهم بهم. يصطفي منهم من يشاء لما يشاء.

فهل تواصينا على هذا فأدركنا ما يقع اليوم في الأرض، ورأينا الناس وهم يتصارعون عليها ويتقاتلون على تراثها فيقتل الأخ أخاه، فاخترنا لنا سبيلا مع القاتلين أو المقتولين؟ إن أدركنا اخترنا أن نكون مع القتلى لا مع القاتلين الظالمين لأنفسهم.. اخترنا أن نكون مع الثكلى نواسي الثاكلين بقلوبنا، وبجوارحنا، وبعقولنا، وبأرواحنا، وبدعائنا، وبإمكانياتنا.. اخترنا أن نكون في قضية القتلى، وللقتلى مستنصرين، وللظالمين والقاتلين مخاصمين مقاومين بقلوبنا، وبعقولنا، وبنفوسنا، وبأيدينا.. لا حاقدين ولا متعالين ولكن الله لهم راجين أن يهديهم إلى ما هدانا وأن يجمعهم وإيانا في معناه ظاهرا في معنانا برحمته، حتى يثوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى قلوبهم، فترتد عن القتل أيديهم وتغمد عن العمل أسلحتهم.

نحن جنود السلام في الدخول في سلام مع الله راجين منه أن يرزق هؤلاء الذين شردوا من السلام معه في أنفسهم إلى ساحة السلام فيه في قلوبهم. فلنكن قلوبا راجية لا واجفة. ولنكن قلوبا خاشعة لا خائفة. ولنكن قلوبا صافية لا زائفة. فلنكن قلوبا عاملة ضارعة لا آلات جارفة. ولنكن عقولا مستيقظة ونفوسا متفتحة حتى نكون قوالب لملكوت الله مستجيبة، وفي ملكوت الله عاملة حية مجيبة.

هذا ما نحن على ما نرجو، وهذا ما يطلب إلينا اليوم بنداء الروح، بنداء الله، بنداء الإنسان. ينادينا من أعماقنا، ينادينا من أنفسنا، ينادينا من قلوبنا، ينادينا من عقولنا، ينادينا من ذواتنا، ينادينا من معانينا، يحدثنا من ألسنتنا، يسمعنا من آذاننا.

هلا لبيك؟ هلا لبيك اللهم لبيك فينا؟ هلا لبيك في معانينا؟ هلا لبيك في أوانينا؟ هلا لبيك في حاضرنا؟ هلا لبيك في آمالنا، ونفوسنا، وحياتنا، وبيوتنا، وأزواجنا، وأولادنا، وآبائنا، وذرارينا؟ هلا

لبيك؟ هل تحققت هذه الإنسانية قبل هذا النداء بهذا النداء؟ هل لبت الإنسانية يوم طلب منا ملبٍ، تلبية غير هذه التلبية؟ إن هذا النداء هو الذي استجاب له في قديم الأنبياء فلبوا. ونادوا به في أممهم فلبوا. أذَّن لهم الإنسان من أنفسهم فصلوا. وأذنوا للناس من أنفسهم مبعوثين في أنفسهم بالصلاة فصلوا.. فكان الصلاح، وكان الفلاح، وكانت الصلاة صلة، وكان الفلاح نجاحا. الجنة عرَّفها لهم فجوها وحضرة الله في قلوبهم لبوها. ولكنهم وقد أمروا أن لا يخاطبوا الناس إلا على قدر عقولهم كتموها، وما أشهروها. وقالوا إنها سر به لا يباح، وإن الذين يبوحون بالسر دماؤهم تباح. فأباح الناس دماءهم كلما نادوهم أو عن الحق في باطن الخلق دركوهم.

ولكن السماء اليوم تجدد هذا النداء عاما، وتطلب هذه التلبية عامة تعرف ملكوت الله بين جوانحكم يقوم، وتكشف لكم الغطاء عن أنفسكم، وتغير ما بكم إن غيرتم ما بأنفسكم.

أبناء الله.. عيال الله.. لبوا نداء الله.. فالله في أصولكم والله في فروعكم، والله فيكم فلا تسوفوه لكم، ولا تؤجلوا ملكوته لكم، ولا تتوهموه في ماضي لكم أو تتوهموه في مستقبل لكم فتفقدوه في حاضركم.

إن الله الذي هو أقرب إليكم من حبل الوريد ومن ورائكم محيط ومعكم أينما كنتم، إنما هو الذي يناديكم اليوم من أعماقكم لتلبوا النداء فتشرفوا بنعمة العطاء، وتعرفون الباب فتطرقون به أبواب قلوبكم فتدخلون المدينة وتركبون فيها القوارب والسفينة.

هذه هي معاني القرآن ومغانيه، ومعارج الدين ومراقيه، فنسأل الله أن يجعل لنا منها نصيبا، وأن يجعل تحقيقها لنا قريبا، إنه نعم المولي ونعم المجيب، لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم جنبنا الفرقة والخصام وارزقنا الألفة والوئام، وأنزل على أرضنا السلام وعلى قلوبنا السكينة والوئام. اللهم اجعل لصلاتنا بك صلة لا تنقطع. اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا، ولا تعاملنا بما فعل السفهاء منا. اللهم خذ بنواصينا إلى الخير، وأقمنا في فعل الخير، والقنا فيك عباد خير علي ما أردت.

اللهم اجعل رجعنا إليك. اللهم وفقنا إلى ما تحب وترضى. وأقمنا فيما تحب وترضي. ويسر لنا سبيل ما تحب وترضى، والقنا على ما تحب وترضى ممن أحببت ورضيت، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك يا سميع يا قريب يا مجيب.

اللهم قوم سبيلنا واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

(لا يمكنني أن أحل مشاكلكم. لو أخبركم بما تعملونه لتداخل ذلك مع إرادتكم المطلقة. إذا بدأت مرة في إخبار وسيطي عما يجب عمله، وعما لا يجب، فهذا هو نهاية إرادته المطلقة.. وعندئذ يبدأ تقدمه في التخلخل.

لقد سكبت الدموع في بعض الأحيان لأني رأيت المقاساة، وعرفت أنه يجب علي عدم المساعدة. ذلك هو القانون. لقد آلمني أكثر مما آلم المقاسي...

من هدى السيد الروح المرشد سلفر برش

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الرحمن – ٢٦، ٢٧

٢ سورة الناس – ١، ٣

٣ سورة طه - ٥٠

٤ سورة المائدة - ٢٧

٥ حديث شريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.

٦ سورة الكوثر- ٢

٧ سورة الكوثر - ١

٨ سورة الكوثر - ٣

٩ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

١٠ سورة آل عمران - ١٨

١١ استلهاما من {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير} سورة الحج - ٨

(٢٠)

مراد ومريدون
ورواد ومرودون

حديث الجمعة

١٩ رجب ١٣٨٠ هـ - ٦ يناير ١٩٦١ م

أريد.. ماذا أريد؟ يُراد.. ماذا يراد؟ أشر أُريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشدا؟ كلنا يريد، وكلنا يجهل ما يريد، وكلنا يراد، ولكنه يجهل أنه مراد...

كلنا يذكر اسما لله، وكلنا يذكر اسما لرسول الله.. وكلنا يجهل ماذا يريد من الله. وكلنا يجهل لماذا يردد اسما لرسول الله. فلنتذاكر كيف وماذا نريد! ولنتواصى ما هو بنا يراد! ولنتبادل وعينا عما أردنا وعما أُريد بنا.. ففي هذا تحقيق مرادنا، وتحقيق لما يراد بنا...

فلنتواصى بالحق ولنتعاون على الصبر، ولنذكر الله في أنفسنا، ولنتبادل معاينا في تجمع أوانينا لندرك ما غاب علينا فينا، بم تواجد منه بيننا. فما غاب الحق من بيننا وما انقطع الافتقار إليه عنا.. وما خيب القائم علينا فيه رجاءنا ما رجونا. فمن هو الرائد؟ وما هي الريادة؟ ومن هو المريد؟ وما هو المراد؟ لقد أظهر الله لنا من بيننا ومن أنفسنا روادا، رادوا مجتمعنا في مريدين لهم، أرادوا ما أراد روادهم. هذا في عالمنا.. وهناك من يطلبنا.. هناك عالم يطلبنا.. هناك وجود يطلبنا، فيرسل من مجتمعه رسله، يظاهرهم من مجتمعهم، جنودا له يأتون من أمره إلى مجتمعنا، في جمعهم وريادتهم.. يصطفون من بيننا لروادهم، وجمعهم، أواني منا، ليحملوا بها من مجتمعنا إلى مجتمعهم، {الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس}[1]

إن عالمنا ومجتمعنا من خلقه، ووجودا موجودا فيما أوجد من موجوداته، يتواصى بالحق كما تتواصون، ويقوم في الصبر كما تقومون، فيه الرواد وفيه المرودون، ومنه المريدون. يطلبون المعرفة والمزيد من المعرفة كما تطلبون، فيستمهلون ويوعدون.

إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي قعوا له ساجدين فعنده من العلم ما تطلبون.. وهو معناي لتشهدون إني جاعل في الأرض خليفة أيها المفتقرون، وغيب السموات تطلبون.

يا أيها الناس: إن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبون، ويذكرونه كما تذكرون، ويعلمونه كما تعلمون، ويجهلونه كما تجهلون. وإنهم في أنفسهم له يطلبون كما أنكم في أنفسكم له تطلبون.. فكيف تقدرون وقد خلقكم وما تعلمون وما تعملون؟

يا أيها الناس: كلكم لآدم وآدم من تراب.

يأيها الناس: إن الله خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا ونساء، وجعل منها بها بيتا وأرضا وكونا.

يا أيها الناس: من قتل نفسا مؤمنة فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحيا نفسا مؤمنة فكأنما أحيا الناس جميعا.

يا أيها الناس: إن كل نفس إنما هي الناس جميعا.

يا أيها الناس: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}[٢].

يا أيها الناس: حاسبوا أنفسكم، واقتلوا أنفسكم، واحيوا أنفسكم، وجددوا أنفسكم، واحفظوا الحياة لأنفسكم، وتكاثروا بأنفسكم في أنفسكم.

يا أيها الناس: إنكم لا تحيطون بشيء من علمه عنه إلا بعلمكم عن أنفسكم، بما شاء أن يوجد في أنفسكم، وبما شاء أن تحيطوا به من العلم عن أنفسكم، في مشيئتكم مظهرا لمشيئته بكم.

يا أيها الناس: إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

يا أيها الناس: ما تعملون من مثقال ذرة، تشهدون وتشهدون.

يا أيها الناس: إنكم عملكم بأمانة الله فيكم من الحياة. فأحيوا أنفسكم، أو أميتوها على ما شئتم، فإنكم سوف تجدون ما عملتم وليس لكم إلا ما عملتم، وليس أنتم إلا ما عملتم. وإن ربكم عليكم إنما هو ما أنتم، فما كان ربكم إلا عمله، وما عمله إلا أنتم. فلا تطلبوا معرفة به وتعارفا إليه أكثر من معرفتكم عن أنفسكم، ومما تعملون بأيديكم فيه يدا له تتواجدون، عملكم عمله على ما تشاءون وبما توجدون فيه، وها أنتم فيه به تشهدون عملكم.

إذن من هو الرائد؟ وما هي الريادة؟ ومن هو المريد، وماذا يريد؟ إذا نظرنا للأمر بعين الحقيقة، بعين الواقع، بعين القائم، بعين المعقول، بنظر عملي، فالرائد إنما هو أنت.. والمريد إنما هو أنت، وما يراد ما هو غيرك إنما هو أنت..

الرائد إنما هو العقل.. والمريد إنما هو النفس.. والمراد إنما هي الحياة.

الرائد إنما هو الله.. والمريد إنما هو الوجود.. والمراد إنما هو الدوام.. هذا على نطاق كبير ولكنه فيك أنت أيضا يا من تدعو نفسك بالصغير.. فإن آمنت بالكبير كَبُر فيك الصغير فصار كبيرا.. وإذا تواجد فيك الكبير صار بالحياة أكبر فأكبر فبعث منه ما صغر بجانبه الكبير وقد صار أصغر فأصغر..

تأمل اللانهائي وهو يقول للصغير مبشرا واعدا مشجعا مكبرا.. إذا كنت تطلبني وما خلقتك إلا لتطلبني. وما قمت عليك إلا لتعرفني. وما دانوتك إلا لتظهرني، وفي كونك تتواجدني. ما وسعتني أرضي ولا سمائي ووسعتني بقلبك أيها الصغير.. نعم وسعني قلب عبدي المؤمن.

كلنا أبناء الأرض، وكلنا أبناء السماء، وكلنا ملوك أنفسنا، وحكماء قيامنا، ومدبرو بيوتنا. كلنا به الرائد، وكلنا إليه المريد. كلنا فيه أنفس طامحة، وعقول مفتقرة، كما أنَّا حياة تترنح، إما إلى مزيد وجديد، وإما إلى استهلاك لما بنا من الحياة، فتناقص فزوال، لا عما تريد بل عن الكيان الذي به تريد.

وإن اللانهائي لمحقق لكل نفس ما تريد. إن أرادت العدم فذاك، وهذه أحواض العدم فلتردها. وإن أرادت الحياة فذاك وهذه أحواض الحياة فلتردها.

(كلكم لآدم وآدم من تراب)[٣]، {من صلصال كالفخار}[٤] أورده النار، وجمعه على ما خلق من مارج من نار فتصلصلت طينته وشفت ورقت زجاجته وأنتم أبناؤه.. إن منكم إلا واردها كان في قانون إيجاده وخلقه حتما مقضيا.. وإنكم في دارها وفي أول دورها بُرزت للإيقاظ للغاوين وحجبت برحمته عن المتقين وكان فعلها غراما للغافلين.

أما جنة الحياة ونعمتها فقطوفها دانية على ما تُدرك النار في وجودها تشجيعا للطالبين، والناس في أول دورها حجبت عنهم من رحمته للاستزادة من كسب الحياة، وعدم الاستغراق في استهلاكها قبل تمامها.

ليس عبدا لله من كانت الجنة مأواه، ومن كانت النار ما يخشاه. إن الله هو المأوى وإن الله هو الذي يُخشى. إن لله جنة ليس فيها غير وجه الله يضحك.. وإن لله نارا هي برد وسلام على عباده، وهي دار من دوره، كما أن الجنة دار من دوره. إن الجنة دار استجمام حتى يفيق الإنسان مما لقيه في دار البلاء والابتلاء والاختبار والتكوين، فإذا ما أفاق رجع إلى النار.. رجع إلى النار سيدا لا

مسودا، ورجع إلى النار عاملا لا عملا.. رجع إلى النار ليعاون من في النار على الانتفاع بهذه الدار، والسعي فيها لكسب معانيها، وإدراك غنائها ومغانيها، والبعد عن بلائها وابتلائها.. إنها الحطمة.. إنها نار الله الموقدة.. إنها مفعل ذري في الوجود الكوني.. إنها فرن صهر لتطوير الأبعاض إلى كل.. إنها عالم أو صفة تكوين فلا تظنوا بالله الظنون.

قد أبلغكم إن منكم إلا واردها كان على ربكم حتما.. نعم كان على ربكم حتما مقضيا.. فما كان ربكم إلا آدم سبقكم في آدمكم، وما كان قيامه إلا قديم جديدكم عليكم، وهكذا يكون أمركم على جديد لآدم منكم في فطرة الحق، وقوانين الصفات للوجود.

إن آدم هو الرائد، وإن آدم هو المريد، وإن آدم هو المراد. {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم}[٥]، وأشهدنا الذرية على أصولها، وأشهدنا الأصول على فروعها، فشهد الفرع الحق بشهودهم لأصولهم من الحق، وأنهم عباده، وأن الحق فيهم.. وشهد الأصول الحق في شهودهم لأبنائهم من الحق وأنهم عباده، وأن ما كانوا يريدون مما كان مرادا أصبح وجودا.. لقد أصبح المريد بأمسه هو المراد في غده والرائد في يومه.

إنكم اليوم رواد أنفسكم، قديمكم من الآباء يدانيكم ليبحث فيكم عن رواد لأنفسهم من بينكم ليتجدد من خلالكم في أبناء بيوت حية، فيعرف بقديم معناه في جديده منكم بما يتجدد خلالكم له ولكم من جديد تواجد.

هذه هي قوانين الفطرة.. فإنكم أبناء لآباء يسهر عليكم هؤلاء الآباء حتى إذا ما رأوا فيكم صلاح أنفسكم من صلاح فطرتكم، قاموا بالحق عليكم، فأدركتم الحق فيهم بالحق في أنفسكم، وطلبتم المزيد من الحق من خلالكم فيمن يتجددون بكم فيجعلون منكم روادا لهم من أبنائكم بإرادتهم بعد أن جعلتم من آبائكم روادا لكم بإرادتكم.

إن أحسن تقويم من قيامكم منه نشأتم، يطلب المزيد في أحسن تقويم خلال قيامكم بعثا له منكم في أبنائكم، {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها}[٦]. إنكم ترفعون طبقا فوق طبق.. وإنكم تبعثون طبقا بعد طبق.. وإنكم في اللانهائي لا تنتهون لا في رفعكم طبقا فوق طبق، ولا في بعثكم طبقا من بعد طبق...

إن هذا الإدراك هو ما جاءكم به عبده.. الوعي والإدراك. من رأى في الفطرة له دين، وفي العلم عنه له يقين، وفي اليقين ربه، فرأى الذات منه كونه، والفعل به رسوله، والروح له قيامه وعالمه، والنفس خصمه وعبده، والوجود معناه وداره، فعرف أن الإنسان هو وجه الرحمن، وأن الإنسان هو ذات

العلمية على الإله، وأنه له علم حاضره في عالم الحاضر من وجوده، وعرف أن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وعرف أن الإنسان إنما يحيا بتجدد أثواب الحياة، فيواصل الحياة بخلع ثياب الفناء ولبس ثياب البقاء، فهو إذا ما رثت ثياب التواجد الوقتي وقد أوفت بوظيفتها لسرمدي الحياة فيه، خلع الرث البالي من الثياب واختار بالمحبة والمؤاخاة جديده قبل خلع قديمه.. خلع ما بلي من الثياب - بقانون الموت -خلع الذي وفى مهمته من الثياب - بقانون الرحمة - خلع الذي نضج من الثياب - بقانون العدل - ولبس جديدا من الثياب - بقانون العطاء -. عرف الموت كما عرف الحياة، عرف الموت طريقا إلى الحياة، وعرف الحياة طريقا إلى الموت. عرف ضرورة الموت كما عرف ضرورة الحياة، فقال حياتي - وهو الحي - خير لي ولكم. وقال مماتي - وهو الميت في لانهائي مراده - خير لي ولكم. هكذا كان الرسول حقا خيرا لنا وخيرا لأمته وخيرا للناس في حياته، وقد ظهر بالحياة، كما كان خيرا لنا وخيرا لأمته وخيرا للناس في مماته وقد تظاهر بالممات.

أمرنا أن لا نحرص على دار وأن لا يستقر بنا في أرض قرار. فلنعبر الدار عبور الغرباء لا نقيم، ولا نتأبد، ولا نتأزل، ولا نركن، حتى لا تحكمنا ذات من دار، (عش في الدنيا كأنك غريب)[٧] مهما كنت من أهلها، ومهما قلنا إنك من أبنائها، ومهما قلنا إن الأرض هي التي أنبتتك ومن أحشائها غذتك، وأن السماء بك فيها أولجتك وعلى صورتها أوجدتك. يا ابن السماء والأرض عش في الدنيا كأنك غريب. عش في داني الحياة، عش في حاضر الحياة، كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك ممن عرفت من الموتى.. عد نفسك ممن تحب من الموتى.. عد نفسك مع الآباء والأجداد من الموت.. عد نفسك من الموتى، ممن تعرف أو لا تعرف، إن فعلت.. إن مارست إن تهيأت.. إن لهذا الوضع نفسك هيأت.. إن في مقبرة دخلت، وفي ظلام أقمت. كلمك الموتى، وصلك الموتى، عرفك الموتى، طلبك الموتى، فآمنت أن الحياة متصلة لا تنقطع، وأن الكون مهتز مترنم باسم الله لا يهجع.. مسبح لذكره ولغيره لا يخضع. هكذا هي الحياة.. الموتى خلالك يبعثون، وكما أوجدهم أول مرة يوجدون ويتواجدون.. وهذا ما به يرجعون.

إن أنسجتك تتجدد، إن جنسك يتجدد، إن آدمك يتجدد، إن وعيك يتجدد، إن علمك يتجدد، إن جهلك يتجدد، إن نورك يتجدد، إن ظلامك يتجدد.

ها أنت تجدد قديم القديم. إن مستقبل المستقبل ليس غيرك.. وليس غير قديمك. إن الماضي ينتظر التحاقك به لتأخذ مكانه حتى يأخذ مكانك من الحاضر. وفي هذا تجدده، وفي هذا بعثه، وفي هذا قيامه {كما بدأنا أول خلق نعيده}[٨]، {فلينظر الإنسان مم خلق}[٩]، {وضرب لنا مثلا ونسي خلقه}[١٠] يحييها الذي أنشأها.. كما بدأ أول خلق يعيده.. قادر على أن يسوى بنان جديده لبنان قديمه.

أي بعث ينتظر الناس؟ وأي قيامة ينتظر الناس؟ وقد بعث محمد بينهم عبدا لرب ظاهرا لباطن. أعلمهم بهديه وقيامه، كما أعلمهم بلسان ربه في بلاغه. هكذا هكذا.. بخ بخ {وإنك لعلى خلق عظيم}[11] حمدًا لربي (فقد بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[12]، نعم نعم يا عبدي إلى ربك منتهاها.. وما تم لك يتم لأمتك.

هكذا يكون البعث، وهكذا تكون القيامة، وهكذا يكون القيام بالحق، وهكذا يكون العلم عند مدينته، عند كتابه، عند عبد لرب.. أحبه ربه فكانه، وأحب ربه فكانه.. فلا عبد ولا رب، ولا رب ولا عبد، ولكن ظاهر لباطن للحق في فطرة الوجود.

{وقل جاء الحق وزهق الباطل}[13]. الذين آمنوا بما أنزل من الحق كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم. هذا دين القيمة.. هذا دين السادة.. هذا دين الأحرار.

فماذا يريد الناس وقد أدركوا أول الحشر، وأول البعث، وأول القيامة، وأول الساعة؟ وجعل يوم الفصل فيما اختلفوا فيه من ذلك ميقاتا يبعثون فيه أحقابا. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[14] فيتجدد قيامها بالحق، وتتجدد قيامتها بالحق، وتتجدد ساعتها بالحق، ويتجدد وعيها بالحق، ويمحى ظلامها في قديمه، ويولد ظلامها في جديده، ويستوفي نورها في قديمه وحاضره، ويولد نورها في حاضره وقابله.. دواليك.. قانونا للصمد الذي لا يتغير فيه أمر، ولا يتغير فيه حكم، ولا يتغير فيه قيام، فاطر السموات والأرض.. الأحد اللانهائي الذي يدرك معروفا بالوعي لآحاده من الإنسان، ولا يغيب عنهم حياة ولا قياما ولا حسا، الذي هو أقرب للناس من حبل الوريد، الذي هو معهم أينما كانوا، الذي هو عليهم حافظ بما يضع عليهم من حفظته ومن ربوبيته لعوالمهم، ومن سيادة وخدمة لقيامهم. إنهم فيه في ظل قانون دائب يبعثون بحصيلة قديمهم، ويعملون بحاضرهم فيه أقلاما بما في قلوبهم، ألواحا تقرأ بصحائف أعمالهم في ذوات حيواتهم. {ن والقلم وما يسطرون}[15].

هل أدرك الناس أنهم أبناء لآدم، وأنهم بأوادمهم أبناء الإنسان، وأنهم كأوادم لأوادم أبناء السماء والأرض، وأنهم بذلك عباد الموجود الحق، وأنهم بذلك أبناء الحق، وأنهم بذلك أبناء الله، وأنهم بحاضرهم أبناء الطبيعة بظواهرهم، وأبناء الفطرة بجواهرهم؟ هل أدركوا قيمهم، في قيمتهم فيمن أوجدهم بإدراكهم لِمَ أوجدهم؟ وعلمهم ما هو فاعل بهم؟ إنهم ظنوا بالله الظنون. إنهم فتنوا بأنفسهم من حاضر دناهم، أو فتنوا عن أنفسهم بدنياهم. إنهم سودوا على دنيا أنفسهم دنيا طعامهم فأفنوا الفاني في معانيهم في الفاني في قيامهم، وما ردوا الباقي في قيامهم إلى الباقي الذي أرادهم ليقومهم.

هذا هو دين محمد فهل الناس في دين محمد؟ إن محمدا آدم من عرفه آدم نفسه، آدم عقله، آدم قلبه، آدم روحه، آدم نوره فاستزاده روح روحه، ونور نوره. إن الله ضرب بمحمد في الناس مثلا جعله أسوة للناس كافة في نفسه وفي بيته فجعل منه بيتا، وجعل ممن فيه أزواجا وأمهات، وجعل من محمد في البيت أبا، وجعل من عَلِيٍّ في البيت ولدا، وجعل من فاطمة التي فطمت نفسها عن الدنيا وعن الآخرة، جعل منها في البيت روحا للحياة، وسراجا يُشرق بنور الحياة. جعل منها روحا بعثت بروح سبقت في قديم الحياة. جعل منها روحا تقوم بها الأرواح، وتحيا بها الأشباح. وجعل من الولد للأبناء أسوة، وجعل من الأب للأبناء غاية.

هذا ما ضرب من مثل بمحمد وببيت لمحمد، فضيع الناس المثل والأسوة لأنفسهم إلا من رحم، وقليل ما هم - وما أساءوا لمحمد، ولا لبيت محمد، ولكن لأنفسهم أساءوا.

إن الكلمات والآيات وسفن النجاة قدمت لهم سمحة، طيعة، دانية، مصاحبة، كلما تجددت أممهم وأجيالهم، السفن ما ركبوها، والحياة ما نشدوها، والبنوة للحق ما قبلوها.

ضُرب لهم ابن مريم مثلا عن أهل بيت محمد، وعن آل محمد، وعن معنى محمد، وعن قيام محمد، وعن موت محمد، وعن بعث محمد، فإذا هم عن المثل المضروب يصدون. لا يقبلونه لا في محمد، ولا في ابن لمحمد، ولا في أبناء ابن لمحمد يبعث به حق محمد ويتجدد بهم بينهم تكاثر محمد، وتقوم بهم شفاعة محمد. وها هي روح محمد تظهر بأمر محمد، وبشأن محمد، وبهدي محمد، روحا هي جديده من روح قديمه هي بجديده عين قديمه.

إن الزهراء التي لم يؤبه لها، ولم يدرك لها معنى، ولم يقدر لها عند المسلمين وزن، هي الإسلام كله، وهي الدين كله، وهي بكلها من روح الرسول، وهي الحق في كلها، وهي القيام كله. سربلها الإسلام بالحجاب إكبارا، وجعل مقامها البيت إشارة لعظمة معناها تطلب لا تطلب، وقدس مبناها، وجعلها باطن قبلة مصلاها، وسر الوجود لبيتها، وحياة الحياة لأبنائها وشهودها، ولمن توالد منها، ولمن يطلب التوالد منها، ولما يتوالد منها، ولما يوجد بها، أو يتواجد فيها. وما توالد منها إلا كائن الكون، وما يولد منها إلا كائن الكون، وما ولدت إلا الكون، وما كانت إلا ما قبل الكون كلمة لله وروحا منه، وسر رسول الله، وحقيقة رسول الله، وغيب رسول الله، وعظمة رسول الله، ورفيع رسول الله. فما ظهر رسول الله بين الناس وللناس إلا كلمة لله، منها من كلمات لله، بها حضرة روح قدس الله له. وما كان في معناه بها إلا الغيب يعرفه ربه. وما أدركها الناس وما أدركوه، وما قدرها الناس وما قدروه. رآها عليّ له -على ما رآها محمد له- أما لا زوج، ورآها رسول الله له أما وجدة، لا بضعا ولا ابنة.

إنها مكنون الإسلام عند من عرفوا الإسلام. إنها ليلى غناء المحبين، ومجلى الجمال الحقي للعاشقين، وجلال الله للعارفين، حكمته في أفئدتهم ووحدانيته لهم. إنها غيب الغيب ومجلى الغيب، وجمال الجمال من الغيب. إنها أمومة البشرية من آدمها بمحمد. إنها أمومة الإنسان.. إنها بنوة الإنسان.. إنها جمال الإنسان.. إنها مع إنسانها عين إنسانه.. إنها في معانيها عين معانيه.

ماذا عرفنا عن آل بيت رسول الله؟ ماذا عرفنا عن رسول الله؟ ماذا عرفنا عن ظاهر رسول الله؟ ماذا عرفنا عن باطن رسول الله؟ ما عرفنا شيئا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ها نحن في هذا العصر يتجدد لنا الإسلام تُجدده الفطرة، وهو الغريب علينا، الغريب بيننا، الغريب عنا على سنن من سبق تجدده، وقد كان غريبا على آبائنا يوما كما كان غريبا على آبائهم يوما، وقد كان غريبا بين آبائنا بعد محمد، وما زال غريبا اليوم على قومه حتى تتجدد به عقائدهم، ونرجو أن لا يكون غريبا على أبنائنا على غرابته بيننا على سنته قبل أجيال مديدة.

إنه النور الذي أنزل على محمد وما رفع من الأرض ولن يرفع منها. إنه الروح الذي أنزل على محمد وما رفع من الأرض ولن يرفع منها، ولكنه يتجاهل ويُجهل أو يتعارف فيُعرف، ويطلب فيوجد. إنه قدسية هذه الأرض، قدسية هذه البشرية، حقية هذا الجنس لا تفارقه بعد محمد، بالحق أنزل وبالحق ينزل.

إذا طلبه الناس وجدوه، وإذا وجدوه عرفوه، وإذا عرفوه عشقوه، وإذا عشقوه قتلهم جماله، وإذا قتلهم جماله قامهم مجاله وأكملهم حاله.

هذا هو دين الإسلام نسأله الله لنا، ولأبنائنا، ونسأله لهم مزيدا فاتنا، وفات آباءنا، إنه سميع مجيب للدعاء.. ملبي للنداء.. محقق لكل رجاء.

اللهم قوم فيك سبيلنا، وجدد بحقك قلوبنا، وأشرق بنورك في عقولنا، وأطلق اللهم برحمتك أرواحنا، وزكي وطهر بفضلك نفوسنا، وأحيِ وقوم فيك جوارحنا. اللهم ضعنا في الطريق، ولا تضعنا في أنفسنا بأنفسنا. اللهم خذ بيدنا وبنواصينا إلى الخير. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، وعلى أرضنا، وفي إنسانيتنا، وارزقنا الإسلام، وفطرة الإسلام...

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(لقد جاءكم العلم منذ سنين كثيرة عن طريق إنسان عرف القانون وعلمه، ألا تتعلمون لتستجيبوا لذبذبات المستويات الروحية العليا؟ ألا تتأكدون أنكم لستم أبدا وحدكم، وإنما أنتم محاطون بضيوف دائما، ممن يحبونكم ويجتهدون في حراستكم ومساعدتكم وإلهامكم وإرشادكم؟ ألا تتحققون عندما تنهضون بأرواحكم من أنكم كائنات تجذب نحو أعظم الأرواح قاطبة، مصبحين أكثر ترنما مع قانونه؟).

(إذا سألتم كل الذين يعودون إليكم من لدينا ستجدونهم جميعا يقولون إن القانون صحيح. لن يرغبوا أبدا في العودة إلى عالم المادة. أنتم تبحثون عن السلام في خارج أنفسكم. وأنا أحاول أن أريكم أن السلام الأبدي في داخلكم، وأن أعظم الثروات هي ثروات الروح).

(عن هدي السيد الروح المرشد سلفر برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الحج - ٧٥

٢ سورة المائدة - ١٠٥

٣ حديث شريف: "كلكم بنو آدم وآدم خُلق من تراب." أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد

٤ سورة الرحمن - ١٤

٥ سورة الأعراف - ١٧٢

٦ سورة البقرة - ١٠٦

٧ حديث شريف رواه عبد الله بن عمر: "أخذ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ببعضِ جسدي وقال: كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٨ سورة الأنبياء - ١٠٤

٩ سورة الطارق - ٥

١٠ سورة يس - ٧٨

١١ سورة القلم - ٤

١٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) أخرجه أحمد والبخاري، والبزار باختلاف يسير.

١٣ سورة الإسراء - ٨١

١٤ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

١٥ سورة القلم - ١

(٢١)

الدورة الخالدة
في إنسانية الأحد الصمد

حديث الجمعة

١٠ شعبان ١٣٨٠ هـ - ٢٧ يناير ١٩٦١ م

بسم الله ورسوله.. بسم الرحمة ومظهرها.. باسم الموجود ووجوده.. باسم الوجود وكلماته.. باسم الحق وآياته.. باسم العليم وكتبه.. باسم الله الرحمن الرحيم.. به نستعين، وبه نحيا، وبه نهتدي ونقوم، وبه نخرج ونعود، وبه نبعث ونفنى، وبه نتجدد ونتكاثر، وبه نتفانى ونبقى.

إنها دورة الحياة الخالدة، إنها الدورة الخالدة للإنسان في الإنسان، في أحد الله، في صمد الله، في معروف الله، في موجود الله، لا إليه إلا من كان منه، وليس هناك ما ليس منه. لا إله إلا الله.

إن للإنسان في الله دورة، ينتهي إلى حيث بدأ، ويبدأ من حيث انتهى، دواليك بلا انتهاء، وفى حقيقة الأمر بلا ابتداء. الإنسان لا يعرف من أمره إلا ما قام فيه بوصف أناه، وإذا كان لا يدرى إلا أناه، فهذا يكفيه لأن أناه جماع معناه، حيثما وجد وأينما كان.

إنه في هذه الأرض ومن هذه الأرض يبدأ قياما مدركا له. نشأ من ترابها و احترق تحت حرارة شمسها صلصالا كالفخار، مزجت به حرارة تكيفه، ونار إنضاجه، حرارة ثابتة، عليها تقوم حركته، ومن احتراقه بها تنشأ طاقته، وقدرته ومكنته، فكلما احترق منه جزء، جدده بجديد من الأرض التي هي أصل ذاته، وواصل الحياة، كلما نضج جزء من جلده، من ذاته، من مادته، من صلصاله، من ترابه، بُدل جديدا من جزء يحل محله، في جهاز قيامه، تتجدد أنسجته، وتتهالك في تدبير منتظم، بظاهرها بالحياة، دورة دموية منتظمة، ، قوية سريعة، ملبية مجيبة، تمد الأنسجة المفتقرة بالطاقة، وبالقوة، وبالحياة، وتجتذب الأنسجة المتهالكة في تيارها، وتأخذها إلى الحطمة من كبده، تدفعها إلى مجاري القلب بجهازه ومضخاته القوية الجبارة، فتدفعها في طريق النهر الحي النامي الفياض في جسده ونهيراته وفروعه، وهكذا من مصارف الجسم، ومن أنهار الجسد، وبينهما تدور الحياة، في هذا الكتاب الخالد، في هذا القيام الدائم، في هذا القيام الدائم الباقي المتجدد، إنها كما تتجدد الأنسجة في داخل

الجسم، وكما تتجدد كرات الدم البيضاء والحمراء في داخله، وكما تمر في غرف القلب الأربع، ومضخاته الماصة الكابسة للدماء الفاسدة والدماء النقية، كلاهما يمر بالقلب، وكلاهما يمر بالكبد، يدخل ضعيفا متهالكا، ويخرج قويا نشطا.

إن هذا الذي يقوم في الفرد في داخله، هو بعينه النظام الذي يقوم عليه الجنس في جماعه، بمفرداته، وفي أراضيه، وفي مسالكه إلى هذه الأراضي، وفي مرجعه منها، وفي قيامه على أرضه هذه، وفي قيامه على كل أرض يطأها بقدميه، وفي كل سماء يسبح فيها بلطيفه، كما يتحرك في بقاع الأرض بكثيفه.

إن الذي يقرأ كتاب نفسه، إن الذي يقرأ ما في نفسه، إن الذي يتأمل في نفسه، إن الذي يبصر نفسه، إن الذي يرد الطرف إلى نفسه، إن الذي ينعكس إلى نفسه يقرأ كتاب الله. وإذا قرأ كتاب الله في نفسه فقد قرأ كتاب الكون هو فيه، وهو منه، وهو إليه، منه يبدأ جزءا، وفيه ينمو أجزاءً، وعلى مثاله يتواجد كلا، ومن كله يرتد إلى نفسه فيرعى أجزاء نفسه، وأبعاض نفسه، كما روعي من قبل، وكما تولي من قبل، وكما كان من قبل.

إنها دورة الحياة الظاهرة في بيوتكم في أسركم، تبدأون أطفالا لا حول لكم ولا قوة، ترعاكم الأمومة والأبوة، وتسهر عليكم، وتتواد بينها بالتواد إليكم، وبالمودة تنشئونها بين أبويكم. إن اتحادهما في الهدف من رعايتكم يجعل لهما هدفا مشتركا به تتوثق المودة بينهما، ويزول من بينهما ما قد يكون من فوارق في المعدن تنتج خصاما، أو تثير بينهما غبارا وكلاما، وقد أصبحتم حديثهما وغايتهما، فتتوثق الروابط بينهما بقيام الروابط معكم، فتتوحد وتجبر أجزاء الأسرة في أصولها بتواجد أبنائها، فتتكون في الأسرة معاني الوحدة القائمة من المحبة، ويمضي الأب والأم، وينمو الابن فإذا هو أب، وإذا به له زوج، وإذا بهما لهما ولد يرعيانه ويطمعان أن يقومانه...

وهكذا تذهب الحياة في قابلها على ما هي في حاضرها، وهكذا تأتي الحياة لحاضرها على ما كان في ماضيها في دورة سرمدية لا تتوقف، ولا تنتهي، ولا تنقطع، ولا تدوم.. لا تدوم لأبعاضها، ولكن تدوم في كلها، تدوم بكلياتها. إن مصر التي وطأتها أقدام الفراعنة، ما زالت تطأها أقدام أبنائها من حكامها، ومن شعبها، من الآباء والأمهات ومن الأبناء.

هذه هي الدورة الخالدة، تدورها البشرية بلا انقطاع. إذا عرفتم أن هذه الدورة لها الخلود والدوام، وأنها بلا بداية تعرف، وأنها بلا نهاية تدرك، وعرفتم أن كل ما جاءكم به الدين إنما هو وصف لهذه الدورة الخالدة، إنه إذا تحدث إليكم عن آدم يأتي من سماء أو من أرض أخرى أو من جنة، وإذا تحدث إليكم عن آدم أَنْبَتَه من هذه الأرض وأخرجه منها ثم أولجه فيها ويُخرجه منها تارة أخرى ويعرج

به في السماء، ويوفيه العطاء، ويعيده على ما بدأه، يُنشئه نشأة أخرى، يحييه ويميته، يخلقه ويحققه، يبدأه ويعيده، إنها دورة لا تنقطع ولا تنتهي، يبدأ ابنا وينتهي أبا، ثم يعود الأب ولدا وينتهي أبا ويعود ولدا وينتهي أبا.. وهكذا في دورة خالدة تُسميها دورة آدم، يدورها كل ألف عام أو تزيد.

وهذه الدورة إنما هي معنى لكل وليد، أنبتته الأرض أو توالده الناس، وما إنبات الأرض له إلا توالد الناس له، توالد الناس به، فكلما عاد عائد من سماء إلى الأرض، ما عاد إلا إلى أعماق الأرض، وما وجد على الأرض إلا نباتا من نبات الأرض، وما أنبتته الأرض إلا بتوالد الناس. إن الناس لن يخرجوا من الأرض كما تخرج أشجارها، إن الحيوان لا يخرج من الأرض كما تخرج زروعها، إن البشر لا يخرج من الأرض كما يخرج نباتها. ولكن البشر الذي يحيا على هذه الأرض بروح من روح الله ومن روح الوجود وينمو في ذاته من ثمرات الأرض، من أطوار الأرض، في تطور ترابها إلى أشجار، فحيوان، فإنسان.. إن هذا الذي تشهدون له الدوام، إن الذي تشهدون في قيامكم له الدوام في قيامه بقوانين الله، فإذا أردتم أن تعرفوه فقد بعثت الأرض حية من مماتها بقيام الناس عليها، تطورت إلى الناس، قامت قيامتها، من ترابيتها بقيام الناس أحياء من ترابها، يدبون بأقدامهم عليها، ويمشون في أرجائها يعمرونها ويُعمرونها ويزينونها إذا ما تزينت، ويجددونها إذا ما تجددت.. إن هذا هو بعثها وقيامها...

وإن الناس وهم يتواجدون عليها في دورة منتظمة، منها يخرجون، وإليها يعودون، السماء ذات الرجع، تُرجعهم إليها، فهم عليها من أهل السماء، أنبتتهم الأرض فقد ردتهم السماء، مع ضوء الشمس وحرارتها إلى أعماق الأرض، وانعكست الأرض بهم، بردها لما تكتسب من حرارة الشمس وضوئها، والأرض بذلك تنبتهم مرة أخرى، رجع السماء إليها، فالناس على هذه الأرض، إنما هم رجع السماء، ونبات الأرض. إنهم أبناء السماء رجعا، وأبناء الأرض نباتا، في دورة منتظمة لا تنقطع أبدا. فمن خرج من الأرض بجديد كسب دخل السماء بيته من سابق بأثواب جديدة، ومن أفاد من السماء، وأرجعته إلى الأرض فأنبتته الأرض، ظهر عليها بكسب السماء، وبأثوابه الجديدة بكسبه من السماء، في بيئته من الأرض، التي عرفها، والتي عرفته على مستوى له معروفا عنده، ومعروفا عند قومه، وهكذا يُرفع الناس طبقا فوق طبق، وهكذا يرجع الناس إلى الأرض طبقا بعد طبق.

هذه هي الحياة، أرادت الأديان أن تُعرفنا الحياة، وأراد الأنبياء أن يحملوا خبر الحياة، وأراد الرسل أن يأموا الناس إلى أحواض الحياة، حتى تمت النبوة، وتواجد العبد، فأراد عباد الله أن يكشفوا للناس معاني الحياة، في أنفس الناس، بما يتواجدون به من الحياة بينهم في أنفسهم. وبذلك كانت العبودية

لله نهاية النبوة والأنبياء عن الله، ونهاية الرسالة والقيادة إلى الله، فما أخذ الأنبياء ما أخذوا إلا من عباد الله، ومن يد عباد الله، وما عرفوا فيما عرفوا إلا بعضا مما يصح أن يعرف العبد عن ربه، في معرفته عن نفسه، على تفاوت بينهم في المعارف والأقدار، وعلى تقارب بينهم لكسب معاني العبودية لأنفسهم والصلة بعباد لله...

فإذا كان محمد عليه السلام والصلوات خاتم النبيين، فهذا بعثه بحاضره، من قيامه يوم حمل البلاغ، فلما استوفى وتوفى فقام العبد من الله، كان أول العابدين. إن الله إذ يجعل منه عبدا أول عباد، ارتفع به، من نبي خاتم نبيين إلى عبد أول عابدين، وهكذا فعل لآدم في قديم. إن الله لم يحط بخاتم النبيين ولم يَحُط خاتم النبيين إلى وصف العبد بجعله أول عابدين، ولكن ارتفع بخاتم النبيين، ليكون عبدا، فيكون أول عابدين.

وإذا كان محمد يدب على الأرض أول عابدين، فقد دب عليها الحق في عبده، في جلباب خلقه، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[1] {لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون}[2] يا أيها الحق مني، يا عبدي، يا قدمي، يا يدي ووجهي، قل جاء الحق وزهق الباطل.

فيمَ يتساءلون؟ أعن الساعة التي علَّمت؟ أم عن القيامة التي أقمت وبشرت؟ إلى ربك منتهاها وأنت بينهم معناها، أنت لهم في أنفسهم ذكراها إذا تابعوك، إذا أحبوك، إذا طلبوك، إذا عشقوك، إذا نصروك، إذا على أنفسهم أقاموك، إذا هم في السويداء من قلوبهم أحلوك، إذا هم أماتوا أنفسهم وأبقوك، فكانوك، وإذا كانوك، كانوني. أنت مبتداها...

إذا طلبوك طلبوني، إذا عرفوك عرفوني، إذا وحدوك وحدوني، إذا كانوك كانوني، ألم تكن رسولي إليك فكنته فكنتني؟ هكذا يكون من يكونني. هكذا يكون التوحيد لمن يوحدني. هكذا تكون المعرفة لمن يعرفني. هكذا يكون الطلب لمن يطلبني، وإلا فلا طلب لي، ولا توحد معي.

أنت عبدي.. أنت حقي.. أنت عيني.. أنت روحي.. أنت حياتي.. أنت وجودي.. من رضيك رضيني، ومن قلاك قلاني، ومن ظاهرك ظاهرني، ومن جافاك جافاني، حافظوا على الصلاة الوسطى، إن الله وملائكته يصلون على النفس الوسطى. إن الله وملائكته يصلون على هذا النبي الوسيط. إن الله وملائكته يصلون على هذا العبد صلاة دائمة بدوام الله وملائكته. إن الله وملائكته صلى عليه قديما في قديمه ذكرا قديما له، ويصلي عليه في جديده ما قام جديده، ما بُعث جديده، ما تواجد بينكم جديده، ولن ينقطع فيكم جديده، لأنه لن يقطع فيكم وليده، أعطيناه الكوثر، أعطيناه

التكاثر، شانئه أبتر، وواصله أزهر. إنه الكلمة الطيبة، إنه الشجرة الطيبة، إنه الأصل الثابت، إنه الفرع المرتفع في السماء والجذر الممتد في الأرض، يلجه الله في الأرض على دوام، ويرفعه في السماء على دوام، ويمده بالحياة على قيام، في عالم القيام آدم قيام، لا ينقطع قيامه، إنه عبد الله.. إنه إنسان الله.. إنه حق الله.. إنه وجه الله.. إنه يد الله.. إنه كتاب الله.. إنه سرمد الله...

فكيف بعد هذا تطلبون أنبياء من بعده وهو بينكم مقيم؟ وهو فيكم يبعث؟ وهو فيكم يمتد؟ وهو فيكم ينتشر بنوره؟ وهو فيكم يبعث من قبوره من قبور أنفسكم؟ جعل الله له نورا يمشي به في الناس، فكيف ينقطع من كان من النور، ومن قام بالنور، ومن انتشر بالنور؟ كيف يتغلب الظلام على النور؟ إنه نور السموات والأرض، أرسله الله رحمة للعالمين. إنه قبضة نور الله، بها أشرقت السموات والأرض، فكانت نور السموات والأرض من الله، الله الذي لا تحده السموات والأرض، ولا تتسع له السموات ولا الأرض، فكيف يكون الله نور السموات والأرض؟! وما قال لكم الله نور السموات والأرض إلا ليعرفكم عن عبد له هو نور السموات والأرض، أنتم فيه، وهو فيكم، مثله بينكم في معناكم كمشكاة فيها مصباح من تجويف صدر حوى قلبًا. به قام الحق وامتد الحق وزهق الباطل وانتهي طور الخبر والإخبار وقام العيان والإكبار.

هذا هو رسول الله.. هذا هو جانب من جوانب رسول الله.. هذه هي زاوية من زوايا رسول الله.. هذا هو فهم من فهوم في رسول الله.. فهل آمن الناس برسول الله؟ لو آمن الناس بالله لآمنوا برسول الله، ولو دخل الناس بيت رسول الله لتكشفت لهم صلتهم بالله، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}[٣] إن الله يطلب من المؤمن به أن يؤمن برسوله. إن من آمن بالله - والإيمان بالله لا يحتاج إلى كتاب- فكتابه أنت، ولا يحتاج إلى رسول فرسوله ضميرك، ولا يحتاج إلى إمام فإمامه عقلك، ولا يحتاج إلى تحذير من شيطان فشيطانه نفسك، ولا يحتاج إلى بشرى بجنان فجنانه رضاؤك، ولا يحتاج إلى ترهيب من نار فناره قلقك وحيرتك. إن الله إذا عرفت، إن الله إذا طلبت، إن الله إذا وجدت يأمرك ويناديك أن آمن برسولي.. ابحث بين الناس عمن تريد أن تكون على دينه، ابحث بين الناس عمن يكون مرآة لك ترى فيها - بصفائها - وجهك أنت، فتعرف ما فيك مما تريد أن تحتفظ به وتبقيه، ومما تريد أن لا تحتفظ به فتزيله وتغيره. إنك منفردا لا ترى وجهك، إنك لا ترى معناك، إنك لا ترى عملك، إنك لا ترى شيئا مما يصح أن ترى لتعرف، وإذا عرفت لتكون، وإذا كنت لتزداد، وإذا ازددت لتبعث، وإذا بعثت لتنشر، وإذا انتشرت لترفع وترتقي، وتدخل في الدورة الخالدة، تدخل في دورة الحياة، تدخل في دورة آدم، تدخل في دورة الإنسان، تدخل في

دورة الوجود، تدخل في دورة التواجد بوجود نفسك، من عمل نفسك، بإرادة نفسك، على ما يرضيك أنت، وعلى ما تشتهي أنت، وعلى ما تطلب أنت، وعلى ما ترى وتعرف أنت.

إن الله غني عن العالمين. إن الله لا تنفعه طاعة ولكنها تنفعك. إن الله لا تضره معصية ولكنها تضرك. إن الله ليس له دار ولكن الدار دارك، وما خلقت إلا لك. إن الله ليس له سماء فلا تحده سماء، ولا تحتفظ به سماء، ولكن خلقت السماء لك مرتقاك ومعراجك، وسلمك، خلقت من أجلك، وخلقت لك. أنت لك سماء، أنت صاحب السماء، أنت عين السماء، أما هو فلا. أنت صاحب الأرض، أنت الأرض، أنت الدار، أما هو فلا. إنها لا تتسع له، أما أنت معه، أما أنت له، أما إذا عبدت نفسك لمعناك فيك ومعناك منه، فإنما تعبد نفسك بجديدك، لمعناك وعينك في كمال قديمك، فتعبد نفسك لله إنسان أحسن تقويم منه نشأت.

إنك إذا كنت عبدا لعبد لله،كنت عبدا لله، وإذا كنت رسولا لرسول الله، كنت رسولا لله، وإذا كنت عضوا أو جارحة في إنسان، أو عبد لله، فأنت عضو وجارحة لله. هكذا يكون مآلك، وهكذا هي اليوم حالك، فإذا لم تعرف اليوم حالك فكيف يكون في الله لك مآل؟ وكيف يكون لك في الله مجال؟ وكيف تنطق بلا إله إلا الله؟ قولا يقال، ولا تمتد يدك إلى لا إله إلا الله شيئا ينال؟ لِمَ لا تمشي بقدميك في لا إله إلا الله! ولِمَ لا يقوم ضميرك بلا إله إلا الله! لِمَ لا يشرق عقلك بلا إله إلا الله! فإنه لا يستقيم فعلك إلا بلا إله إلا الله، لا شيء من هذا ثم تقول إنك من أهل لا إله إلا الله! أفلا تعقل؟

أما آن لك أن تستيقظ من منامك، والناس نيام! أما آن لك أن تقطع ما بين حاضرك وبعث ماضيك، فتموت من شجرة الغفلة لتزرع في شجرة اليقظة! وأنت قد ولدت على الفطرة، فلِمَ الحنين لقديمك من الغفلة والجهل! لِمَ لا تكون ابن يومك وابن حاضرك، وابن وقتك وابن ساعتك، وابن عملك وابن فهمك!

هكذا الدين، هكذا تدور الدورة الخالدة، من ركب السفينة فسارت به في الدورة الخالدة، فقد سار دورة في الدورة الخالدة، ومن كان للناس سفينة في الدورة الخالدة دار دورة أخرى في الدورة الخالدة، فكن سفينة أو كن راكبا لسفينة، كونوا سفنا أو كونوا ركابا لسفن، ادخلوا الحياة فقد ولدتم بالفطرة وفي الفطرة في قيامكم اليوم في الحياة. وفي الحياة لا تمتنع عليكم الحياة ولكنكم - للأسف - تمنعونها، ولا تغيب عنكم أحواض الحياة ولكنكم - يا للحسرة - لا تردونها، وتمر أمام أعينكم دون انقطاع سفن الحياة ولكنكم - للخيبة - لا تركبونها.

إنْ الله طلبتم هو الحياة، فإذا فقدتم الحياة فقدتموه، وإن ربحتم الحياة ربحتموه، وإن تواجدت فيكم الحياة، تواجد فيكم الله، فأحياكم وأحيا بالحياة ظاهرا بكم. إنه الحي القيوم، إنه لا يحيا لأنه الحي ولكنه لا يظهر لأنه الغني، إنه الغني الذي يظهر في المفتقرين، إنه القوي الذي يظهر في المستضعفين، إنه القادر الذي يظهر في المتوكلين، إنه الكبير الذي يظهر في المتفانين، إنه الحياة تظهر في الميتين، إنه بعث الأموات بالحياة في قلوب المستيقظين، إنه قيام الحياة في الأرض الميتة تهتز بالحياة، وتترنم بالحياة، وتغني أناشيد الحياة، إنه الأحياء إذا قاموا من موت، إنه المبعوثين إذا عادوا من غفلة، إنه المستيقظين إذا صحوا من نوم، إنه أقرب إليكم من حبل الوريد، إنه معكم أينما كنتم، إنه القائم على كل نفس بما كسبت، لا إله غيره، ولا موجود غيره، ولا حق غيره، ولا دوام لغيره، ولا حياة بغيره.

فهلا آمنتم به لا إله إلا الله فشاهدتموه لا إله إلا الله، فقمتموه لا إله إلا الله، فتعاليتم لا إله إلا الله، وتدانيتم لا إله إلا الله، وانتشرتم لا إله إلا الله، فكنتم أمة لا إله إلا الله، وكنتم قيام محمد رسول الله. إن محمدا كان أمة، ملة إبراهيم حنيفا، كان أمة قانتا لله. لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم أنطقنا لا إله إلا الله، وأعلمنا لا إله إلا الله، وأشهدنا لا إله إلا الله، وقمنا لا إله إلا الله، وأرجعنا إليك لا إله إلا الله.

اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا. اللهم جنبنا الفرقة والخصام وارزقنا الألفة والوئام. اللهم أدخلنا في سلامك وفي سلمك، وكن لنا السلام، واجعلنا لك السلام يا سلام، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. اللهم ارفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم ارعنا حكاما ومحكومين. اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وعاملنا بعفوك ومغفرتك ورحمتك، وأقلنا من إقامة عدلك، وعاملنا بما أنت له أهل، وعافنا مما نحن له أهل. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

أضواء على الطريق

(لقد جاءكم العلم منذ سنين كثيرة عن طريق إنسان عرف القانون. بيَّن لكم أنه إذا ما جربه أحدكم جاءت النتائج دائما على ما عرَّفه. فإذا ما سمحتم للقانون أن يعمل كان حتما على النتائج أن تأتي).

(كما علمكم قانونا آخر أذكركم به.. لا يمكنكم الحصول على شيء في عالم المادة دون أن تدفعوا الثمن.. فكذلك أمر المعرفة وقيام الوساطة. إذا شغلكم تجميع المادة فإنكم قد تتخمون بطيبات عالمكم ولكنكم ستكونون فقراء جدا في عالمي).

(إذا سألتم أيا من الذين يعودون إليكم من لدينا ستجدونهم جميعا يقولون إن القانون صحيح، وإنهم لا يرغبون أبدا في العودة إلى عالم المادة. أنتم تبحثون عن السلام في خارج أنفسكم، وأنا أحاول أن أريكم السلام الأبدي في داخلها. إن الثروة إنما هي ثروة الروح).

عن هدي السيد الروح المرشد سلفر برش

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة محمد - ٢

٢ سورة الأنعام - ١٥٤

٣ سورة الحديد - ٢٨

(٢٢)

ضمير يتكلم
مع نفس تتألم

حديث الجمعة

٢ رمضان ١٣٨٠ هـ - ١٧ فبراير ١٩٦١ م

يا أيتها النفس المطمئنة: ارجعي إلى ربك راضية مرضية! أما سمعت يا أيتها النفس الحائرة؟ أيتها النفس الدائرة! أما آن لك أن تخرجي من دائرتك فتخرجين من حيرتك! زعمت الإيمان وقلت بالإسلام، ووهمت التوحيد، وجانبت التعديد، وادعيت القرب، وتخيلت الوصل، نطقت بما ليس له شاهد في القلب، وبما ليس له ظاهر من العمل، واكتفيت بالنطق وقصرت في الفعل، وتجنبت الوعي فزلت بك القدم.. تقولين ما لا تفعلين، فتزدادين بعملك مقتا من الله، وبصلاتك بعدا عن الله، وبمناسكك جفوة مع الله. تتعاملين معك بوهم التعامل معه، وتتحابين مع أوهامك بزعم المحبة له...

إلى متى؟! وحتامَ يكون هذا حالك؟! وكيف يكون به في الله مآلك؟! ها أنت تستودعين شعبان فهل خرجت منه ببيان؟ وإلى أي الشعبين رجعت؟ ومن أيهما صرت؟! وها أنت تستقبلين رمضان فهل تهيأت له بعرفان؟! ومن أي الرمضائين أنت؟! أمن رمضاء جزائك واصطلائك أم من رمضاء رجائك واستوائك؟!

أعلَمك من تزعمين متابعته، وتدعين مبايعته، وتتوهمين الصلاة عليه، وتزعمين الصلة به.. أعلَمك أن شهر شعبان شهره، وأن شهر رمضان شهرك. فهل عرفت شهره فعرفتيه؟ وهل عرفت شهرك فوفيتيه؟!

إنه في شهره مواقيت للناس ومواقيت للحج. إنه في شهره معارج للناس به وانحرافات للناس عنه. فيها تصاعد إليه وترقٍ فيه وتخلف عنه أو ارتباط به. إنه في شهره أسوة وقدوة. يبدأ هلالا من محاق، بدء الناس من أنفسهم بالحياة، ويتكامل بدر تَم يشرق في قلوب الناس من أنفسهم، يبعث في الناس من متابعيه بحقه، يسرى في الناس بنوره من نور ربه - وقد خرج من الظلمات إلى النور فيه -. إنه كمال الناس للناس. إنه شرف الناس للناس. إنه معنى الناس للناس. إنه قدس الناس للناس. إنه ذات الناس للناس وجها لرب الناس ملك الناس إله الناس، ثم يغيب في أحسن تقويم تكنزا ارتداد الناس

عن أحسن تقويم قنوطا ويأسا يتضاءل لعيون الناس نوره، وينمو في القلب سره، مسربلا بسربال حجابه من تخلقه، حتى يدخل في محاقه ختما بهلال كما خرج من المحاق بدءا بهلال، على سنن قانون الله، وفعل الله في الناس، وإرادة الله بالناس، وقيام الله في الناس، وعمل الله على الناس، وتداول الأيام والليالي بين الناس.

(شعبان شهري)[1].. نعم.. الشعبان منه، إنه الناس في ظلام خلق الناس.. وإنه الناس في إشراق قلوب الناس.. إنه الوجوه الناضرة.. إنه الوجوه التي عليها غبرة.. إنه الناس والناس نيام.. إنه الناس والناس قيام.. إنه الناس والناس موتى عن أنفسهم مبعوثين بالله، بعثا به. أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع.. لقد تخلينا عن أمرنا، وأمر أنفسنا، وأمر عزلتنا، وأمر أنانيتنا، إلى أمرك أنت أيها الحق، رسولا إلينا من غيبك.. قائما فينا وقائما بيننا من أنفسنا من شهادتك...

سيد الناس.. سيد الأجناس.. رب الناس.. ملك الناس.. إله الناس.. متى تُسفر للناس؟ لقد أعجمت وعن إقدام بالسفور أحجمت.. فمتى تسفر للناس وقد جد في الناس جديدك، وتكاثر في الناس وليدك؟ وتواجد في الناس من الشهداء عديدك؟

أيها الآب.. أيها الأب.. أيها السيد.. أيها الحق.. أيها الذكر.. أيها الوجه.. أيها العتيق.. أيها الطليق.. أيها الحر.. متى يسعد الناس بطلعة وجهك وجها لله، يؤمنون بك إيمانا به، ويؤمنون به إيمانا بك؟ يا عبد الله.. ويا عين الله.. ويا وجه الله.. ويا قدم الله.. ويا يد الله.. ويا رحمة الله.. ويا أقدس من ذواتنا في ذات الله.. روحا لله.. يا عَلَم الله.. ويا معلوم الله.. ويا عالم الله.. ويا وصلة الله.. ويا جبريل حق الله.. ويا ملائكة الله.. ويا أنوار الله.. ويا حملة عرش الله.. ويا عرش الله.. ويا كرسي الله.. يا عبد الله.. ويا معروف الله.. ـ عند العارفين بالله ـ ويا سر الله.. ويا كون الله.. ويا وجود الله.. ويا يد الله لوجود الوجود لله.. ويا عالم الله.. يا عالم عوالم الله.. ويا يد الله لخلق عوالم الله.. ويا بشرية الله.. ويا إنسانية الله.. ويا خلق الله.. ويا ذكر الله.. ويا قديم ذكر الله.. ويا جديد ذكر الله.. ويا محدث ذكر الله.. ويا ذكر الله.. - ما ذكرنا الله - يا رسول الله - ما كان لنا الله -.

نعم الشعبان شعبك، فالظلام سكونك، والنور إشراقك، والسر وجودك، والجهر قيامك، والعقل كتابك، والقرب وجهك، والتوحيد كونك، يا من عَرَف الله فعُرف الله.. ويا مَن وجَد الله فوُجد الله.. ويا من وحَّد الله فوُحِّد الله.. ويا من تخلق بخلق الله فتخلَّقت منه عوالم الله، وأكوان الله في وجود الله.

شعبان شهره: برجب الله وصلته، وفي رمضان الناس وجوده وشرعته.. إنه شهر أمته.. فيه يعمل الناس شيئا، ويقومون قياما، إن صلحوه به صلحوا، وله أدركوا. وإن كانوا في رمضاء يخرجون منها إلى رمضاء، فهو معهم يتبعهم، ويسمعهم، ويراهم ويستغفر لهم.. أمة مذنبة ولكن! لها أب غفور. ما عرفوه لهم ربا فعرفوه لهم قديما وجدًّا، وكان لهم في أنفسهم من الحق وجودا وودًّا.. لجأووه في السموات ولجأوا إليه في الأرض يوم يعرفونه. جاءوه بالتجمع عليه فردا عبدا للرحمن، ووجها للديان. أعدهم في أماكنهم من نفسه ووجوده إعدادا وعدا. وما ظلموه وربه مختلفين ولكن ظلموا أنفسهم - إذ جحدوه وربه غافلين - وعلى أنفسهم قاسوه فقدروه بوهم تقديرا لعبد لله - وما قدروا الله حق قدره فقدروا معنى العبودية له - وما عرفوا رسول الله، فقدروا العجز عن إدراكه فتقدر عندهم الله في عظمته من قربه وبعده.

كيف يقدرون الله وهو عليهم شهيد في قوانين كونه في وعيهم وفي عقائدهم وفي غيبهم - إذ هو غيب أنفسهم وظاهر ما يحيط بهم -؟ لم يخرج بهم من غيبه في إدراكهم، أو في وعيهم، أو في مسلكهم، أو في طلبهم، فكيف يكون غيبا من هو أقرب إليهم من حبل الوريد؟ غيبوه ففقدوه ولو طلبوه في أنفسهم لوجدوه.

وها هو رسول الله بينهم بنفس الكيل يكيلونه، وبنفس العيون يشهدونه، ومخاصمة لربه يخاصمونه. ولكنهم لن يفقدوه لأنه الرب الغفور على ما سوف يجدونه، لأنه الرحمة للعالمين، لأنه السيد الذي رأى السيادة في خدمة مسوده، ورأى العظمة في مقاربة أهل جحوده، وفي إكبار وتكبير موجوده.. إنه الغني عن العالمين.. إنه الفقير إلى ربه - ربا للعالمين - المستغني بربه عن كل ما عداه.. القائم بربه بعيدا عن كل ما سواه.. الظاهر بربه ولا ظهور لربه إلا به وبمعناه من أوائل عباد الله. ولا رحمة من ربه إلا به وبمعناه من رحمة الله. ولا تواجد لربه في متواجد فيه إلا بتواجده أو بتواجد معناه.

اقترنت الشهادة لله بالوجود والوحدة والأحدية اقترانها بالوجود له منه والرسالة به إليه، فالرسول من المرسل والمرسل إليه إنما هو ضمائر الناس إذا بعثت.. إنما هو قلوب الناس إذا حييت.. إنما هو عقول الناس إذا أشرقت.. إنه نفوس الناس إذا تزكت.. إنه قيام الناس إذا قامت لهم فيه به قيامة.. إنه بشرى الناس إذا ما انقطعت بقطيعتهم عن غير الله ندامة. إنه وحدانية الله.. إنه كلمة الله.. إنه روح الله.. إنه نور الله.. إنه وجه الله - ذكرا وحسا - إنه اسم الله - وجودا وقولا - إنه هدي الله - كتابا وعلما- إنه حق الله - طلبا وفقدا -.

هل طلبه الناس فطلبوا الله؟ هل أدرك فقده الناس فأدركوا فقدهم لله؟ كيف تقدرون الرسول؟ وكيف يقدر عند الناس الرسول؟ وكيف تدرك النفس شيئا من معاني الرسول وهي تتعدد معه؟ ما

أدركا إلا ادعاء! وغطرسة وكبرياء (نور الشرق وبأس العرب)؟! ما كان للشرق نور إلا بالرسول في تكامل نوره، وما كان العرب أولي بأس إلا به، وما كان العرب في بؤس إلا بالتخلف عن ركبه.. أعطوا العزة.. فما كان العرب في بيئتهم في عزة وقد انفرط عقدهم وتفرق جمعهم. ولكنهم أعطوا العزة برسول الله جمع شملهم.. أعطوا العزة برسول الله وحد صفهم.. أعطوا الدنيا برسول الله يسر أمرهم.. أعطوا الآخرة برسول الله قوم طريقهم.. أعطوا الكتاب برسول الله بين لهم.. أعطوا المال والجاه والسلطان برسول الله نشر سلطانهم.. أعطوا حسن الخلق برسول الله بُعث فيهم.. أعطوا كل شيء باجتماعهم على رسول الله بوصفه وتخليهم عن كل شيء بوضعهم.

فماذا فعلوا برسول الله؟ وماذا فعلوا ببيت رسول الله؟ أسوأ ما فعلت أمة بزعيمها وببيت زعيمها.. أدنأ ما قام به آخذ لمعط، بالمخاصمة لبيته حتى آخر لحظة من حياته، جابهوه فغفر كما هو له أهل. وما هيأوا لأنفسهم الفرصة أن يخرج من دنياهم وقد أدخلهم في دنياه وهي أخراهم.. حتى إذا ما احتجب جلبابه - الذي عرفوه - وقام جلبابه الذي أنكروه وجهلوه، وبظلام أنفسهم جحدوه، وعن عيونهم بأيديهم أبعدوه فحجبوه، فما آمنوه وما استأمنوه وما تابعوه، بل وما تركوه في شأنه. ولكنهم ظلما لأنفسهم ظلموه، وامتدت أيديهم إلى بيته فهدموه، وإلى ذاته فقتلوه، ودمه شربوه.. وليتهم بيقظة امتزجوه! فحيوه.. فبعثوه.. فقاموه. لو أن ضمائرهم استيقظت فذكروه لكانوا بعقولهم أدركوه، وبأنفسهم سعدوه، وغفورا لفعلتهم وجدوه، ووداد ليقظتهم عرفوه، فأنصفوا أنفسهم إن أنصفوه، وأحيوا أنفسهم إن عشقوه، وطلبوا الله إن بينهم وفيهم طلبوه، وبكوا غفلتهم يوم بكوه، فعرفوا جنتهم أكتعين يوم ذكروه، وبينهم قائما طلبوه، ولعرفوا ربهم يوم يقوموه، وأدركوا رسولهم يوم يفنون عنهم فيبقوه، وكتاب الله أنفسهم يقرأوه، ونور الله فيهم يسعدوه، وهدي الله طريقهم يعرفوه، وكلمة الله دواما يتبعوه.

ولكن أمة تغفل رمضانها، وتفقد شعبانها، ولا تلبي رجبها، مآلها لما تنزع إليه من الشوى بجهل شوالها. عذابها كان غراما يقدمون على جهنم بما كسبت أيديهم، ويقبلون عليها بما أشربوا من حبها، ويدانونها من أنفسهم لا يكرهون غرامها.

هل أدرك الناس أن دينهم، وكتابهم تجمع في مسميات من أشهرهم؟ ما ترك الرسول دربا من دروب الفكر، ولا طريقا من طرق العمل، ولا لونا من ألوان الحكمة، ولا أسلوبا من أساليب التعبير، ولا بابا من أبواب التذكير إلا قدمه لهذه الأمة. وما تركت هذه الأمة لونا من ألوان الإساءة، ولا أسلوبا من أساليب الجحود، ولا طريقا من طرق العمل الملتوي إلا قامته وسلكته، في مخاصمة له وهدما لنفسها بهدمها لبيته وعترته، بينما تتجدد وتتعدد تجديدا لأمور دينها. وما خاصمته سافرة، وما

نالت منه معبرة، وما ضرته فاجرة، ولكن في صورة الصديق الجاهل لباطنها أساءته ولنفسها ظلمته، فما في نفسها أحبته، وفي ظلامها نورا أدخلته.

(إن الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية)[٢]. وإن رسول الله لا تنفعه إجابة ولا تنقصه مخاصمة.. إن لرسول الله من الله في الله عين ما لله في نفسه. {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد}[٣]. إن من صار عبده صاره. لا يحتاج ولا يسأل بل يحتاج إليه ويُسأل. فما ظنكم برسول الله الذي شرَّفه بالعبودية له فشَرُف بالظهور به.. عبدا لله الذي لا يعرف له ابتداء.. عبد الله الذي لا يدرك له انتهاء.. عبد الله ورسوله.. عبد مرسله وعين مرسله، وعين من آمن به رسولا وعبدا.. إنه لا ينفصل عن محبيه ولا يتعدد مع مريده، كما لم يتعدد مع مربيه ومرسله وربه.. إنه تعالي الله يوم تعالى في ملكوته عبد الله. إنه تداني الله يوم تدانى في ملكه عبدالله. إنه رسول الله في صمدية الله، وفي أحدية الله، وفي واحدية الله، وفي وحدة الله، وفي وجود الله.

ماذا أدرك الناس، وهم يزعمون متابعته وما تبعوه، ولا تابعوه، ولا حتى في أنفسهم حاكوه أو قلدوه، لا بل ولا في ضمائرهم رضوه؟ أَربا طلبوه؟ أسيدا على أنفسهم عشقوه؟ أإلها كبيرا مدانيا افتقدوه؟ لا. لا. إنه على مثال من حاضر أنفسهم وصفوه، فما أدركوه، وما أدركوا أنفسهم في الله إذ أنفسهم فيه ما دخلوه. إنهم بأنفسهم فيه في نفس الله وما عرفوه. وإنهم بوعد الله في نفسه إن طلبوه، فجنة لهم دخلوه، وبابا لحضرة الله عرفوه، فتفتح فولجوه.

ولكن أين هم من فهم فيه، أو إدراك له، حتى يعرفوه أو يطلبوه؟ إنهم في رمضائهم يدعوه.. وما في أنفسهم قصدوه، ولا في قلوبهم عرفوه، ولا في أفئدتهم نزهوه.

هذا هو حال أمته على ما عرفتموه.. إن موعدهم الصبح وليس الصبح ببعيد. إنه فجر منامهم وختام أيامهم. إن موعدهم يوم تأتي سكرة الموت إذ تأتيهم بما كانوا عنه يحيدون، وله يفقدون وما يدركون، وكذبا ونفاقا يزعمون. فإن كذبهم ما سوف يشهدون وليس حقهم ما سوف يجدون. إنهم على ما كانوا في ظاهرهم من الحياة يبعثون، وعن أنفسهم دون غيرهم يعرفون.. كفي بنفسك عليك حسيبا، لقد كنت في غفلة من هذا، عمله سراب بقيعة، وجد الله عنده قائما على كل نفس.

فإلى متى يبقى هذا حالنا ننتظر ما لا ينتظر! ونجهل ما نحن فيه من أمر ومن قيام ومن خبر! نسأل الله أن يخرج هذه الأمة برحمته من هذه الحال، وأن يدخلنا وإياها بكرمه وجوده في أحسن الأحوال، وأن يهيئ لنا الأسباب فنزحزح عن النار وندخل الجنة عرَّفها لنا في نبيه وعبده ورسوله، أدخلها الناس يوم دخلوه، وعرفها الناس يوم عرفوه، وقامها الناس يوم قاموه. ولا جنة إلا ذلك، ولا

زحزحة عن النار إلا كذلك، ولا قيامة إلا ذلك.. ولا حساب إلا ذلك.. ولا ساعة إلا ذلك.. أما الذين يستعجلون بها خافية عن عقولهم بعيدة عن إيمانهم فهم في ضلال بعيد، والمؤمنون بها قائمة بهم فاعلة عليهم مشفقون منها ويعلمون أنها الحق.

هذا هو الحق من ربكم تبينه لكم السماء مرة أخرى على مثال مما قام به رسول الله فحمله فبلغه، مستعملا حكمته معاملا برحمته. فنسأل الله أن يهيئ أسباب الخير وأسباب الانتفاع لأمته، وأن يجعل لنا نصيبا موفورا من رسالة السماء برحمته.

اللهم اجمعنا برحمتك على عبدك ورسولك وطلعتك. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتولنا في الصغير والكبير من أمرنا وكن لنا حيث كنا، وعاملنا بما أنت له أهل، وعافنا مما نحن له أهل. اللهم خذ بيدنا، وأنر الطريق أمامنا، وسدد في الطريق خطانا، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك. وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا برحمتك. وخذ بيدنا وانصرنا حكاما ومحكومين على أنفسنا عبادا وعابدين وعبادا صالحين. لا إله غيرك إلهنـــا أنت يا رب العالمين ويا سيد الأولين والآخرين.

أضواء على الطريق

(إن أشق بند في مهمتنا هو عند ما يكون علينا أن نقف بجانبكم، ونشاهدكم تقاسون، ونحن نعلم أنه يجب أن لا نساعدكم لأنها معركة لروحكم أنتم.. فإذا كسبتم المعركة كسبنا نحن بكسبكم، وإذا خسرتموها خسرنا بخسرانكم. إنها معركتنا دائما في الحقيقة، ولكن يجب علينا ألا نرفع أصبعا للمساعدة).

(وكم سكبت الدموع في بعض الأحيان لأني رأيت المقاساة، وكان واجبي عدم المساعدة، ذلك هو القانون، لقد آلمني أكثر مما آلم المقاسي).

من هدي السيد الروح المرشد سلفر برش.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "رجب شهر الله وشَعْبَانُ شَهْرِي، ورمضانُ شَهْرُ أمتي." أخرجه الديلمي، وابن الجوزي في "الموضوعات"، وابن عساكر في "المعجم"، ويصفه غالبية المحدثين بأنه موضوع.

٢ من خطبة للإمام علي كرم الله وجهه من كتاب نهج البلاغة: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ...".

٣ سورة فاطر - ١٥

(٢٣)

دورة العبودية
في أولية العابدين
في الإنسان بآحاد الله

حديث الجمعة

٩ رمضان ١٣٨٠ هـ - ٢٤ فبراير ١٩٦١ م

أعوذ بالله معي من الشيطان الرجيم – مني -. وأستغفره من عزلة وجودي. وأشهده فيما أشهد لا موجود بحق غيره. وأومن به في إحساسي ووعيي، وأسترضيه برحمته وافتقاري، وأخشاه بعدله وقدرته، وأوحده بعلمه وحكمته.. لا إليه من هو غيره.. ولا موجود إلا من هو منه.. من وراء الكل محيط، وعلى نفوس الكل قائم.. عمت رحمته عموم قدرته.. لا إله غيره ولا معبود سواه - لا إله إلا الله.

وأشهد أن العبودية فيه، في العبودية له بعين العبودية لعباده بوحدانيته، بالإنسان يظهر، وبالإنسان يفعل، وبالإنسان للتدريك يتصف، وعن الإنسان بالعظمة يتنزه. في العبودية له شرف الظهور منه، وفي العبودية به شرف العمل بقدرته، عبده إنسانه، وإنسانه عبده. لا حقيقة إلا بالإنسان ولا إنسان إلا بالحقيقة. إذا ذكرت الحقيقة غيبا وإحاطة، كان الله غيبا، وتعالى الله عما يصفون وصفا، وإذا ذكرت الحقيقة شهادة، وأدرك المشاهد مشهودا، كان الله ظاهرا ظهورا ووجودا.. أينما تولوا فثم وجهه.. وكيفما تتأملوا فقد ظهر سلطانه وحكمه.. وكلما تعلمتم لتعلموا ظهرت حكمته.. وكلما مُكِّنتم أو عجزتم فقد بدت قدرته. بدت قدرته في المؤمن بتقديره بقدرة ربه، وقد تخلى عن قدرة نفسه. إن قدرة الله تظهر بكونه وعبده، فهما مظهر قدرته على مراده، تقوم فيمن لم يرَ لنفسه قدرة مستقلة عن قدرة ربه.. أما من رأى القدرة لله والضعف له، فتخلى عن تدبيره، ووكل إلى الله أمره، فعل الله به ما شاء الله، فعل الله به بما هو له أهل بحكمته وقدرته فأدرك العبد في فعل الرب به أعماق ضعفه، ومعارج مسكنته، فكانت العزة في الذل له، والقدرة في الضعف معه، والتدبير في ترك الأمر له.

خلق الله الإنسان في مراحل وأطوار وهو يعلم ما توسوس به نفسه، فهو الذي خلق فيه وسوسة نفسه، وجعل من وسوسة نفسه سورا وحجابا عما وراء نفسه من معية ربه له.. فكانت وسوسة نفسه سورا مضروبا بينه وبين حقه من معيته.. ظاهره من قبله العذاب وباطنه من قبله الرحمة.. حتى إذا نفخ في هذا السور باسم الله فتبدد واجتمع ما وراءه على ما أمامه، اجتمعت النفس بما بين يديها من عملها على معيتها من الحق بربها من ورائها محيطا بها، فزالت وسوستها، وقتلت وساوسها، فقلبت أوضاعها وانقلب في الوجود أمرها فصحت أنانيتها من أنانية للشيطان إلى أنانية للرحمن.. وصح لها أن توصف بالإنسان، وأن تتصف بالعبودية للرحمن، وأن تكون وجها للجلال والإكرام، وقربا للبعيد المتعال، القائم على كل نفس قريبا، بعيدا في المنال.

إن الناس يضعون بوساوسهم وبأوهامهم وبخيالاتهم وبجرأتهم على الحق، وعلى كلام الحق، وهدي الحق، ورسول الحق، وعبد الحق، وعين الحق.. يضعون بينهم وبين الحق من الله - وهو معهم - الأسوار والحجب. يظاهرونه وهم يستقبلون قبلة أنفسهم من أوهامهم وخيالاتهم. يتجاهلون الساعة وهم فيها يكاد يخفيها، وما أخفاها على من خشيه، وما أخفاها على من رضيه، ولكن الناس لا يسألون عمن خشيه، ولا يبحثون عمن رضيه، ولا ينقبون عمن عبده، لأنهم يرون في أنفسهم عبادا له. وحاشا لله أن يكون العباد فيه والعباد له على مثال مما يقومون فيه من غفلة عن معبود، وإحجام عن مشهود، وتجاهل للذكر الموجود.

هم خلق خلق الله، فما خلقتهم يد الله بعد، ولكن خلقهم عباد لله أحبوا أن يعرفوا أنفسهم، وهم لا يعرفون أنفسهم إلا بقيام معانيهم فيما خلقوا وفيما صنعوا.. الله صانعهم وما صنعوا، والله خالقهم وما خلقوا.. من غيب السموات والأرض.. إنه ما وراء الأرض وظهيرها.. به يقوم، وبه تفعل، وبه تنفعل، وبه تتواجد، وبه تتخلق، وبه تتحقق. به تتعالى وبه تتدانى.. وبه تفنى وبفنائها فيه تبقى، وهو ما وراء السماء كذلك.

يبدل الأرض من الناس، غير الأرض من الناس، ويقلب القلب من الناس، غير القلب من الناس، فيحيي القلب من الناس في الأصل الميت من ذوات الناس، بما أودع في هذه الكينونة، وفي هذا العالم الصغير، من عقل قدسي، خالق مدبر. القلب بيته، والذات كرسيه، والروح عرشه، والنفس قوائمه، والرحمن حقه، والله طلبه وغايته ومعناه في حقيقة وجوده.. لا غيبا يطلب ولكن قياما يرتجى.. تعالى في حقيقته وصفه، وتدانى بحقه ربه.

هذا هو الإنسان الجدير بأن يوصف بمعنى الإنسان، وأن يتصف بوصف الإنسان، وأن يذكر باسم الإنسان. علمه الغيب البيان فبان وأبان. بان به من علمه وأبان به من أحكمه.. وجها ذا جلال.. وقياما

ذا إكرام.. ابنا للإنسان، وحفيدا للإنسان، وجديدا من الإنسان باسم الإنسان وشرف الإنسان، فكان بمعناه أبا للإنسان، وجدا للإنسان، وبقاء للإنسان.

ها أنتم في هذه الأيام وفي هذا الشهر من الزمان تدخلون في سوق للإحسان، وتتشبهون في فترة من الزمان بصفات الرحمن، فتمسكون عن الطعام وتتخلقون بأخلاق الديان، بأخلاق ربكم وحقكم من الله، بأخلاق إنسان قيومكم، وإنسان قيامكم، بإنسان ربوبيتكم، بالقائم على كل نفس من بنيه، بإنسان أديمكم استوفى كلماته، وأبرز الله به آياته، وأمسكته يد قدرته، فكان غيبا في شهود الله من عالمكم، وكان ظهورا في غيب الله من عوالم له.

اذكروا ربكم في أنفسكم. اذكروا إنسان بدئكم.. اذكروا إنسان وجودكم.. اذكروا إنسان حياتكم.. اذكروا إنسان أبوتكم.. اذكروا آدمكم.. اذكروا به رسول الغيب إليكم.. اذكروا بعثه رسول الله لكم.. اشهدوا أن محمدا رسول الله وانبعثوا به في أنفسكم. ما بعث آدم في ذات محمد إلا ليشهد الناس فيه أباهم، في معنى ولدهم وأخيهم، ويشهده الناس في أبنائهم في معنى دوام حياتهم، ودوام وجودهم، على مثاله من أبيه، وعلى بنوته من آدمه، سيدا لولده، وجديدا لذاته، وعبدا لحقيقته.

لقد جاءنا رسول الله بالإنسان في معناه، في أي صورة منا ركبه. من تولاه تتواجد له بيننا مركباته منا موحدة في ذاته، وذاتا مشتتة في أصحابه، وقياما قديما مجددا في أصله وفرعه في دوام جنسه. فيه كانت قضيته هي قضية الناس في الله.. وكانت قضيته هي قضية الله في الناس.. لقد كان إنسانا في قيامه وبعثا لإنسان من قديمه، وأصلا لإنسان في مستديمه يقوم ويتقلب في الساجدين، بدءا من ذات وجوده كما قام وتقلب في الساجدين من النبيين والشهداء والصديقين قياما وذاتا من قديم ذاته في مواصلة وجوده، وجوده.

إن محمدا على ما ظهر بين الناس هو محمد على ما يظهر للناس، هو محمد على ما كان في الناس من الناس. والناس هم الناس، ومحمد هو محمد. محمد ثمرة الناس واصطفاء الله من الناس، وصفوة الكمال إلى الناس من الناس.. ومحمد هو أصل الناس، وآدم الناس، وآدم كل الأجناس، فهو صفوة الناس، وفرع الناس، وأصل الناس، وكل الناس. من عرف محمدا فقد عرف نفسه. ومن عرف نفسه في محمد فقد عرف ربه. ومن عرف محمدا في معناه فقد عرف الله. هل آن لنا أن نعرف محمدا؟ هل آن لنا أن نعرف أنه الحق من الله؟! هل آن لنا أن نعرف أنه الرب من الإنسان؟! هل آن لنا أن نعرف أنه الحساب والعقاب من الديان؟ ما حيا من فقده، ولا موت لمن كسبه، وقد هلك من حاسبه. هل آن لنا أن نعرف أنه نور الحياة، ونور الكتاب، ونور البعث، ونور القيام، ونور العلم، ونور الحرية، ونور الانتشار، ونور العتق، ونور التحرر، ونور السعادة، ونور السكينة، ونور الرضا، ونور الوحدانية؟!

هل عرفه الناس؟ هل عرفه أصحابه؟ هل عرفه أتباعهم؟! هل عرفناه متابعين؟ هل عرفناه بالرسالة له شاهدين؟ أبيقين.. أبإيمان.. أبتسليم.. أبتصديق.. نشهده رسول الله؟! ونحن نغيبه معنىً، وطريقا، وكتابا، وذاتا، وبيتا، ومثالا، ووجودا، وحقا.

جعل للناس أسوة فما تأسى به الناس، ولكنهم عن أنفسهم أبعدوه باسم الإكبار له فضيقوه وهو الواسع فكانوا له الصديق الجاهل. وجعل للناس في دوام بتكاثر معناه، حفظ فيه الذكر، وقام في دوام به الأمر، ويسر وانبلج به الفجر، وانقشع به الظلام، ووهب به الدفء، وبعثت به الحياة، ولكنه أصبح أسطورة من أساطير الحياة، لا تختلف أسطورته عن خوفو وخفرع ومنقرع عند قومه.. يذهبون إلى بلاده التي أبرزته ومن أرضها أظهرته سواحا متفرجين.. كما يأتي الأمريكان أو الفرنسيس أو الإنجليز أو غيرهم إلى أرض الفراعنة ليشهدوا أهرامات الفراعنة سواحا متفرجين.. بل قد يكون هؤلاء السائحون أصدق في حجيجهم، وأحرص على الكسب في رحلتهم لأنهم يقرأون عن الفراعنة مكبرين، ويتتبعون حضارتهم خاشعين، ويتذاكرون عظمة الإنسان متأملين، ولكن سواح الرسول يذهبون بعقول مغلفة، وبآذان مغلقة، وبأبصار مقفلة، فيعودون كما ذهبوا، لا متأملين ولا متدبرين، ولا باحثين، ولا مقدرين، ولا واعين.. يعودون من حجهم بوهمهم غارقين.. ولو حجوا لعادوا بالله ورسوله في أنفسهم مدركين. ولكنهم ما ذهبوا عاشقين، ولا متذكرين، ولا متأملين، ولا خاشعين، فهم على مكانتهم يمسخون وعلى حقهم معهم لا يمسحون.

هذا ما آل إليه أمر الدين.. ها نحن في رمضان نحتفل بهذا الشهر من أشهر العام، ونحرص على الإمساك عن الطعام ونرى في ذلك كفاية عن معاني القيام في الصيام. نمسك عن الطعام جزءا من اليوم نتهيأ في ختامه ونتحضر لابتدائه بشهوات الطعام في السحور والإفطار، ونقلب وضعه من شهر صيام لشهر طعام، فنذهب بفضله ونضيع حكمته. ولو أنا انتفعنا بهذا الشهر على ما رسم لنا لخرجنا منه بحصيلة لا يستهان بها، وتخلصنا من صفات لا بأس بقسطنا من التخلص منها.. ولكننا نسمع فقهاءنا يعدوننا وما يعدوننا إلا ضلالا، ويبصروننا، وما يبصروننا إلا بهتانا وخيالا، لأنه لم يلمسهم من الله كلام، ولم يقمهم في الله صيام. وما الصيام وما القيام وما الدين إلا ما رسم لنا الله في أن نكون مع محمد ولمحمد، وأهلا لمحمد، وفي بيت لمحمد، وفي وصلة بمحمد، وفي تسليم لمحمد، نستقبل سكينة من محمد هي سكينة من الله.

إن الدين كله يدور حول محمد. إن محمدا هو مؤسس دين الإسلام ومؤسس دين الفطرة الذي كشف الله به لنا عن وجهه الكريم من وراء الكل، ومن وراء كل شيء محيط، وعن يده الممتدة بكرمه في عباده، وعن نفسه المتجددة الدائمة في دوام خلقه، وعن نفسه المنتشرة باستحالة غيره،

وعن وجهه المقصود لمرايا القلوب، وعن صفاته لا تتعطل، ولا تنتهي، ولا تبدأ، ولا تخفى، ولا تنقص.

إن الدين يدور حول الإنسان، وفهم الإنسان، ومعنى الإنسان، وقيام الإنسان، وقيوم الإنسان على قائم الإنسان بإحسان في قديمه لا بدء له، وفي جديده لا انتهاء له، وفي حاضره لا غيب ولا انقطاع له.

في هذه الكلمات القصار كان الدين في معرفة الإنسان، وكان الإنسان في معرفة الدين.. في هذا تقوم حقائق الأديان، كما تقوم حقائق الديان، فيعرف الإنسان حقائق الإنسان. وبعيدا عن هذا لا يكون إلا الضلال والزور والبهتان. فهل جعلنا من هذا الموسم.. من هذه السوق للرحمة والإحسان بشهر الصيام فرصة لأن نتحدث، ونتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر في الله قائما علينا.. قائما بنا.. ظاهرا في بقائنا به، لا إله غيره ولا معبود سواه، محمد عبده ورسوله، ومحمد وجهه وحقه؟ نسأل الله لنا ولكم التوبة والمغفرة.

أسأل الله لي ولكم أن يحونا عنا إلى محمد فيه، وأن يعبدنا لعبده فيه، وأن يقيمنا بعبده منه، وأن يحيي قلوبنا به وعقولنا بنوره، وأن يقوّم جوارحنا باقتدائه، وأن يجعل نعمته في نزول سكينته على قلوبنا، وأن يجعل قيامتنا في قيام رحمته بنا ربا غفورا راحما لا يدين أبدا.

ونسأل الله ببركته أن يجنبنا الفرقة والخصام، وأن يرزقنا الألفة والوئام، وأن ينزل على أرضنا وأنانينا وبشريتنا الأمن والسلام، وأن يعلي كلمة الحق فينا، وأن يعلي كلمة الحق علينا، وأن يعلي كلمة الحق بنا، وأن يولي أمورنا خيارنا، ولا يولي أمورنا شرارنا بسوء عملنا وبعدله فينا، وأن ينصرنا على أنفسنا.. حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائه في أنفسنا لا إله غيره ولا معبود سواه.

(٢٤)

صلاة
جمعة القيام
ويتيمة الصيام

حديث الجمعة

٣٠ رمضان ١٣٨٠ هـ - ١٧ مارس ١٩٦١ م

أستغفر الله استغفارا أرجو برحمته أن يشملني ويشمل الناس جميعا. وأحمده تعالى حمدا برحمته أرجو أن يشملني ويشمل الناس جميعا. وأستعين به استعانة أرجو برحمته أن تكون عونا لي وللناس جميعا.

عباد الله: اذكروا الله كثيرا في أنفسكم، وفيما حولكم، وتأملوا أمره في أمركم، وتأملوا قدرته في خلقكم، وتأملوا رحمته فيما يحيط بكم من حياتكم. لا تبتعدوا كثيرا عن حاضركم، متأملين، قارئين، متتبعين. واعلموا أن الحاضر - وأنتم تبيتون فيه وتصبحون وتقيمون فيه وتغدون - إنما هو عين أمسكم، وإنما هو عين غدكم. فلا تباعدوا بينكم وبين حقائق الله بالمباعدة بينكم وبين حاضركم متبصرين مدركين.

لو اطلعتم الغيب من أمركم لاخترتم الواقع من قيامكم. ولو عرفتم أن غدكم إنما هو عودتكم ليومكم، وأن أمسكم كان قديما من حاضركم وقيامكم، وأنكم بهذا الحاضر المدرك المشهود لكم أرواح مخاطبة من أصلكم وإنسانكم بألست بربكم! مجيبة ملبية بمراده فيما أراد بها من حكمة خلقها وإيجادها.. لبت كلها بلىَ عن بكرة أبيها، وأن بعثها من أمسها ما هو إلا قيامها بيومها، وأن بعثها في غدها ليس أكثر من تواجدها مرة أخرى على صورتها من قيامها، على مثال مما جاءت به في يومها من أمسها، لا تغيير ولا تبديل. {صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة}[1] قيامتها في كشف الغطاء عنها، وساعتها في يقظة الضمير منها. والإنسان بين خلق وحق. فهو في لبس من خلق على ما خلق في يومه بأخلاق أمسه من حقه. وهو في حق ما تحرر من حاضر خلقه إلى حق أمسه بالحق في غده من خلقه.. فإذا قدرت

له إلى الأرض عودة كانت له على ما هيأها عودا بحق أو عودا بخلق.. فإذا عاد بحق - وهذا هو القليل النادر - كان صاحب دعوة وصاحب رسالة وصاحب معنى. وإذا عاد بخلق كان صاحب مجاهدة أو صاحب معاندة. فإذا عاد بحق ظهر في مجاهدة ميسرة، وعاد في حياة موفقة، وعاد في يقظة محققة. فإذا تحجب بخلقه عن حقه واصل حياة من المعاندة، وقياما من المكابرة، وصورا من الغفلة. وهو في غيبته حتى عودته في نعيم عمله أو جحيم غفلته.

هذا هو الإنسان في شقيه من الخلق والحق، وفي داريه من الغيبة والعود. يعمل في دائرة مجاهدته أو في دائرة مكابرته ومعاندته بنظامه الذي تشهدون.. فردا في أسرة ورأسا لأسرة.. فردا في أسرة من الحياة المادية ورأسا لأسرة من الحياة المادية.. فإذا صلح بشقيه من أسرة انتسابه وأسرة اكتسابه صلح للحياة الحيوانية، صلح للحياة الدنيوية والحياة الأخروية.. صلح للحياة.. صلح لوصف البشرية.. صلح لوصف الإنسان.. في أي صورة ما شاء ركبه، إنسان ربوبيته.

إذا عرفنا ذلك.. عرفنا أن عنوان المحبة الرتق في الحقيقة، وعنوان المسغبة هو الفلق في الخليقة، وكانت المعرفة إنما هي في اجتماع كائنين في نجوى عنه ومحبة له.. في مجال خلقهما وفي مجال حقهما، يثمر اجتماعهما ثالثا لهما من مجاليهما من حقهما ومن خلقهما.. فهم في خلقهم بإثمارهم شجرة من نواة تجمعت أجزاؤها وارتفع بناؤها وقد طابت كلمتها.. وما كلمتها إلا كلمة الله، إلا ذكر الله، إلا النجوى في الله رابع ثلاثتها بأحدية حقه في وحدانية هذا الثالوث الخلقي من الخلق.

البيت.. البيت.. المؤسس.. البيت المتجمع.. البيت ذي اللبنات من الناس.. البيت ذي الوحدات.. البيت ذي الأركان.. البيت الذي هو عنوان البناء، وعنوان البنيان، وعنوان الباني.. ثلاثة رابعهم كلبهم، وثلاثة رابعهم ربهم.. ثلاثة ليسوا بثلاثة ولكنهم واحد جمعته المحبة.. قاموا أمرا لله وجددوا وحدانية خلق لله بحيوانية أنشأوها على حقية حققوها. فمثل الكلب بأمانته وأنفه مظهر الحيوانية لهم.. وقام الله بحق الوحدانية بهم عليهم.

إن الإسلام تكلم وعرَّف، وأمر، ووجه، وهدى في أمر اجتماع الناس على من يؤمهم، وفي أمر اجتماع الناس في كل أسرة على من يقدمهم، وفي أمر اجتماع الناس من ذكر وأنثى بما شرع وعلى ما رسم ليكونوا زوجين في الله.. فيه يتناجيان وبرحمته وبعطائه يتناسلان.. في الدوحة الأزلية للإنسان.. لا بدء لها.. الله بدايتها ولا بدء له.. ولا انتهاء لها.. الله نهايتها ولا انتهاء له.

القيامة إنما هي في قيام الحق على مفرداتها، وعلى أسرها، وعلى مجتمعاتها. القيامة إنما هي قيام الحق في أنديتها.. في سرها.. في نجواها.. في علنها.. في جهرها.. في فعلها.. في قولها.. في انقطاعها.. في

التئامها. عذابها في فرقتها وفي تقطع الأسباب بين مفرداتها، في تجاهل وحدتها من قيامها - جزاء فعلها وجزاء إرادتها -.

ليس هناك من مجهول عليكم بعيدا عما هو كائن بكم. إن بدء الحياة على ما تشهدون في إدراككم كيف بدأتموها، وانتهاء الحياة فيما تشهدون كيف تنهونها. وإن البعث إنما هو في عودتكم إليها.. وإذا عدتم إليها فأنتم بين مكرمين وبين مهانين على ما تشهدون من كرم أو هوان في أنفسكم فيها.

إن الذين خدعوكم بجهلهم وكتبوا كتابا بأيديهم وحرفوا الكلم عن مواضعه، تحدثوا إليكم قبل أن يتحدثوا إلى أنفسهم. تحدثوا وقلوبهم لم تصغَ.. تحدثوا وعقولهم لم تستنر.. قاموا على الناس وهم غبار الأرض أصاب العيون بالأذى، وحجب عن أهل الأرض أضواء السماء وصفاء السماء.. وحقائق السماء، ووجوه السماء بينكم تُرى في صفاء النفس، وفي جلوة القلب لراءٍ عكس بصره في بصيرته فرأى، وتأمل في نفسه فوعى، ولم يفرِّط في أمره فرعى، جامعا جوارحه على وجدانه من عقله وبنيانه، جامعا غيبه على حسه، وماضيه على حاضره من أمره.. لم يكن أمره فرطا، لم يفرط في أمر نفسه، وعلم على ما علَّمه المعلِّم - أن الله قائم على كل نفس - وعلم أنه بقيام الله على كل نفس كان لكل نفس قيامتها ودنياها، وآخرتها وحسابها، وعقابها وجزاؤها وعطاؤها.. جنتها فيها ونارها منها.. قطوف الجنة دانية ما جناها وألم النار مبرزا ما أدركه.

إن الذين غيبوا حقائق الأديان عن عباد الديان ضل سبيلهم وأضلوا فما كسبوا إلا ضلالا لأنفسهم وضلالة للناس. إن الذين أمروا ولا معروف لهم، ولا معروف في أمرهم، ولا معروف في قلوبهم، ولا معروف في عقولهم، ولا معروف في نفوسهم، إنما يدعون إلى جبلتهم من تراب الأرض، وإلى كتاب أنفسهم من إدراكهم، ولا مصدر للإدراك فيهم. هم شياطين الإنس يعوذون في أمرهم بمثالهم من شياطين الجن. وحيهم العزة والغرور ووصف فعلهم الفجور. لا يريدون أن يحكموا على أنفسهم ولكنهم يريدون أن يحكموا على الناس وهم نيام لم يستيقظوا بعد.

إن اجتماع كائن بشري اكتسب وصف الكينونة البشرية على كائن بشري اكتسب وصف الكينونة البشرية وهو أمر في الإنسان - إذا تم هذا الاجتماع بهذا الاتصاف - كان الأمر أمرا جللا.. لأنه اجتماع عالمين.. لأنه اجتماع أمرين لله.. لأنه اجتماع حقين في الله.. لأنه اجتماع شقين من حقيقة.. فيها الله بمحبته.

يوم اجتمع عبد الله بآمنة، ويوم اجتمع محمد الله بخديجة، ويوم اجتمع العليُّ في الله بنفسه في فاطمة، هذا الثالوث من التجمع المتعاقب، هذا الثالوث من التجمع المحيي لأسر بعثه، أحيا الله فيه بعبد الله وآمنة قريشا، وأوجد به فيها أمرا، وجعل به لها رزقا، وجدد فيه لقديم الإنسان بيتا.

ويوم اجتمع محمد بنفسه تتكامل في خديجته تبحث عن كمالها، وتفكر في حقي شقيها، وتواصل تجربتها وتسعى هي لبعلها، جدد بها في الإنسانية أمومة.. أمومة شاملة راحمة.. أمومة كاملة. جمع فيها باجتماعها على بعولتها من الخلق في سبق أزواجها، وعلى بعلها من الحق بختام ازدواجها، فكانت عنوان الرحمة الكاملة، وعنوان الأمومة الواسعة الشاملة.. أم أبنائها.. أم بناتها.. أم ذريتها.. أم حقائقها. كانت بدءا يظهر على الأرض ولا يلبث أن يختفي عودا إلى عالمها.. إشعارا بوجودها وتدريكا بأمرها...

فكان الرسول بها رحمة للعالمين حقا، وكان للأمومة الكاملة بعلا وللناس أبا، فكان بذلك لحق في الله بدءا، ولعالمه الوليد تجديدا لقديم مما هو فيه بوصفه عبدا لله. فكان بجديد عبوديته لقديم عبوديته إلى مجددها منه رسولا لله. منه تواجد الرسل في أمته بعثا، وجوها له - وبه عمل الرسل في أمته أيدي له، وبه سار الأئمة في أمته أقداما له.

هذا هو رسولكم.. هذا هو نبيكم.. هذا هو إمامكم.. هذا هو فرطكم على الحوض. ينسب جهلاؤكم له شفاعة من وضعهم وينكر جهلاؤكم عليه الشفاعة بجحودهم. وما شفاعته إلا إدراك قيامه في جدته منكم بينكم لتكونوه. وقد جدد نفسه بينكم قبل أن يفارق، وجددت نفسها قبل أن تفارق، جددها بالعليِّ من صحبه.. جددها بعَليٍّ من صحبه - بعلا على مثال من بعولته - جددها بفاطمة من نفسه على كمال من خديجة، في تجديد خديجته.. تجدد برجولته وأبوته، وتجدد بأنوثته وأمومته.. تجدد بإمامته، وتجدد برحمته.. في زوجين تأسس بهما بيت له، كما تأسس به وبخديجته بيتا لأبيه، كما تأسس بأبيه وأمه لله بيت جديد من قديم فيه فكانت مفردات أمره ليست مفردات من الناس، ولكنها مفردات من البيوت ترفع وتوضع حتى يكون لكم به أسوة، وحتى يكون لكم بالانتساب لأمره عزوة، وحتى تكونوا إن صدقتم فيه مفردات في بيت وأسرا في بيوت. لقد كان في الله جماع كلمات، وعقد آيات، وكتاب بينات.

هذا دين القيمة.. هذا دين كمل للناس به أمرهم، وقيامهم، وشأنهم، وغايتهم، وصرحهم، وهدفهم، ورجاؤهم.

كلكم راع.. خيركم خيركم لأهله.. كلكم أبناء للإنسان.. كلكم الله قائم على كل نفس منكم.. اذكروا ربكم في أنفسكم، بعثكم، قيامتكم، جنتكم، ناركم، حسابكم.. فيكم. ربكم فيكم من بينكم، وإلهكم عليكم منه أنتم. حاسبوا أنفسكم، موتوا قبل أن تموتوا. إن غدكم سوف لا تجدون فيه إلا محاسبتكم لأنفسكم، وقيامكم بأنفسكم في أنفسكم على أنفسكم. جل الله عما تصفون فإنه لا يوصف، وعز على ما تتصفون فإنه لا يتصف. إنه قريب أقرب إليكم من حبل الوريد. ولكنكم تجهلون أو تتجاهلون.. وهو الأكبر مما تتصفون، وهو الأكبر مما تقومون، وهو الأكبر مما تصدقون، وهو الأكبر مما تتطهرون، وهو الأكبر مما تتطورون. إنه الأكبر دائما وأنتم بالعبودية له الأصغر دائما وبغير العبودية له لا تتواجدون. وأنتم في صوركم من عوالمكم اليوم ما تخلقتم وما خلقتم إلا بما تتخلقون وبما تصنعون.. مثقال ذرة من خير ترونه ويراكم، ومثقال ذرة من شر ترونه ويراكم. إنكم من عملكم تتواجدون على ما تتهيؤون، فإلى أي أهل بيت تنتسبون؟ وإلى أي أهل تدعون؟ أإلى أهل الرحمن عبادا للرحمن تدعون؟ وأبناء للإنسان تتواجدون؟ أم مع الشيطان بعزة تعتزون؟ وعلى العزيز به في الخلق تتعالون؟ فأسرة الشيطان تنسبون؟ وبيته تطوفون وتدخلون!

إلى متى عباد الله لأمر الله تتجاهلون؟ وللحق في قلوبكم تغيّبون وعنه تغيبون وهو معكم وما تدركون؟ اذكروا ربكم في أنفسكم أيها المستيقظون وعنه لا تغفلوا. فإن فعلتم فإنكم إياه معكم سوف تجدون وبقليل من الجهد له تدركون. يظهر لكم فيكم باعتقادكم فيه فلا تُصعقون، كما صعق في مشهده الأولون.

هذا هو الحق.. هذا هو الدين.. هذا هو الإسلام.. هذا هو اليقين.. فإلى متى نغفل؟

نسأل الله أن يوقظنا إلى أمره، وأن يهيئنا في أمره، وأن يقومنا بأمره، وأن يقيمنا في الناس على أمره. نسأل الله أن يبعد عنا فتنة أنفسنا، وجحود أنفسنا، وضيق أنفسنا، وجهل أنفسنا، وقنوط أنفسنا، ويأس أنفسنا، واستعلاء أنفسنا على ضعفها، وأن يجعل منا نفوسا طليقة برحمته، مدركة طيعة لأمره، متقبلة لفيوضات حكمته.

لا إله غيره ولا معبود سواه والله أكبر.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا. اللهم وفقنا وسدد خطانا، واهدنا سبيلنا، وخذ بيدنا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، أئمة ومتابعين.

أضواء على الطريق

(عندما بدأنا عملنا، احتقرنا الناس وأشار أصبع الازدراء إلى مجهوداتنا الهزيلة، مستهزئين، ساخرين، قائلين (مديرو المناضد) ولكنها كانت جزءا من عمل جبار، وببطء نما تأثيرنا وانتشر. وكل الذين أمروا في دنياكم بتحمل الخدمة الرفيعة في جنبات الحياة جئنا بهم إلى دائرة تأثيرنا. اخترناهم لأننا عرفنا أن شهادتهم سوف يحترمها الجميع إلا الذين عميت عيونهم بالتعصب وحُجبت بصيرتهم بالخرافات).

من هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ١٣٨

(٢٥)

عيد

حديث العيد

١ شوال ١٣٨٠ هـ - ١٨ مارس ١٩٦١ م

عيد.. عيد قديم في جديد. عيد.. عيد جديد في قديم.

عيد.. عيد ظاهر من غيبه. عيد.. عيد غيب من ظهوره.

عيد.. عيد الآباء في الأبناء. عيد.. عيد الأجداد في الأحفاد.

عيد.. عيد الإنسان إلى ربه. عيد.. عيد الرب إلى عبده.

عيد.. عيد قديم الزمان في حاضر الزمان من حياة الإنسان.

إن العيد لمن لبس الجديد، لمن لبس الجديد من أمره، لمن لبس الجديد من وصفه.

إن العيد لمن جاهد نفسه فغيرها، أماتها فأقبرها، ثم طلبها فأظهرها، ثم تعهدها فأحياها، أنارها فزكاها ثم نشرها فأرضاها.

إن الإنسان يدور حول نفسه، ولا يدور بنفسه في دائرة أمره. إن الإنسان يجهل معناه كإنسان فيغيب عن وجوده مولاه، وهو معه حيثما كان، وأينما كان، ومتى كان. قائم على كل نفس، أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، من وراء كل نفس محيط، كل نفس له وجه نضرت أو قترت، أشرقت أو غبرت.. إنها وجهه.

إن الإنسان يسعى ويكدح ليعرف، ليعرف له بيتا، إذا استيقظ منه العقل، واستيقظت منه النفس. فهل فكر - وهو النائم الشارد - في بيت يأويه؟! هل أحسن الظن في بيت بوصف بيت الحق له، بيت المأوى له، فطافه حتى يستجليه؟! لو فعل لهدي لبيت الحق فعرفه، فطافه، فتحققه فوقف عند بابه باكيا مستنجدا لأهله، مستعطفا أهله، طالبا اللحاق بأهله، ففتح له الباب فدخله فأصبح من أهله، فصلى منه على الناس كما صلى إليه على أهله مع الناس.

هل عرف الناس معارج الدين، ومعارج الإدراك، ومعارج الفهم، ففكروا أن الدين يقوم على بيت ليتيم، وعلى طعام يقدم من مسكين؟ وأن الناس إن فعلوا جددوا في البشرية نسبهم، وجددوا في الطبيعة انتسابهم، وجددوا بالله علاقتهم وإدراكهم؟ الناس نيام لا يقظة لهم إلا بموتهم عن أنانيتهم إلى أنانية مرتضاة منهم ومرتضاة من الله من قبل ارتضائهم.

المسيح.. الكلمة.. العبد.. الرسول.. لمن يمسح؟ وفيمن يمسح من هو مسيح؟ وكلمة من؟ ويعنون من؟ من كان أو من يكون كلمة؟ إن الكلمة ضربت مثلا للمسلم، بابن مريم في الإسلام، الذي جعل من كل مسلم ابنا لمريم إذا كان ابنا لفاطمة.. أم الأمة وسيدة نساء الأمة، وأم الأمهات من أزواج الرسول في عصر الرسول، وفي حياة الرسول، وفي فعل الرسول بالنسبة لأصحابه، فإذا ما غاب الرسول قامت الأم أم نفس الرسول على رسالة الرسول قامت أم أبيها.. أم الناس.. زهراء الجنس.. الناس ثمارها ما صدقوا في الله، والكلمات أبناؤها ما وفوا.. روح رسول الله.. أم محمد الله.. بعث آمنة من خلال خديجة.. مظهر البعث القريب والبعيد.. إنها الثوب الجديد لحواء قد ظهر، وقد عيد، من آدمها مع آدمها، ومن حقيقتها بآمنتها عاد آدمها ووليدها.. أم أمها وأم خديج نفسها.

إن الإيمان بمحمد.. إن الإيمان بدينه.. إن الإيمان بملته، بشريعته، بهديه، إنما يقوم على البعث، ويقوم على الإكبار لله في شقي الإكبار والتنزيه له، من شدة قربه حتى لا شريك له بلا إله إلا الله، وبعظمة العبودية فيه ذكرا لله محدثا للناس من ذكر لله تقادم عن الناس.. من الله أكبر، لا يدرك ولا يحاط ولا يوصف ولا يتسمى ولا يتسم ولا يشابه.. لم يكن له كفوا أحد.

فالناس في دين محمد باحث، فطائف، فطارق، فداخل، في بيت الله موضوعا ذكرا محدثا ببيت محمد من بيت مرفوع لذكر قديم بآدم. {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها}[1]. فما أمر محمد أن يعلم طالب علم، إلا إذا دخل بيته، فيعلمه كيف تكون الصلة بالله. أما ما بين الناس، أو ما بين أيدي الناس، مما حمل إليهم عن عصره وبلاغه، جيلا بعد جيل، فإنما يقوم على التذكير بهذا الأمر.. {أرأيت الذي يكذب بالدين}[2] فذلك الذي يدعك أيها اليتيم، اليتيم عما انتسب إليه الناس من خيرات الدنيا، أو من خيرات الآخرة، فكانوا عبادا للدنيا أو عبادا للآخرة. اليتيم الذي اقتصر انتسابه وطلبه على معرفة نفسه من ربه، والذي طلب المزيد من المعرفة في إدراكه للعجز عن معرفة نفسه، فأدرك العجز عن معرفة ربه وعرف أنه لا يحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن ما أحاط به من العلم عن نفسه إنما هو إحاطة بالعلم عمن علمه، فعلم أن العلم في نفسه لا يتوقف أبدا، ولا يجز سرمدا، وعلم أن النفس علم عن معلومها. وعرف أن العبودية في الله معنى لا يفارق موصوفه في الإنسان مهما ارتقى فلو أصبح ربا فهو عبد، ولو أصبح إلها فهو عبد، ولو أصبح غيبا لشهادة فهو عبد، وأن شرف الإنسان في أن يكون

عبدا، وأن شرف الجان في أن يكون عبدا، وأن عطاء الإنسان والجان في أن يتجدد عبدا لعبوديته، وأن يبعث عبدا من عبوديته، وأن يرتقي ربا بعبوديته على عبوديته، وأن يصير عبدا لعبودية ربوبيته من نفسه.. أن يصبح ولدا وأبا وجدا بوصفه بعيدا عن معناه في آن واحد.. أن يتصف بثالوث الوصف ويبتعد عنه في وقت واحد.. أن يكون ابنا لأب يعلمه بوصفه أبا له، وأن يكون أبا لابن يعلمه بوصفه ابنا له، كما يعلمه بوصفه أبا له بعثا لأبيه من خلاله، فيعلمه روحا لهما من وصف أبيه إلى وصف ابنه.

إن العبودية في الإنسان والربوبية للإنسان إنما هي دورات حياته في الله يدور ويدور ويدور.. يظهر آدما ويذهب آدما، ويأتي ولدا لآدم أو كلمة لآدم أو مسيحا لآدم.

هذا ما علمناه رسول الله. هذا ما جاءنا به عبد الله ورسوله فكان لنا آدم، وكان لربه كلمة لآدم، وكانت دوحته الزهراء منه ولدا له وكلمة منه، وكنا ما كنا في هذه الدوحة له أبناء. {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}[٣]، (المهدي ولدي)[٤]. (أنا جد كل تقي)[٥]، (فاطمة ابنتي روحي، من أغضبها أغضبني، ومن أغضبني أغضب الله[٦]) ، {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين}[٧]. {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٨]. هو لنا أول العابدين، وهو لنا أول الخلق، وهو لنا أول الحق، وهو لنا أول الحياة، وهو لنا كل ما تخيلناه، أو نتخيله من أولية في الله. إننا إليه ننتسب، ومنه وجدنا، وفيه نتواجد، وإليه نعود. هو قبضة نور الله اللانهائي في وصفه والغير متصف عنده. هو نور السموات والأرض الذي يجب أن نتخذه وكيلا. إنه نور السموات والأرض وأكبر من ذلك لو أدركنا وتأملنا وعرفنا. إنه آدم بوصف ذاته، وإنه ما وراء آدم بوصف صفاته، وإنه ما نحن بانتشار رحمة الله فيه ورحمة الله بوجوده.. إنه القديم والجديد من الإنسان.. إنه البدء والإعادة من آدمه.. إنه البدء بربه وبادئ البدء بوصفه. بالحق أنزله وأيضا بالحق نزل، أنزل من ربه ونزل بنفسه بربه. {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٩] {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[١٠]. (من رآني فقد رآني حقا)[١١].

إن الشيطان منكم من لا يتمثل بي ليكونني. إن الشيطان منكم من لا يرضيه أن يتخذ مني أسوة له ومثالا له لأكون جديده ليذهب قديمه من الشيطان ويأتي بي جديده من الرحمن، فكان بذلك معناي عبدا لربي وربا لنفسه إذا لبس جديده من أمر الله، فحقق الله له الأسوة بي فصارني فكنت جديده.

نعم.. إن العيد لمن بعث بجديد فلبس الثوب المحمد فكان محمدا في أمة كلها محمد. هذا هو دين محمد. وها نحن في كل عام نحتفل في مثل هذا اليوم بالعيد ولا ندري من فينا من صح له العيد، ومن منا

من مرت عليه الأعياد وقد عيد بقديم من فعل له صدق فيه أو من فعل له وفى به. والرسول يقول (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[١٢]، والرسول يهدي (موتوا قبل أن تموتوا)[١٣]، (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)[١٤]، والقرآن يعطي ويقرر قانونه {ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعله إلا قليل ولو فعلوه لكان خيرا لهم}[١٥]، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره}[١٦].

إن الخير لمن عيد.. لمن لبس الجديد.. لمن صام عن دنيا أمره، ليست مأوى له مرتضىً عنده، ومن صام عن جنة جدته من آخرته تتكشف ليست مأوى له أو هدفا له في مأمول أخراه، من لم يأبه للنار - دار قيامه - مرتضى منه أو مخشيا منه جزاء غفلته أو عصيانه.. ولكن من طلب في الله ربه غفورا، بوصفه المرضي عنده. عرفه مستغنيا عن عبادته من عابده. وعرف أن العبد لا يستغني عن العبادة له، فهي طعامه، فهي مائدته، فهي قيامه، فهي كيانه هو. ولكنه يطلب ربه ويطلب رسول ربه ويطلب الحق في الله ويطلب نفسه بالحق حية كريمة غير موات ولا مهانة، فيعاد إلى نفسه وتعاد نفسه إليه، مرتضاة من ربها راضية عن ربها. وكان هو ربها وكانت هي عبده وكان هو في موجوده في الله العبد والرب.. العبد بها والرب عليها.

هذا هو الدين إذا عاد إليه عائد من ضلالة، فاستقبل البيت مصليا، ثم ذهب إلى البيت حاجا، ثم طاف بالبيت متأملا، ثم وقف عند باب البيت مسلما، ثم بكى عند أسواره محبا، فتفتح له باب البيت عطاء من رب البيت وأهل البيت لا آخذا بيده، ولكن جزاء وفاقا لأنه تعرض لنفحة الله في يومه دنيا، وتعرض لنعمة الله لغده أخرى، فلبس جديده وقام عيده.

إن العيد قيام في الإنسان يقوم فيه. يحسه ويدركه ويرتضيه. ويكرره عيدا بعد عيد وجديدا بعد جديد.. فارقا بين الحق والباطل في فعله.. صديقا لرسول الله، ثم صادقا مع رسول الله، ثم صدقا من الله ورسوله.

هذا هو المسلم في معارجه، وهذا هو العيد في حقيقته.

فنسأل الله أن يجعلنا برحمته في عيد. وأن يعيدنا على ما أنشأنا من أحسن تقويم. وأن يستخلصنا من أسفل سافلين. وأن يجعلنا في قابلنا على ما كنا في قديمنا من أزله في أحسن تقويم، فنلبس ثياب الجدة وثياب العودة وثياب العيد من ثياب محمد أسوة لنا ونبيا لنا وعبدا لله وربا لنا ورسولا منه إلينا يرعانا ويقودنا ويجددنا به في رحمة الله. هدانا الله وإياكم سواء السبيل وأعاد علينا مثل هذا اليوم وهذا العيد في جديد من أمرنا.. لابسين ثياب الجدة من حقائقنا من أمره بتجدده مع أنفاسنا بصلاتنا عليه، عليه السلام والصلاة بصلتنا به معنا صلى الله عليه وسلم.. وكل عام وأنتم بخير.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة طه - ١٣٢

٢ سورة الماعون- ١

٣ سورة الأحزاب - ٦

٤ حديث شريف: "المهدِيُّ رجلٌ مِنْ ولَدِي، وجْهُهُ كالكوْكَبِ الدُّرِّيِّ". أخرجه الطبراني.

٥ في معنى الحديث الشريف: "سُئِل رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم مَن آلُ محمَّدٍ فقال كلُّ تقيٍّ وقال رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم {إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ}. أخرجه الطحاوي في ((أحكام القرآن)) مختصراً، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير))، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) باختلاف يسير.

٦ إشارة للحديث الشريف: " فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي، فَمَن أغْضَبَها أغْضَبَنِي." أخرجه البخاري ومسلم، والحديث الشريف: "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله." المكتبة الشيعية. بحار الأنوار.

٧ سورة الزخرف - ٨١

٨ سورة الإسراء - ٨١

٩ سورة الإسراء - ٨١

١٠ سورة محمد - ٢:١

١١ حديث شريف: مَن رآنِي فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

١٢ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدَّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

١٣ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

١٤ مقولة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصها: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر، كذا الأكبر {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية}.

١٥ سورة النساء - ٦٦

١٦ سورة الزلزلة - ٧